
المجمع العلمي العراقي
بغداد
مجلة المجمع العلمي



مجلة المجمع العلمي



رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور احمد مطلوب

رئيس المجمع العلمي

مدير التحرير

الأستاذ الدكتورإبراهيم خلف العبيدي

عضو المجمع العلمي

أعضاء هيئة التحرير

الأستاذ الدكتور داخل حسن جريو عضو المجمع العلمي

الأستاذ الدكتور عادل غسان نعوم عضو المجمع العلمي

الأستاذ الدكتور ناجح محمد خليل عضو المجمع العلمي

الأستاذ الدكتور هلال عبود البياتي عضو المجمع العلمي

التحرير والمتابعة الفنية

اخلاص محيي رشيد

محتويـــات

الجزء الثاني / المجلد الســتون

بغداد في الشعر العباسي

الدكتور احمد مطلوب

رئيس المجمع العلمي

الملخص :

بغداد أم الدنيا ، وليست (عاصمة الثقافة العربية) فحسب ، فقد شع نورها على العالم ، وكانت مركز حضارة راقية ، وكان العلماء يؤمونها لأخذ العلم من أعلامها ، وكان الناس يتوافدون اليها للتمتع بما فيها من عمران ومشاهد تسر الناظرين .

وهذا البحث وقوف على بعض معالم (بغداد) من خلال ما قاله بعض الشعراء وهم يصورون معالمها ، ومجالس العلم ، وحياة الرفاهية فيها ، وأهم ما فيه الكلام على أوصاف بغداد ، وجانبيها (الكرخ والرصافة) ومحلاتها ، وأسواقها ، وقصورها وأنهارها وجسورها ، ومناخها ، ومتنزهاتها ، وأديرتها ، ودور العلم فيها ، ومشاعر أهلها وزائريها ، وما وقع فيها من أحداث صورها الشعراء العباسيون .

المقدمـــة :

كانت بغداد في العصر العباسي حاضرة الدولة ، وكان لها دور كبير في بناء الحضارة العربية الاسلامية ولاتزال شامخة تعتز بماضيها العريق وحاضرها الزاهر . وقد فتن الناس بها قديما وحديثا وتحدثوا عنها ووصفوها بكل قول جميل ، وكان الشعراء من أكثر القوم حديثا عنها

---

* سبق نشره في كتاب (المدينة في التراث) سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ونعيد نشره بمناسبة (بغداد عاصمة الثقافة العربية) .

ووصفا لها وتشوقا اليها ، وفي الشعر العباسي صور كثيرة لها معظمها مشرق وضاء وبعضها قاتم يعبر عن مواقف خاصة وأحداث قاسية مرت بها كالفتنة بين الامين والمأمون واجتياح المغول مغانيها الزاهرة ، وليس من السهل اليسير الوقوف على كل ما قيل فيها ، وقد أخذ هذا البحث الشعراء الكبار موردا ، وتلمس في غيرهم ما يكمل الصورة ويحقق الهدف ، وهو القاء ضوء على هذه المدينة العظيمة من خلال الشعر الذي يعد مصدرا من مصادر كتابة التأريخ .

وفي بغداد لغات هي : بغداد وبغداذ وبغدان ومغدان ومغداد ومغداذ ، وهي في هذه اللغات تذكر وتؤنث فيقال : هذه بغدان وهذا بغدان[1] . ولها اسم آخر هو مدينة السلام ، وقد سماها أبو جعفر المنصور بهذا الاسم ((لان دجلة كان يقال لها وادي السلام[2] ويقال لها الزوراء ، قال سلم الخاسر :

أَيْنَ ربُّ الزوراء اذ قلدتـــه الـــ ملك عشريـــن حجة واثنتــــــان[3]

وقال حيص بيص :

لقد علمت زوراء دجلة أننـــي وقور إِذا خَفَّتْ حلوم العشائـــر[4]

---

[1] ينظر المذكر والمؤنث ج٢ ص٦٠- ٦٣ ، الزاهر ج٢ ص٣٩٨- ٤٠٠ ، تأريخ بغداد ج١ ص٥٩ ، ٦٢ ، معجم البلدان ج٢ ص٤٥٦ ، الشعر في بغداد ص١٢ وما بعدها .

[2] تأريخ بغداد ج١ ص٥٨ ، وينظر لطائف المعارف ص٨٩ ، معجم البلدان ج١ ص٢٥٦ .

[3] تأريخ بغداد ج١ ص٧٧ .

[4] ديوان حيص بيص ج١ ص١٠١ .

وقال الأرجاني :

طورا يرى زَوْرَ العراق وتارة   يرمي العراق به الى زورائــه[5]

الاوصاف :

كان ابو جعفر المنصور الذي بويع له سنة ست وثلاثين ومائة قد ((ابتدأ أساس المدينة سنة خمس وأربعين ومائة واستتم البناء سنة ست واربعين ومائة وسماها مدينة السلام[6])) وانتقلت اليها دار الخلافة وأصبحت حاضرة الدولة العباسية ، فكانت ((جنة الارض ، ومدينة السلام ، وقبة الاسلام ، ومجمع الرافدين ، وغرة البلاد ، وعين العراق ، ودار الخلافة ، ومجمع المحاسن والطيبات ، ومعدن الظرائف واللطائف ، وبها أرباب الغايات في كل فن ، وآحاد الدهر في كل نوع[7])) وأعجب الناس بها وطفق الشعراء يتغنون بها ، وقد حفل الشعر العباسي بألوان زاهية تدل على حب عميق لها ، واعجاب عظيم بها ، فليس كمثلها مدينة كما قال أبو محمد بن زريق الكوفي الكاتب :

سافرت أبغي لبغداد وساكنها   مثلا فحاولت شيئا دونــه اليــاس

هيهات بغداد الدنيا بأجمعها   عندي وسكان بغداد هم النــاس[8]

---

(5) ديوان الارجاني ج١ ص٥ ، وتنظر ص٢٤ ، ٣٥ ، ١٨٧ .

(6) تاريخ بغداد ج١ ص٦٦ ، وينظر معجم البلدان ج١ ص٤٥٧ ، بغداد مدينة السلام ج١ ص٢٢٦ وما بعدها .

(7) معجم البلدان ج١ ص٤٦١ ، اثار البلاد ص٣١٣ .

(8) يتيمة الدهر ج٢ ص٣٧٧ ، لطائف المعارف ص١٧١ ، معجم البلدان ج١ ص٤٦١.

وليس كبغداد منزل ، قال أبو سعد محمد بن علي بن محمد بن خلف الهمداني :

فـدى لك يا بغـداد كـل قبيلـة من الارض حتى خطتي وديارِيـا
فقد طفت في شرق البلاد وغربها وسيرت رحلـي بينهـا وركابيـا
فلم أرَ فيها مثل بغـداد منـزلا ولم أرَ فيهـا مثـل دجلـة واديـا
ولا مثل أهليهـا أرق شمائـلا وأعذب ألفاظـا وأحلـى معانيـا
وكم قائل لو كان ودك صادقـا لبغداد لـم ترحل فكـان جوابيـا
يقيم الرجـال الاغنياء بأرضهـم وترمي النوى بالمقترين المراميا[9]

وأخذت بغداد بمجامع قلب عمارة بن عقيل فأنشد فيها مشيدا بطيبها وحسن العيش فيها :

أعاينت في طول من الأرض والعرض
كبغـداد دارا أنهـا جنـة الارض
صفا العيش في بغـداد وأخضرّ عوده
وعيش سواها غيـر صـافٍ ولاغض
تطـول بها الاعمـار إن غذاءهـا
مريء وبعض الارض أمرؤُ من بعض[10]

وما ذلك الا لانها دار الانس :

بغداد سقيـا لك من بـلاد يا دار دار الانس والاسعاد

---

[9] تاريخ بغداد ج١ ص٥٢ ، معجم البلدان ص٤٦٤ .

[10] ديوان عمارة بن عقيل ص٩٧ ، تاريخ بغداد ج١ ص٥٢ ، ٦٨ ، لطائف المعارف ص١٧٢ ، معجم البلدان ج١ ص٤٦٠ ، اثار البلاد وأخبار العباد ص٣١٤ .

بدلت منك وحشـــة البـــوادي وقطـــع واد وورود واد[١١]

وهي روضة أنف كما قال ابن الهبارية :

بغـداد دار رياضهــا أنــف والغيث في عنفو انها يكف[١٢]

وهي دار الهوى كما قال أيضا :

لهفي على بغداد دار الهــوى فانئــي من حبها ما أفيــق[١٣]

وهي موطن الهوى ، قال أبو تمام :

بالشام أهلي وبغداد الهوى وانا بالرَّقَتين وبالفسطاط إخواني[١٤]

وقال العباس بن الاحنف :

اذا ما كـــان في بغـــدا د مَــنْ تهـــوى ويهواكــا

فلا فـــرَّج عنـــك اللـــ ـــه إن لــم تــأت مثواكــا[١٥]

وهي عنده موطن الجميلات :

ياشمس بغداد انئـــي دنــف اذ مات منك الــوداد واللطف

كلفت بالشمس من رأى رجلا بالشمس يا قوم قلبـــه كاف[١٦]

وهي موطن الحسن واللهو :

يامجمع الحسن يابغداد يابلدي ما الصَّبْرُ عنك وعمن فيك بالحسن

يا خير موطن لهو كنت آلفــه لازال مَغناك تسقى الغيث من وطن

---

(١١) تاريخ بغداد ج١ ص٦٢ .

(١٢) خريدة القصر وجريدة العصر م١ ج٢ ص١٢٩ .

(١٣) خريدة القصر م١ ج٢ ص١٣٢ .

(١٤) ديوان أبي تمام ج٣ ص٣٠٩ .

(١٥) ديوان العباس بن الاحنف ص٢٠٦ .

(١٦) ديوان العباس ص١٨٨ .

كم من حبيب تركناه لديك وفي سكان دارك كم لي اليوم من سكن[١٧]

وكان أبو نواس من اكثر الشعراء حديثا عن لذات بغداد وطيبها ، وكان لايحب فراقها ولا يصبر عليه :

وقائل هل تريد الحج قلت لـــه نعـــم إذا فنيــت لــذات بغـــداد[١٨]

ودفع طيب بغداد وأنسها زبيدة الى أن تطلب من الشاعر منصور النمري أن ينظم أبياتا في بغداد ليعود اليها هارون الرشيد الذي كان بالرقة ((وكان يستحسنها ويستطيبها فيقيم بها ، وأطال المقام بها مرة ، فقالت زبيدة للشعراء :

من وصف مدينة السلام وطيبها في أبيات يشوق أمير المؤمنين اليها أغنيته فقال في ذلك جماعة منهم النمري أبياتا أولها :

مـــاذا ببغداد من طيب أفانين ومن عجائب للدنيـــا وللديـــن

اذا الصبا نفحت والليل معتكر فحرشت بين أغصان الرياحين

فوقعت أبياته من بين جميع ما قالوا ، وانحدر الرشيد الى بغداد ، فوهبت زبيدة للنمري جوهرة ، ثم دست اليه من اشتراها بثلثمائة ألف درهم))[١٩].

ويطول الحديث عن وصف بغداد وتبقى قبلة الانظار على الرغم مما مر بها من أحداث وكوارث ، وها هو أسامة بن منقذ (- ٥٨٤هـ) من أعيان القرن السادس للهجرة قد قال بها وهو متوجه الى مكة :

---

[١٧] حكاية ابي القاسم البغدادي ص٢٥ .

[١٨] ديوان أبي نواس ص١٦٧ ، وتنظر ص٣١٤ .

[١٩] طبقات الشعراء لابن المعتز ص٢٤٦ ، وينظر تأريخ بغداد ج١ ص٥١ – ٥٢ .

وصفوا لي بغداد حينا فلمـــا جئتها جئت أحســـن البلـدان

منظر مبهج وقوم ســــــراة قد تحلوا بالحسن والاحسان[٢٠]

الجانبـــان :

وبغداد جانبان : الجانب الشرقي ، والجانب الغربي[٢١] ، وفيهما يقول علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني :

سقى جانبيّ بغداد أخلاف مزنة تحاكي دموعي صوبها وانحدارها

فلي فيهما قلب شجاني اشتياقه ومهجة نفس ما أمــل ادكارهــا

سأغفر للايــام كــل عظيمـــة لئن قربت بعد البعــاد مزارهــا

وقال من قصيدة يتشوق فيها بغداد ، ويصف موضعه بناحية رامهرمز ، ويمدح صديقا له من أهلها :

سقى جانبي بغداد كـل غمامة يحاكي دموع المستهام هموعهــا

معاهد من غزلان أُنْسٍ تحالفت لواحظها أن لايداوى صريعهــا

بها تسكن النفس النفور ويغتدي بآنس من قلب المقيـم نزيعهــا

يحن اليهــا كل قــب كانمــا يشاد بحبات القلوب ربوعها[٢٢]

ومن لطيف ما قيل من شعر ، قول دعبل الخزاعي وقد ولى يحيى بن أكثم رجلين أعورين الجانبين الشرقي والغربي :

رأيت من الكبائر قاضييــــن همــا أحدوثــة في الخافقــين

---

[٢٠] ديوان أسامة بن منقذ ص١٦١ .

[٢١] للوقوف على هذين الجانبين ينظر خطط بغداد في العهود العباسية الاولى ، خطط بغداد في القرن الخامس الهجري ، خطط وأنهار العراق القديمة .

[٢٢] يتيمة الدهر ج٤ ص١٣ ، معجم الادباء ج٥ ص٢٥٥ – ٢٥٦ .

هما اقتسما العمى نصفين قدرا	كما اقتسما قضاء الجانبيـــن
وتحسب منهما من هَزَّ رأســـا	لينظـــر في مواريث وديـــن
كأنك قـــد جعلت عليه دنـــا	فتحت بزاله من فرد عين[٢٣]

وفي الجانب الغربي الكرخ ، ففي سنة سبع وخمسين ومائة ((نقل أبو جعفر الاسواق من المدينة ومدينة الشرقية الى باب الكرخ وباب الشعير والمحول وهي السوق التي تعرف بالكرخ ، وأمر ببنائها من ماله))[٢٤] . ويبدو أن الكرخ كان بعيدا عن المدينة المدورة ، يروى أن أبا دلف كان ((أيام المأمون مقيما ببغداد وكانت معه جارية أفادها من بغداد ، فاشتاق الى الكرخ فخاطبها في الخروج معه الى الكرخ فأبت عليه فقالت : ((بغداد وطني)) فلما عزم على الرحيل تمثل :

وسلام عليك ياظبية الكر	خ أقمتم وحان منا ارتحـــال
ومقام الكريم في بلد الهو	ن إذا أمكن الرحيل محال[٢٥]

وفي ذلك قال الحموي : ((وكانت الكرخ أولا في وسط بغداد والمحال حولها ، فأما الآن فهي محلة وحدها مفردة في وسط الخراب وحولها محال الا انها غير مختلطة بها))[٢٦] . وأولع الشعراء بالكرخ وقالوا فيه شعرا كثيرا ، منهم أبو نواس الذي لهج بحاناته وخمره التي

---

(٢٣) ديوان دعبل الخزاعي ص٢٠٥ .

(٢٤) تأريخ بغداد ج١ ص٦٩ ، وتنظر ص٨٠ معجم البلدان ج٤ ص٤٤٨ ، بغداد مدينة السلام ج١ ص٢٤٣ ، ج٢ ص٣٨ وما بعدها .

(٢٥) كتاب بغداد ص١٣٣ .

(٢٦) معجم البلدان ج٤ ص٤٤٨ .

سماها ((الكرخية)) وجناته وقراه ، ومنهم ابن المعتز الذي تغنى بالكرخ وما فيه من سحر وفتون .[٢٧]

قال أبو نواس يحن اليه وهو بمصر :

ذكر الكـــرخ نازح الأوطـــان   فصبـــا صبـــوة ولات أوان

ليس لي مسعد بمصر على الشو   ق الـــى أوجه هنـــاك حســـان

نازلات مـــن السراة فكرخـــا   يا الى الشط ذي القصور الدواني[٢٨]

وحنّ الشعراء الى الكرخ ودعوا له بالسقيا فقال محمد بن الحسين الوضاحي يذكر أهله ووطنه وهو في نيسابور :

سقى الله باب الكرخ ربعا ومنزلا   ومن حله صوب السحاب المجلجل

ولازالت الانـــواء تهمي بوبلهـــا   على منزل من ربعه بعد منـــزل

فروت ريا الوضاح صوب عهادها   وسحت عزاليها ببركة زلـــزل

وشيمت بباب الشام فيها لوامـــع   لها أرج يجري بريا القرنفـــل

ديار بها يجني السرور جنايـــة   وترتشف اللذات في كل منهـــل

وكائن بباب الكرخ من ذات وقفة   قتول بعطفيها وحوراء عيطـــل

ومن مقلة عبـــرى لفقد أنيسهـــا   ومن كبـــد حرى وقلب معـــذل

فلو أن باكي دِمنة الدار بالـــوى   وجارتهـــا أم الرباب بمأســـل

رأت عرصات الكرخ أوحل أرضها   لامسك عن ذِكْرِ الدَّخول فحوملِ[٢٩]

---

[٢٧] ينظر ديوان أبي نواس ص٤ ، ١٥٣ ، ١٦٩، ١٧٢ ، ١٧٩ ، ٢٠٣ ، ٢٢٠ ، ٣٠٥ ، ٦٧٧ ، ٦٨٨ ، ٦٩٧ ، ٧٠٠ ، ديوان أشعار الامير أبي العباس عبد الله بن المعتز ج٢ ص٢٢٦ ، ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٦٠ .

[٢٨] ديوان أبي نواس ص٤٧٦ .

[٢٩] تأريخ بغداد ج١ ص٢٤٢ .

وقال نفطويه :

سقى أربع الكرخ الغوادي بديمة   وكـــل ملث دائـــم الهطل مسبـــل

منازل فيها كل حسن وبهجــــــة   وتلك لها فضل على كل منزل[٣٠]

وقال محمد بن داود الاصبهاني :

يهيم بذكر الكرخ قلبي صبابة   وما هو إلا حب من حل بالكـــرخ

ولست أبالي بالردى بعد فقدهم   وهل يجزع المذبوح من ألم السلخ

وأضاف اليهما عبيد الله بن عبد الحافظ بيتين اخرين وهما :

أقول وقد فارقت بغداد مكرها   سلام على أهـــل القطيعة والكـــرخ

هواي ورائي والمسير خلافه   فقلبي الى كرخ ووجهي الى بلخ[٣١]

وحن الى الكرخ وهو بعيد في الاندلس علي بن زريق أبو الحسن الكاتب البغدادي فقال :

أستودع الله في بغداد لي قمرا   بالكرخ من فلك الازرار مطلعه

ودعته وبودي أن يود عنـــي   صفو الحياة واني لا أودعه[٣٢]

وحن الشعراء الى الجانب الشرقي لما فيه من ذكريات جميلة أو أحبة ، قال العباس بن الاحنف :

أيا ساكني شرقي دجلة كلكم   الى النفس من أجل الحبيب حبيب[٣٣]

---

[٣٠] تأريخ بغداد ج١ ص٨٢ .

[٣١] معجم البلدان ج٤ ص٤٤٨ .

[٣٢] طبقات الشافعية الكبرى ج١ ص٣٠٩ .

[٣٣] ديوان العباس بن الاحنف ص٢٩ .

وفيه الرصافة وتعرف بعسكر المهدي قال الحموي : ((وهي المحلة المعروفة اليوم ببغداد بالرصافة من محال الجانب الشرقي . قال ابن الفقيه : وبنى المنصور الرصافة في الجانب الشرقي للمهدي وكانت الرصافة تعرف بعسكر المهدي لانه عسكر بها حين شخص الى الري)) .[٣٤]

وفرغ من بنائها سنة أربع وخمسين ومائة ، وبنى المهدي قصره فيها ، وهو الذي قيل فيه :

كأني بهذا القصر قد باد أهلـــــه   وأوحش منه ركنه ومنازلـــه
وصار عميد القوم من بعد بهجة   وملك الى قبر عليه جنادله[٣٥]

وذكر العباس بن الاحنف الجانب الشرقي وعسكر المهدي فقال :

ألا انما أفنى الدموع تلفتي   الى الجانب الشرقي من عسكر المهدي[٣٦]

وقال :

زعم الجاهلون بي أن قلبي   بالجانب الشرقي صب عميد[٣٧]

وذكرا ابن نباتة السعدي باب الرصافة فقال :

سقيا لتغليســـي الــــــى   باب الرصـــافة وابتكـــاري[٣٨]

---

[٣٤] معجم البلدان ج٤ ص١٢٤ ، وينظر ج٣ ص٤٦ ، تأريخ بغداد ج١ ص٨٣ .

[٣٥] تأريخ بغداد ج١ ص٨٢-٨٣ .

[٣٦] ديوان العباس ص٨٥ .

[٣٧] ديوان العباس ص٨٦ .

[٣٨] ديوان ابن نباتة السعدي ج٢ ص٦٠٠ .

المحـــــلات :

وفي الشعر العباسي اشارات الى محلات بغداد ، ومن ذلك اشارة طاهر بن المظفر بن طاهر الخازن الى محلة حدد موقعها ولم يذكر اسمها فقال :

سقى الله صوب الغاديات محلة ببغداد بين الخلد والكرخ والجسر[٣٩]

وذكر أبو نواس عدة محال وأماكن في قوله :

وقائل هل تريد الحج قلت لـــه نعم اذا فنيت لذات بغـــداذ

أما وقطر بل منها بحيث أرى فقبة الفرك من أكناف كلواذ

فالصالحية فالكرخ التي جمعت شذاذ بغداد ماهم لي بشذاذ[٤٠]

وقال القاضي أبو الحسن علي بن النبيه :

آنست بالعـــراق بـــدرا منيـــرا فطوت غيهبا وخاضت هجيرا

واستطابت ربـــى نســـائم بغـــدا د فكادت لولا البرى أن تطيرا

ذكرت من مسارح الكرخ روضا لم يزل ناضرا ومـــاء نميـــرا

واجتنت من ربا المحول نـــورا واجتلت من مطالع التاج نورا[٤١]

وذكر العباس بن الاحنف الرصافة والميدان فقال :

بين الرصافة والميدان أرقبها شبت لغانيـــة بيضاء معطـــار

وذكر باب الشام فقال :

إيت من بغـــداد باب الشـــــ ـــام أو نهـــــر المعلـــــــى

---

[٣٩] تاريخ بغداد ج١ ص٥٣ ، ينظر بغداد في الشعر العربي ص٢٤ .

[٤٠] ديوان أبي نواس ص١٦٧ .

[٤١] بغداد في الشعر العربي ص٣٢ .

وحدد موقع منزل فقال :

إن بالكرخ منزلا لغــزال   بين قصر الامير والخيزران[٤٢]

وذكر ابن المعتز الكرخ والميدان وهو يحدد موقع منزل فقال :

بالكرخ والميدان لي منزل   وجارتي القفص وقطر بــل[٤٣]

وذكر علي بن الجهم الرصافة والجسر فقال :

عيون المهابين الرصافة والجسر   جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري[٤٤]

وذكر شارع دجيل وفيه منزله ببغداد ، فقال ليلة وفاته وهو جريح :

أزيد في الليــــل ليــــــل   أم ســال بالصبــــح ســـــيل

يا أخوتــــي بدجيــــــل   وأيــن منـــــي دجيـــــل[٤٥]

وذكر عمارة بن عقيل المخرم وهي محلة في الجانب الشرقي فقال :

ألا فاشتروا مني ملوك المخرم   أبــع حسنا وابنَي هشام بدرهم[٤٦]

وقال علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني يذكر بغداد ومحالها ويتشوقها :

يا نسيم الجنوب بالله بلــغ   ما يقــــول المتيــــم المستهـــام

قل لا حبابه فداكم فــــؤاد   ليس يسلو ومقلــــــة لا تنـــام

بنتم فالسهاد عنــدي مقيــم   مذنأيتم والعيش عنــدي حمـــام

---

[٤٢] ديوان العباس ص١١٠ ، ٢٣٠ ، ٢٨٢ .

[٤٣] ديوان اشعار الامير أبي العباس ج٢ ص٢٩٢ .

[٤٤] ديوان علي بن الجهم ص١٤١ .

[٤٥] ديوان علي ص١٧٠ ، وينظر تاريخ بغداد ج١١ ص٣٦٩ .

[٤٦] ديوان عمارة ص١٠٥ ، وذكرت الأبيات في ديوان دعبل ص١٩٥ .

فعلى الكرخ فالقطيعة فالشـــط فبـــاب الشعير مني السلام[٤٧]

وكان بالجانب الشرقي من بغداد محلة كبيرة تسمى ((باب الطاق ، كان بها سوق الطير فاعتقدوا ان من تعسر عليه شيء من الامور فاشترى طيرا من باب الطاق وأرسله سهل عليه ذلك الامر ، وكان عبد الله بن طاهر مقامه ببغداد ولم يحصل له اذن الخليفة ، فاجتاز يوما بباب الطاق فرأى قمرية تنوح ، فأمر بشرائها واطلاقها ، فامتنع صاحبها أن يبيعها ألا بخمسمائة درهم ، فاشتراها وأطلقها وأنشأ يقول :

نأحــت مطوقــةً بباب الطـــــــاق فجرت سوابق دمعي المهراق

كانت تغــرد بالأراك وربمـــــــا كانت تغرد في فروع الســاق

فرمى الفراق بها العراق فأصبحت بعد الأراك تنوح في الأسواق

فجعت بافــــراخ فأسبل دمعهـــا إنَّ الدمــوع تبوح بالمشتــاق

تعس الفــراق وتب حبــل وتينــه وسقاه من ســم الاساود ساقي

مـــاذا أراد بِقَصْـــدِهِ قُمْرِيَّـــةً لم تدر ما بغداد في الآفـــاق

بي مثل مابك ياحمامــــة فاسألي من فكَّ أسرك أن يحل وثاقي[٤٨]

الاســواق :

كان في هذه المحال وغيرها أسواق منها : سوق الصفارين ، وسوق الصيارفة ، وسوق العطارين ، وسوق الفرائين ، وسوق السلاح ،

---

[٤٧] يتيمة الدهر ج٤ ص١٢ ، وينظر معجم الادباء ج٥ ص٢٥٤ .

[٤٨] آثار البلاد ص٣١٥ ، وينظر معجم البلدان ج١ ص٣٠٨ . وفيه ((وقد روي أن صاحب القصة في اطلاق القمرية هو اليمان البندنيجي الشاعر الضرير مصنف كتاب (التقفية) وقد ذكرته في كتاب معجم الادباء)) . ينظر ج٧ ص٣٠٤ .

وسوق عبد الواحد ، وسوق العطش ، وسوق يحيى ، وسوق الحلانين[٤٩] .
ومنها الثلاثاء ((وسمي بذلك لانه كان يقوم عليه سوق لاهل كلواذى وأهل بغداد قبل ان يعمر المنصور بغداد في كل شهر مرة يوم الثلاثاء فنسب الى اليوم الذي كانت تقوم فيه السوق))[٥٠] وكان بهاء الدولة قد أمر ابن نباتة السعدي أن يعمل أبياتا على حيطان دار بناها بسوق الثلاثاء من الجانب الشرقي من بغداد يجري مجرى الدعاء له فقال :

كل ما تبتغيــه سهل يسيــــر ولــــك الله حافــــظ ومجيــــر[٥١]

وذكر أبو العلاء المعري سوق العروس فقال :

ماذا أراد بِقَصْــدِهِ قُمْرِيَّــــةً هم الناس لا سوق العروس ولا الشط[٥٢]

وقال الشاعر في سوق يحيى :

يانسيم الشمال من سوق يحيى لك عهـــــد ممـــن أحب قريــــب[٥٣]

القصـــــور :

كانت في بغداد قصور تسر الناظرين ، منها قصر الخلد ، وقصر القوارير ، وقصر التاج ، والقصر الجعفري ، وقصر الثريا وقصر

---

[٤٩] ينظر كتاب بغداد ص٩٨ ، معجم البلدان ج٣ ص٢٨٣ وما بعدها ، حكاية أبي القاسم البغدادي ص٢٢ ، ٨٧ .
[٥٠] معجم البلدان ج٣ ص٢٨٣ .
[٥١] ديوان ابن نباتة السعدي ج٢ ص١٤٤ .
[٥٢] شروح سقط الزند ج٤ ص١٦٣١ .
[٥٣] حكاية أبي القاسم البغدادي ص٢٣ .

وضاح ، وقصور الحريم[٥٤] . وقد ذكر بعضها الشعراء ولكنهم لم يتعمقوا في وصفها ، وكأنهم لم يروها من الداخل أو يسمعوا بما فيها من ألوان الرفاهية ، وقد وصف عمارة بن عقيل بغداد وأشار الى قصورها ودجلتها وما فيها من حراقات فقال :

ماذا ببغداد من طيب أفانيـــن ومـن عجائب للدنيـا وللديـن

ما بين قطر بل فالكرخ نرجسة تندى ومنبت خيـري ونسريـن

تحيا النفوس اذا أرواحها نفحت وحرشت بيـن أوراق الرياحيـن

سقيا لتلك القصور الشاهقات وما تخفي من البقـر الانسية العيـن

تستن دجلة فيما بينها فتـرى دهم السفين تعالـى كالبراذيـن

مناظر ذات أبواب مفتحـة أنيقـة بزخـا ريف وتزييـن

فيها القصور التي تهوي بأجنحة بالزائرين الى القـوم المزوريـن

من كل حراقة يعلو فقارتهـا قصر من الساج عالٍ ذو أساطين[٥٥]

وكان المنصور قد بنى قصر الخلد على دجلة سنة ثمان وخمسين ومائة وسمي ((الخلد تشبيها له بجنة الخلد وما يحويه من كل منظر رائق ، ومطلب فائق ، وغرض غريب ، ومراد عجيب ، وكان موضعه وراء باب خراسان)).[٥٦]

---

[٥٤] تنظر منازل الخلفاء وقصورهم في كتاب : معالم بغداد الادارية والعمرانية ص٩ وما بعدها .

[٥٥] ديوان عمارة ص١٠٧ ، وينظر معجم البلدان ج١ ص٤٦٢ .

[٥٦] تاريخ بغداد ج١ ص٧٥ ، ٨٠ ، ١١٥ .

وذكره أبو الشيص في رثاء الرشيد ومدح الامين فقال : ـ

بدران بدر أضحى ببغداد في الـــ خلد وبدر بطوس في الرمس[٥٧]

وقصر الخلد الذي قال فيه علي بن أبي هاشم الكوفي حينما مر به ونظر اليه : ـ

بنـــوا وقـــالوا لانمــــو ت وللخــراب بنــى المُبَنِّــي

مــا عاقـــل فيمـــــا رأيـ ت الى الخراب بمطمئـــنِ[٥٨]

وقام المكتفي بالله بعد المعتضد ((ببناء التاج على دجلة ، وعمل وراءه من القباب والمجالس ما تناهي في توسعته وتعليته . ووافى المقتدر بالله فزاد في ذلك وأوفى مما أنشأه واستحدثه . وكان الميدان والثريا وكذاحير الوحوش متصلا بالدار)) .[٥٩]

وفي ذلك قال طاهر بن المظفر بن طاهر الخازن :

ودجلتها شطان قد نظما لنا بتاج الى تاج وقصر الى قصر[٦٠]

وبنى الخليفة المعتضد بالله الثريا في الجانب الشرقي من بغداد بالقرب من القصر الحسني وعلى بعد من قصر التاج وقد وصفه ابن المعتز فقال وهو يمدح المعتضد :

---

[٥٧] أشعار أبي الشيص ص٧٠ ، وينظر طبقات الشعراء ص٧٥ ، وفيه :

بدران هذا ببغداد في الـــ خلد وبدر بطوس في الرمس

[٥٨] بغداد في الشعر العربي ص٥٥ .

[٥٩] تاريخ بغداد ج١ ص٩٩ .

[٦٠] معجم البلدان ج١ ص٤٦٣ .

سلمت أمير المؤمنين على الدهر | ولا زلت فينا باقيا واسع العمر
حللت الثريا خير دار ومنزل | فلا زال معمورا وبورك من قصر
فليس له فيما بنى الناس مشبه | ولا ما بناه الجن في سالف الدهر
وما زال يرعاه الامام برأيه | وبالعزم في التقدير والنهي والامر
فتم فما في الحسن شيء يزيده | لسان ولا قلب بقول ولا فكر
ستثني عليه من محاسن قصره | مدايح ليست من كلام ولا شعر
تشير الى رأي مصيب وحكمة | وجود لدى الانفاق بالبيض والصفر
جنان و أشجار تلاقت غصونها | وأوقرن بالاثمار والورق الخضر
ترى الطير في أغصانهن هواتفا | تنقل من وكر لهن الى وكر
هجرن سواها كل دار عرفنها | وحق لدار غير دارك بالهجر
وبنيان قصر قد علت شرفاته | كصف نساء قد تربعن في الازر
وأنهار ماء كالسلاسل فجرت | لترضع أولاد الرياحين والزهر
وميدان وحش تركض الخيل وسطه | فتأخذ منها ما تشاء على قسر
اذا مارأت مساء الثريا ونبته | نسين ذنوب الكلب فيهن والصقر[٦١]

وهذه رؤية خارجية للقصر وكأن ابن المعتز لم يهتز لما في قصور الخلفاء من رغد وطيب عيش ، وهو الامير الذي عاش في خير ونعيم ، ورأى ما في تلك القصور من رفاهية الحياة .

وبني قصر وضاح للمهدي قرب رصافة بغداد ((وقد تولى النفقة رجل من أهل الانبار يقال له وضاح فنسب اليه ، وقيل : الوضاح من موالي المنصور . وقال الخطيب : لما أمر المنصور ببناء الكرخ قلد ذلك

---

[٦١] ديوان أشعارالامير أبي العباس ج١ ص٤٧٧ .

رجلا يقال له الوضاح بن شبا فبنى القصر الذي يقال له الوضاح والمسجد فيه)) وهذا يدل على أن قصر الوضاح بالكرخ وذكره علي بن الجهم فقال :

سقى الله باب الكرخ من متنزه | الى قصر وضاح فبركة زلزل[٦٢]

وذكر أحد الشعراء ((قصر الرصافة)) فقال :

أرى الحب يبلي العاشقين ولا يبلى | ونار الهوى في حبة القلب ما تطفى
تُهيجني الذكرى فأبكي صبابةً | وأي محب لا تهيجه الذكرى
أقول وقد أسكبت دمعي وطالما | شكوت الهوى مني فلم تنفع الشكوى
أيا حائطي قصر الرصافة خلِّيا | لعيني عساها أن ترى وجه من تهوى[٦٣]

وقال مطيع بن أياس في جارية خرجت من قصر الرصافة وحواليها وصائف يرفعن أذيالها :

لما خرجن من الرصا | فة كالتماثيل الحسان
يخففن أحور كالغزا | ل يميس في جدل العنان
قطعن قلبي حسرة | وتقسما بين الاماني[٦٤]

وكانت في حريم دار الخلافة العباسية ببغداد قصور أشار اليها مسعود ابن العلاء بن علي المعروف بالخباز فقال :

وبالحريم قصور لو تأملها | رضوان لاختار من تلك الافانين
حسبي ببغداد دار والحريم حمى | من طارقات صروف الدهر يكلوني[٦٥]

---

[٦٢] معجم البلدان ج٤ ص٣٦٤ ، ديوان علي بن الجهم ص٥٥ .

[٦٣] معجم البلدان ج٣ ص٤٧ .

[٦٤] الاغاني ج٣ ص٢٨٩ .

[٦٥] خريدة القصر م٢ج٣ ص٢٢٤-٢٢٥ .

الانهـــار :

كانت في بغداد أنهار منها : نهر الصراة ، ونهر خندق طاهر ، ونهر كَرْخايا ، ونهر رزين ، ونهر العمود ، ونهر الدجاج ، ونهر قطيعة الكلاب ، ونهر موسى ، ونهر المعلى ، ونهر المهدي .[٦٦]

وفي الشعر العباسي اشارات الى بعض هذه الانهار منها نهر المعلى الذي قال فيه العباس بن الاحنف :

أيت من بغداد باب الشـــ ... ـــام أو نهـــر المعلّـــى[٦٧]

ونهر بوق الذي قال فيه ابن الرومي :

وقد لقبوه نهر بوق تعسفا ... وفي الوغد أشباه من البوق والنهر[٦٨]

ونهر بيل الذي قال فيه آدم بن عبدالعزيز بن عمر بن مروان :

هات فاشر بها خليلي ... في مدى الليل الطويل

قهوة من أصل كـــرم ... سبئت من نهر بيل[٦٩]

ويسمى نهر بين ، قال ياقوت : ((نهر بين بالنون وهو لغة في الذي قبله))[٧٠] ، قال أبو حنش :

تسابقت الجدود بنهر بين ... فبرز عنـــد ذلك جد زنجـــي

وأقبل جد مروان فصلى ... على تعب يزجيه المزَجي[٧١]

---

[٦٦] ينظر تأريخ بغداد ج١ ص١١١ وما بعدها ، معجم البلدان ج٥ ص٣١٥ وما بعدها.

[٦٧] ديوان العباس ص٢٣٠ .

[٦٨] ديوان ابن الرومي ج٣ ص٩٦٥ .

[٦٩] تاريخ بغداد ج٧ ص٢٦ ، معجم البلدان ج٥ ص٣١٨ .

[٧٠] معجم البلدان ج٥ ص٣١٨ .

[٧١] تاريخ بغداد ج١٢ ص٢٢٧ .

وقال علي بن الجهم :

جاوزت نهر بين والنهروانا　　　　أجلولا تـؤم أم حلوانـا[٧٢]

وذكر الراضي بالله نهري الصراة وكرخايا فقال :

بين الصراة وكرخايا تمرده　　　　والعيش من نكبات الدهر معصوم[٧٣]

ووصف الشعراء ماء بغداد ، وتحسر عليه أبو اسيحاق الصابي ، وقارن بينه وبين ماء البصرة فقال :

لهف نفسي على المقام ببغد　　　　اد وشر بي من ماء كوز بثلـج

نحن بالبصرة الذميمة نسقى　　　　شر سقيا من مائهـا الاترنجـي

أصفر منكر ثقيـل غليـظ　　　　خاثـر مثل حقنـة القولنـج

كيف نرضى بمائها وبخيـر　　　　منه في كنف أرضنا نستنجي[٧٤]

وقال أبو نواس الذي شرب ماء بغداد فأنساه أحبابه :

أيا من كنت بالبصر　　　　ة أصفي لهـم ودا

ومن كان موالـي　　　　ومن كنت له عبـدا

ومن قد كنت أرعاه　　　　وإن ملّ وإن صـدا

شربنا ماء بغـداد　　　　فأنساناكـم جـدا[٧٥]

وشبه أبو العلاء المعري ماء الكرخ بالخمرة فقال :

وماء بلادي كان أنجع مشربا　　　　ولو أن ماء الكرخ صهباء جريال[٧٦]

---

[٧٢] ديوان علي بن الجهم ص١٨٦ .

[٧٣] اخبار الراضي ص١٨١ .

[٧٤] يتيمة الدهر ج٢ ص٢٦٩ ، وينظر بغداد في الشعر العربي ص٣٠ .

[٧٥] ديوان أبي نواس ص٥٤٧ .

[٧٦] شروح سقط الزند ج٣ ص١٢٥٤ .

وكانت في بغداد بركة زلزل التي قال علي بن الجهم فيها :

سقى الله باب الكرخ من متنزه ... الى قصر وضاح فبركة زلزل[77]

وقال ابراهيم بن محمد بن عرفة نفطويه :

لو ان زهيرا وامرأ والقيس أبصرا ... ملاحة ما تحويــه بركة زلـــزل

لما وصفا سلمى ولا أم ســــالم ... ولا اكثرا ذكر الدخول فحومل[78]

وتغنى الشعراء بدجلة فقال السلامي وقد ركب زوقا فيها :

وميدان تجـول به خيــــول ... تقـود الدارعين ولا تقـــاد

ركبت به الى اللذات طرفـــا ... له جســم وليس له فـــؤاد

جرى فحسبت أنَّ الارض وجه ... ودجلة ناظر وهو السواد[79]

وقال القاضي التنوخي يصف دجلة والقمر يلمع عليها :

لم أنس دجلة والدجى متصوب ... والبدر في أفق السماء مغـرب

فكأنهــا فيه بســـــاط ازرق ... وكأنه فيها طـــراز مذهب[80]

وأشار الارجاني الى شطي بغداد فقال :

سروا بسفن في البيد مسبحها ... وعند شطي بغداد مرفؤهـــا[81]

وفي الشعر ذكر للسفن والحراقات ، وهي تجري في دجلة كالبرانين ، قال عمارة بن عقيل :

تسن دجلة فيما بينها فترى ... دهم السفين تعالى كالبرانين[82]

---

(77) ديوان علي ص55 .

(78) تاريخ بغداد ج1 ص88 .

(79) بغداد في الشعر العربي ص36 .

(80) معجم الادباء ج5 ص335 .

(81) ديوان الارجاني ج1 ص89 .

(82) ديوان عمارة ص108 .

وقال أبو نواس يصف الحراقات وهو يمدح الخليفة الامين :

سخـــر الله للأميـــن مطايـــا لم تسخر لصاحب المحـــراب
فاذا ما ركابه ســـرن بــرا سار في الماء راكبا ليث غاب
أســـدا باسطا ذراعيه يعــدو أهرت الشدق كالح الانيـــاب
لايعانيه باللجام ولا السـو ط ولا غمز رجله في الركاب
عجب الناس اذ رأوه على صو رة ليـث يمر مــر السحـــاب
سبحوا اذ رأوك سرت عليه كيف لو أبصروك فوق العقاب
ذات زَور ومنسر وجناحيـ ن تشق العباب بعد العبـــاب
تسبق الطير في السماء اذا ما اسـ تعجلوها بجيئة وذهـــاب[83]

وقال علي بن جبلة المعروف بالعكوك :

عجبت لحراقة ابن الحسـ ين كيف تعوم ولا تغــرق
وبحران من تحتهما واحــد وآخر مـــن فوقها مطبــق
وأعجب من ذاك عيدانهـــا وقد مَسَّها كيف لاتورق[84]

وسماها ابن المعتز خيل ماء فقال :

بالكرخ والميدان لي منزل وجارتـــي القفص وقطربـــل
وخيل ماء لي طيــــارة تدبر بـــي إنْ شئتَ أو تقبـــل
تلاطم الماء مجا نيفهــا موقرة حاملـــة تحمـــــل
غايتها قصر حميد وفـــي بستان بشر دهرها الاطـــول

---

(83) ديوان أبي نواس ص ٤١٤ .

(84) شعر علي بن جبلة ص ١٦٢ ، وينظر طبقات الشعراء ص ١٨٩ ، وفي معجم الادباء ج٦ ص ٩٦ : ((ان اسباب اتصال عوف بن محلم بطاهر بن الحسين انه نادى على الجسر بهذه الآبيات في ايام الفتنة ببغداد وطاهر ينحدر في حراقة في دجلة فسمعها منه فادخله وانشده أياها)) والابيات في وفيات الاعيان ج٢ ص ٢٠٢ لمقدس بن صيفي الخلوقي .

وأن تجد من ماصر غفلة   تطر الى القفص ولا تعــدل[٨٥]

وقال ابن الحجاج مخاطبا سفن بغداد :

ياسفن بغداد روحي جد عالمــــة   بان قلبي فيك اليوم قد راحــــــا
يا سفن ماضر فيك المصعدين وقد   مدوك لو جعلوني منك ملاحــــا[٨٦]

الجســــور :

كانت في بغداد عدة جسور ففي سنة ((سبع وخمسين ومائة ابتنى أبو جعفر قصره الذي يعرف بالخلد وفيهاعقد الجسر عند باب الشعير)) وأمر ((بعقد ثلاثة جسور للنساء ، ثم عقد لنفسه وحشمه جسرين بباب البستان ، وكان بالزَندَوَرْد جسران عقدهما محمد ، وكان الرشيد قد عقد عند سويقة قاطوليا . فلم تزل هذه الجسور الى أن قتل محمد ثم عطلت وبقي منها ثلاثة الى ايام المأمون ثم عطل واحد)) . وكان أحد هذه الجسور الثلاثة محاذيا ((سوق الثلاثاء وآخر بباب الطاق والثالث في أعلى البلد عند الدار المعزية محاذي الميدان)) وهو الذي ((نقل الى الفرضة بباب الطاق فصار هناك جسران يمضي الناس على أحدهما ، ويرجعون على الآخر)) . قال علي بن الفرج الفقيه الشافعي :

أيا حبذا جسر على متن دجلة   باتقان تأسيس وحسن ورونــــق
جمال وفخر للعراق ونزهـــة   وسلوة من أضناه فرط التشــــوق
تراه اذا ما جئته متأمـــــــلا   كسطر عبير خط في وسط مهرق
او العاج فيه الآبنوس مرقش   مثال فيول تحتها أرض زئـــــبق

---

[٨٥] ديوان أشعار الامير أبي العباس ج٢ ص٢٩٢ .

[٨٦] حكاية أبي القاسم البغدادي ص٨٩ .

وقال المحسن التنوخي :

يوم سرقنا العيش فيه خلسة ... في مجلس بغناء دجلة مفــــــرد

رق الهواء برقة قدامــــــه ... فغدوت رقا للزمــــــان المسـعد

فكأنَّ دجلة طيلســــان أبيض ... والجسر فيها كالطراز الاسود[٨٧]

وزالت هذه الجسور وبنيت غيرها جسور[٨٨] ، ولكن الجسر الذي ذكره علي بن الجهم ظل شاخصا في الاذهان كلما قرئ البيت :

عيون المهابين الرصافة والجسر ... جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

الجـــــو :

وصف الشعراء جو بغداد ، فمنهم من أثنى عليه ، ومنهم من تَذَمَّرَ منه قال الشاعر :

طيب الهواء ببغداد يشوقنـــــي ... قربا اليهـــا وان عاقت مقاديـــر

وكيف أرحل عنها اليوم اذ جمعت ... طيب الهواءين ممدود ومقصور[٨٩]

وقال طاهر بن المظفر بن طاهر الخازن في وصف بغداد وهوائها ودجلتها ومائها :

سقى الله صوب الغاديات محلــة ... ببغداد بين الكرخ فالخلد فالجســر

هي البلدة الحسناء خصت لأهلها ... بأشياء لم يجمعن مذكن في مصر

هواء رقيق في اعتدال وصحــة ... وماء له طعم ألــذ من الخمـــر

ودجلتها شطان قـد نظمـا لنـا ... بتاج الى تاج وقصـــر الى قصـــر

ثراها كمسك والميـــاه كفضــــة ... وحصباؤها مثل اليواقيت والدر[٩٠]

---

(٨٧) تأريخ بغداد ج١ ص١١٦-١١٧ .

(٨٨) تنظر جسور بغداد في كتاب معالم بغداد الادارية والعمرانية ص٢٧٣ وما بعدها .

(٨٩) تأريخ بغداد ج١ ص٥٤ .

(٩٠) تأريخ بغداد ج١ ص٥٣ ، وينظرمعجم البلدان ج١ ص٦٣٤ .

وقال ابن الرومي في نسيم بغداد :

عاد عودي الى ثراه القديم　　وصفت لذتي وطاب نعيمي

وتنسمت من مشارق بغدا　　د نسيما يشفي رداع السقيم[91]

وقال الأبيوردي :

فكأنها جنيت علينا جنة　　وكأنّ دجلة فاض فيها الكوثر

وهواؤها أرج النسيم وتربها　　مسك تهاداه الغدائر أنفر[92]

وضاق ابن المعتز بجو بغداد وبعوضها فقال :

كيف نومي وقد حللت ببغدا　　د مقيما في أرضها لا أريم

ببلاد فيها الركايا عليهـ　　نّ أكاليل من بعوض تحوم

جوها في الشتاء والصيف والفصـ　　ل دخان وماؤها يحموم[93]

كما ضاق بعضهم ببراغيثها فقال :

لقد علم البرغوث حين يعضني　　ببغداد أني بالبلاد غريب[94]

ووصف الطاهر بن الحسين جو بغداد بالقسوة فقال :

زعم الناس أن ليلك يابغـ　　داد ليل يطيب فيه النسيم

ولعمري ما ذاك إلاّ لأن خا　　لفها بالنهار منك السموم

وقليل الرخاء يَتّبِعُ الشـ　　دة عند الأنام خطب عظيم[95]

---

[91] ديوان أبن الرومي ج٦ ص١٤١٧ .

[92] ديوان الابيوردي ج١ ص٣٤٥ .

[93] ديوان اشعار الامير ابي العباس ج٢ ص٤٦٣ .

[94] الحيوان ج٥ ص٣٨٧ ، وتنظر ص٣٨٨ .

[95] معجم البلدان ج١ ص٤٦٤ .

ولكن أبا العلا المعري حبذ جو بغداد وإن كان حارا ، قال :

نعم حبذا قيظ العراق وان غدا   يبث جمارا في مقيل ومضجع[٩٦]

وكان صديق لمطيع بن اياس قد دعاه الى بستان له بكلواذى ، فمضى اليها فلم يستطبها فقال يهجوها :

حبذا عيشنا الذي زال عنـا   حبذا ذاك حين لا حبـــذا ذا

أين هذا من ذاك ؟ سقيا لهذا   ك ولسنا نقول سقيا لهـــذا

زاد هذا الزمان شرا وعسرا   عندنــا اذ أحلنــا بغـــــداذا

بلدة تمطر التراب على القو   م كما تمطر الشمال الـرذ اذا

فاذا ما أعــاذ ربي بـــــلادا   من عذاب كبعض ماقد أعاذا

خربت عاجلا كما خرب الله   بأعمال أهلها كلـــــو اذا[٩٧]

وتمنى بعضهم أن يخرج من بغداد لكي لا يرى التراب الذي تذروه البغال والحمير فقال :

هل الله من بغداد ياصاح مخرجي   فأصبح لا تبدو لعيني قصورها

وميدانها المذري علينا ترابهـــا   اذا شحجت أبغالها وحميرها[٩٨]

وهذا غير ما قاله الآخر في تراب بغداد :

أرض كـــأن ترابهــــا   أبدا بماء الورد يسقـــــى

وتموت أنـوار الريـــا   ض ونورها ماشئت يبقــى

وكأن تربـــة أرضها اجـ   ـتذبت من الكافور عرقا[٩٩]

---

(٩٦) شروح سقط الزند ج٤ ص١٥٤٨ .

(٩٧) تأريخ بغداد ج١٣ ص٢٢٥- ٢٢٦ ، وينظر الاغاني ج١٣ ص٣١٥ ، ٣٢٠ .

(٩٨) معجم البلدان ج١ ص٤٦٥ .

(٩٩) حكاية أبي القاسم البغدادي ص٢٥ .

وقال آدم بن عبد العزيز الاموي في البراغيث ببغداد :

تطاول في بغداد ليلي ومن يكن ... ببغــداد يلبث ليله غير راقــــد

بلاد اذا جن الظلام تقافـــزت ... براغيثها من بين مثنى وواحــد

ديازجة شهب البطون كأنهـــا ... بغال بريد أرسلت في مذاودِ[100]

وقال أعرابي :

فأصبحت سالمت البراغيث بعدما ... مضت ليلة مني طويل رقودهــا

قواطن عندي كلما ذر شـــارق ... ببغداد أنباط القرى وعبيدها[101]

ووصف علي بن الجهم ديمةً رَوَتْ بغداد فقال :

وسارية ترتاد أرضا تجودهــا ... شغلت بها عينا قليلا هجودهــا

أتتابها ريح الصبا وكأنهـــا ... فتاة تزجيها عجــوز تقودهـــا

تميس بها ميسا فلاهي إنْ ونت ... نهتها ولا إنْ اسرعت تستعيدها

اذا فارقتها ساعة ولهت بهـــا ... كأم وليد غاب عنها وليدهـــا

فلما أضرت بالعيون بروقهــا ... وكادت تصم السامعين رعودها

وكادت تميس الارض إما تلهفا ... وإما حذارا أن يضيع مر يدهــا

فلما رأت حر الثرى متعقــدا ... بمازل منها والربى تستريدهــا

وأن أقاليــم العــراق فقيــرة ... اليها أقامت بالعــراق تجودهــا

فما برحت بغداد حتى تفجرت ... بأوديـــة ما تستفيق مدودهـــا

وحتى رأينا الطير في جنباتها ... تكاد أكف الغانيـــات تصيدهــا

---

(100) الحيوان ج٥ ص٣٠٩ ، وينظر تأريخ بغداد ج٧ ص٢٦ ، حكاية أبي القاسم البغدادي ص١٠٦ .

(101) حكاية أبي القاسم البغدادي ص١٠٦ .

وحتى اكتست من كل نور كأنها عروس زهاها وشيها وبرودهـــا

دعتها الى حل النطاق فأرعشت اليها وجـــرت سمطها وفريدهـــا

ودجلة كالدرع المضاعف نسجها أتاها من الريح الشمال بريدها[١٠٢]

وقدم أحد الهجريين بغداد فاستوبأها وقال :

أرى الريف يدنو كل يوم وليلة وأزداد من نجـــــد وساكنه بعـــــدا

ألا ان بغــدادا بلاد بغيضــــــة اليَّ وأن أمست معيشتهـــا رغـــــدا

بلاد ترى الارواح فيها مريضة وتزداد نتنا حين تمطر أو تندى[١٠٣]

ووصف ابن المعتز ثلجا سقط ببغداد فقال :

من لامني اليوم في سكر فلا عذرا هات الكبير وغيري فاسقِ ماصغرا

غــدت مبكــرة للمزن فاحتجبــت شمس النهار ولم تعرف لها خبرا

حتى اذا أثقلت حمـــلا وما بقيــت أرض ببغداد إلاّ ترتجي مطـــــرا

واغرو رقت لانسكاب الماء مقلتها جاءت بثلج كورد أبيض نثرا[١٠٤]

وقال الشريف في سقوط الثلج ببغداد الذي لم يرمثله وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وثلثمائة :

أرى بغداد قد أخنى عليها وَصَبَّحَها بغارته الجليـد

كأن ذرى معالمها قلاص نواء كشطت عنها الجلود

كأن به لغام العيس باتت تساقطه عجال الرجع قود

غَطَّى قمم النجاد فكل واد على نشزاته سيبٌ جديـد

---

[١٠٢] ديوان علي ص٥٦-٥٨ .

[١٠٣] معجم البلدان ج١ ص٤٦٦ .

[١٠٤] ديوان أشعار الامير أبي العباس ج٢ ص١٧٩ .

كما تعرى به الغيطان محلا ... وتغبـر التهايم والنجـود

فمهما شئت تنظر من رباها ... الى بيض عواقبهن سـود

أقول له وقد أمسى مكبـا ... على الأحسان والايدي جمود

وراءك فالخواطر بـاردات ... على الاقطار يضعف أو يزيد

وانك لو تروم مزيد بـرد ... الى برد لأعوزك المزيد[105]

المغـــاني :

عرفت بغداد بمتنزهاتها وكانت تجلب اليها الناس وتحببها الـيهم ، ومن ذلك أن زبيدة قالت لمنصور النمري : قل شعرا تحبب فيه بغداد الى أمير المؤمنين الرشيد فقد اختار عليها الرافقة – الرقة – فقال :

ماذا ببغـداد من طيب الافانيـن ... ومن منـازه للدينـا وللديـن

تحيي الرياح بها المرضى اذا نسمت ... وجوشت بين أغصان الرياحين[106]

وكان في باري بنواحي بغداد بساتين ومتنزهات يقصـدها أهـل البطالة ، قال الحسين بن الضحاك الخليع :

أحب الفيء من نخلات باري ... وجوسقها المشيـد بالصفيـح

ويعجبنـي تنـاوح أركتيهـا ... اليَّ بريح حـوذان وشيـح

ولن أنسى مصارع للسكارى ... ونادبة الحمام على الطلـوح

وكأسا في يمين عقيـد ملك ... تزين صفاته غرر المديح[107]

---

[105] ديوان الشريف الرضي ج١ ص٤٠٦ .

[106] تأريخ بغداد ج١ ص٥١ ، ٥٢ ، والبيتان في ديوان عمارة بن عقيل ص١٠٧ .

[107] أشعار الخليع الحسين بن الضحاك ص٣٦ ، وينظر معجم البلدان ج١ ص٣٢١ .

ودخل احمد بن محمد اليزيدي على المأمون بـ ((قـارا)) وهـو يريد الغزو فأنشده شعرا ذكر فيه ((باري)) و ((القفص)) وهمـا مـن مواطن اللهو في نواحي بغداد :

ياقصر ذي النخلات من بارا	إني حننـت اليك من قـارا
ابصرت أشجارا على نهـر	فذكرت أنهـارا وأشجـارا
لله أيام نعمـت بهـا	في القفص أحيانا وفي بارا[١٠٨]

الديـارات :

كانت الديارات تنتشر حول بغداد ، وكان الشعراء يؤمونها لقضاء الوقت والتنزه والراحة ، وقد تحدثوا عن مرحهم وسعادتهم وهو يطوفـون فيها . ومن تلك الديارات دير درمالس في رقة باب الشماسية وفيه أحسـن عيد ((يجتمع نصارى بغداد اليه ولا يبقى أحد ممن يحب اللهو والخلاعة إلاّ تبعهم ، ويقيم الناس فيه الايام ويطرقونه في غير الاعياد))[١٠٩] ، وفيه قال ابو عبد الله بن حمدون النديم :

يادير درمالس ما أحسنك	ويا غزال الدير ما أفتنك

ودير سمالو بباب الشماسية على نهـر المهـدي ، وهـو احـد متنزهات بغداد المشهورة ، قال محمد بن عبد الملك الهاشمي فيه :

ولرب يوم في سمالو تم لي	فيه السرور وغيبتَ أحزانه[١١٠]

---

(١٠٨) معجم الادباء ج٢ ص٣٤ .

(١٠٩) الديارات ص٤ ، معجم البلدان ج٢ ص٥٠٩ .

(١١٠) الديارات ص١٤ ، معجم البلدان ج٢ ص٥١٦ .

وقال خالد بن يزيد الكاتب :

يامنزل القصف في سمالو مالـــي عن طيبك انتقــــال

وآهـــا لايامك الخوالـــي والعيش صاف بها زلال[111]

ودير الثعالب وهو بالجانب الغربي ((وأهـل بغـداد يقصـــدونه ويتنزهون فيه ، ولا يكاد يخلو من قاصد وطارق ، وله عيد لا يتخلف عنه أحد من النصارى والمسلمين))[112] ، ولابن الدهقانة الهاشمي فيه :

دير الثعالب مألف الضُلال ومحل كل غزالة وغزال

ودير الجاثليق ((وهو دير كبير حسن نزه ، تحدق بـــه البســـاتين والأشجار والرياحين ، وهو يوازي دير الثعالب فـــي النزهـــة والطيـــب وعمارة الموضع لانهما في بقعة واحدة[113]، ولمحمد بن أمية الكاتب فيه :

تذكرت دير الجاثليق وفتية بهم تم لي فيه السرور وأسعفا

ودير مديان وهو على نهر كرخايا ((وهو دير حسن نزه حولـــه بساتين وعمارة[114] ، وللحسين بن الضحاك فيه :

ياذير مديان لاعريت من سكن ماهجت من سقم يادير مديانا[115]

ودير أشمونى ((وعيده اليوم الثالث من تشرين الاول ، وهو مـــن الايام العظيمة ببغداد يجتمع أهلها اليه كاجتماعهم الى بعــض أعيـــادهم ،

---

[111] الديارات ص١٥ ، وينظر ديوان خالد الكاتب ص٥٢٣ .

[112] الديارات ص٢٤ ، وتنظر ص٣٤٣ ، معجم البلدان ج٢ ص٥٠٢ .

[113] الديارات ص٢٨ ، معجم البلدان ج٢ ص٥٠٣ .

[114] الديارات ص٣٢ ، معجم البلدان ج٢ ص٥٣٣ .

[115] أشعار الخليع ص١١٦ .

ولا يبقى أحد من أهل الطرب واللعب إلاّ خرج اليــه[116])) ، ولجحظــة البرمكي فيه :

سقيا لأشموني ولذاتها　　　　والعيش فيها بين جناتها

ودير سابر وهو في الجانب الغربي ، وللحسين بن الضحاك فيه :

في دير سابر والصباح يلوح لي　　　　فجمعت بدرا والصباح وراحا[117]

ودير قوطا وهو بين البردان وبغداد ، وهو نــزه كثيــر البســاتين والمزارع ، وفيه قال عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع :

يادير قوطا لقد هيجت لي طربا　　　　أزاح عن قلبي الاحزان والكربا[118]

ودير مرجرجس ((والمتنزهون من أهل بغداد يخرجون اليه دائما في السميريات لقربه وطيبه ، وهو على شاطئ دجلة))[119] وللنميري فيه :

نزلْتُ بمرما جرجس خير منزل　　　　ذكرت به أيام لهو مضين لــــي

ودير الروم وهو بالجانب الشرقي ، ولمدرك بن علي الشيباني فيه :

وجوه بدير الروم قد سلبت عقلي　　فأصبحت في خبل شديد من الخبل[120]

ودير الزَنْدَوَرْد وهو في الجانب الشرقي ، وهو مشهور بالكروم ، وفيه قال أبو نواس :

فسقني من كروم الزَنْدَ وَرْد ضحى　　　　ماء العناقيد في ظل العناقيدِ[121]

---

[116] الديارات ص٤٦ ، معجم البلدان ج٢ ص٤٩٨ .

[117] الديارات ص٥٤ ، معجم البلدان ج٢ ص٥١٣ ، أشعار الخليع ص٣٧ .

[118] الديارات ص٦٢ ، معجم البلدان ج٢ ص٥٢٩ .

[119] الديارات ص٦٩ .

[120] معجم البلدان ج٢ ص٥١١ ، وينظر ذيل الديارات ص٣٣٧ .

[121] معجم البلدان ج٢ ص٥١٣ ، وينظر ذيل الديارات ص٣٢٨ .

ودير دُرتا وهو في غربي بغداد يحاذي باب الشماسية ، وفيه قال أبو الحسين احمد بن عبيد الله البديهي :

قد أدرنا بدير درتا وَقَدْ سُـ ... ـنا مُجونا إذ قدست رهبانـه[122]

ودير القباب وفيه قال ابن حجاج :

ياخليلي صرفالي شرابـي ... بين درتا والديردير القبـاب[123]

القيـان :

ولم ينس الشعراء حياة الترف واللهو في بغداد ، فصوروها في قصائدهم ، وذكروا مجالس القصف والمغنيات البارعات ، وهم في ذلك يصورون جانبا من حياة حاضرة الدولة العباسية ، وما كان عليه الناس من متع ورفاهية . اذ كانت ((دجلة مشحونة بالمراكب وبالزوارق ، محفوفة بالقصور والجواسق ، يرتفع ما بينها أصوات الاغاني وخفقات النايات والسواني ، وأصوات الملاحين .. إنْ رأيت ترى ـ والله ـ جمالا وكمالا ، وتسمع من ألحانها الشجية سحرا حلالا :

من أي أقطارها أتيت رأيـ ... ـت الحسن حيران في جوانبها

هذا سوى شط العراة ومطالع الفرات))[124]. وجاء في الليلة الثامنة والعشرين من كتاب الامتاع والمؤانسة ((وقد أحصينا ونحن جماعة في الكرخ أربعمائة وستين جارية في الجانبين ، ومائة وعشرين حرة وخمسة وتسعين من الصبيان البدور يجمعون بين الحذق والحسن والظرف

---

[122] معجم البلدان ج٢ ص٥٠٨ وتنظر ص٤٤٩ .

[123] معجم البلدان ج٢ ص٥٢٦ .

[124] حكاية أبي القاسم البغدادي ص٢٣-٢٤ .

والعشرة ، هذا سوى من كنالا نظهر به ولا نصل اليــه لعزتــه وحرســه ورقبائه ، وسوى ما كنا نسمعه ممن لا يتظاهر بالغناء وبالضرب اذا نشط في وقت أوثمل في حال وخلع العذار في هوى قد حالفه وأضـــناه وتــرنم وأوقع وهز رأسه وصعد أنفاسه وأطرب جلاسه ، واستكتمهم حاله وكشف عندهم حجابه ، وادعى الثقة بهم والاستنامة الى حفاظهم)) .[١٢٥]

ولكثرة القيان في بغداد قال بكر بن النطاح :

اذا شئتُ غنتني ببغداد قينة	وإن شئت غناني الحمام المطوق[١٢٦]

وكان أبو نواس من أكثر الشعراء ميلاً الى المتعة قال :

سقيا لبغـــــداد وايامهـــــا	إذ دهرنـــا نطريـــه بالقَصـنــفِ
مع فتية مثل نجوم الدجى	لم يطبعوا يوما على خسف[١٢٧]

ووصف علي بن الجهم مجلسا للقيان فقال :

نزلنا بباب الكرخ أفضل منــزل	على محسنات من قيان المفضل
فلابن سُريج والغريض ومعبــدِ	ودائع في آذاننـــا لم تبـــــدل
أوانس ما فيهن للضيف وحشـــة	ولا ربهـــن بالمهيب المبجــــل
يسر اذا ما الضيف قــل حيــاؤه	ويغفل عنه وهو غيــر مغفــل
ويكثر من ذم الوقـــار وأهلـــه	اذا الضيف لم يأنس ولم يتبــذّلِ

ثم قـــال :

سقى الله باب الكــرخ من متنــزه	الى قصر وضاح فبركة زلــزل

---

(١٢٥) الامتاع والمؤانسة ج٢ ص١٨٣ ، وينظر حكاية أبي القاسم ص٨٧ .

(١٢٦) الحيوان ج٣ ص١٩٧ .

(١٢٧) ديوان أبي نواس ص٦٩١ .

مساحب أذ يال القيان ومسرح الـــ حسان ومأوى كل خرق معـــــذل

منـــازل لا يستتبـــع الغيث أهلها ولا أوجه اللذات عنهـــا بمعـــــزل

منازل لو ان امرأ القيس حلهـــــا لأقصر عن ذكر الدخول فحومل(١٢٨)

ووصف ابن الرومي شاجي جارية عبيد الله بـــن عبـــدالله التـــي برعت بالغناء في عهد المعتضد بالله فقال :

شجو قلبي من سائر الخلق شاجي ليس للقلب دونها من معاج

أفردتها بالقلب افـــراد حســـــن خلقت وحدها بـــــلا أزواج

ومضى في وصف جيدها ، وجبينها ، وشعرها الذي أسبلته جعدا أثيثا ، وجسمها الرخص اللدن ، ثم قال مستغيثا من جمال هذه المغنية :

من مجيري من أضعف الناس ركنا ولعينيه سطوة الحجـــــاج

شادن يرتعـــي القلـــوب ببغـــــدا د ولا يرتعي الخلا بالنباج

أورث القلب سحـــــــر عينيـــه داء ماله غير ريقه من علاج

ولئن قلت شـــــــادن ان قلبـــــي لاسير لغادة مغنـــاج(١٢٩)

وقال في وحيدة المغنية واصفا جسمها وغناءها :

يا خليليّ تيمتني وحسيد ففوءادي بها معنّى عميد

غادة زانها من الغصن قد ومن الظبي مقلتاه وجيد

ثم قال :

ظبية تسكن القلـــوب وترعـــا هـــا وقمريـــة لهـــا تغريـــد

تتغنـــــى كأنهـــــا لاتغنـــــي من سكون الاوصال وهي تجيد

---

(١٢٨) ديوان علي ص٥٢-٥٥ .

(١٢٩) ديوان ابن الرومي ج٢ ص٤٨٧ وما بعدها .

لاتراها هنــاك تجحــظ عــين ... لــك منهــا ولا يــدر وريــد

من هدو وليس فيــه انقطــاع ... وشــجو ومــا بهــا تبليــد

قد في شاوصوتها نفس كـــا ... ف كأنفاس عاشقيها مديــد[130]

وقال واصفا مجلسا للعازفات والمغنيات، وهو يهنئ عبيــدالله بــن عبدالله بالمهرجان :

مهرجــان كأنمــا صــورته ... كيف شاءت مخيرات الاماني

عانيــا دهــره بحــب حبيــب ... وفؤادي ببغضك الــدهر عــاني

لو تراءى لجنة الخلــد صــبت ... واشــرأبت بجيــدها الحُسَّــان

خلقــت للاميــر فيــه ســماء ... لم يكن بدء خلقها مــن دخــان

ونجوم مســعودة لــم يصــبها ... نحــس بهــرام لا ولا كيــوان

وأديل الســرور واللهــو فيــه ... من جميع الهمــوم والاحــزان

لبست فيه حلى حفلتها الدنـــ ... يا وزانت فــي منظــر فتــان

وأذا لت من وشيها كل بـــرد ... كان قدما تصونه في الصــوان

ثم قال :

وقيــان كأنهــا أمهــات ... عاطفات علــى بنيهــا حــواني

مطفلات ومــا حملنــا جنينــا ... مرضــعات ولســن ذات لبــان

ملقمــات أطفــالهن ثــديا ... ناهــدات كأحســن الرمــان

مفعمــات كأنهــا حــافلات ... وهي صفر مــن درة الالبــان

كل طفل يدعي بأسماء شــتى ... بــين عــود ومزهــر وكــران

أمه دهرها تترجـــم عنــــه ... وهو بادي الغنى عن الترجمــان

---

(130) ديوان ابن الرومي ج2 ص763 .

ثم قال :

ذات صوت تهزه كيف شاءت ... مثلما هزت الصباغصن بان
يتثنى فينفض الطل عنه ... في تثنيه مثل حب الجمان
ذلك الصوت في المسامع يحكي ... ذلك الغصن في العيون الرواني
جهوري بلا جفاء على السمـ ... ـع مشوب بغنة الغزلان
فيه بَمّ وفيه زير من النغـ ... ـم وفيه مثالث ومثاني
فتراه يجل في السمع حينا ... وتراه يدق في الاحيان
رخمته ورقرقته وضاهى ... فعلها الاحمران والاسمران
فهو يحكي ترقرق النهي في الريـ ... ـح لعيني ذي غلة صديان
يلج السمع مستمرا الى القلـ ... ـب بلا آذن ولا استئذان[١٣١]

وأشار الشريف الرضي الى أندية الهوى في بغداد ، فقال يتشوق :

أتطلب ياقلبي العراق من الحمى ... ليهنك من حرص عليك بعيد
وان حديث النفس بالشيء دونه ... رمال النقا من عالج لشديد
ترى اليوم في بغداد أندية الهوى ... لها مُبدئ من بعدها ومعيد
فمن واصف شوقا ومن مشتك حشا ... رمته المرامي أعين وخدود[١٣٢]

دور العلم :

كانت بغداد موطن العالم ، وقد وفد اليها الكثير من أرجاء الدولة ، وخرج منها علماء ينشرون العلم في الامصار ، وكانت صحبة العلوم فيها

---

[١٣١] ديوان ابن الرومي ج٦ ص٢٤٩٢ وما بعدها .

[١٣٢] ديوان الشريف الرضى ج١ ص٣٩٠ .

من أحسن ما يرجوه الناس ، قال السري الرفاء الموصلي يذكر قوما من قضاة بغداد فيهم ظرف وأدب :

اذا سقى الله منزلا فسقّى ... بغداد ما حاولت من الديم

يا حبذا صحبة العلوم بها ... والعيش بين اليسار والعدم[132]

وكانت دار العلم من أهم معالم بغداد وقد نهل منها الوافدون كأبي العلاء المعري الذي قال مخاطبا خازنها :

خليليّ لا يخفى انحساري عن الصبا ... فحلا أسارى قد أضربَيَ الربط

ولي حاجة عند العراق وأهله ... فان تقضياها فالجزاء هو الشرط

سلا علماء الجانبين وفتية ... أبنّوهما حتى مفارقهم شمط

ثم قال :

أخازن دار العلم كم من تنوفة ... أتت دوننا فيها العوازف واللغط

اذا جَمَحَتْ خيل الكلام فانما ... لديك يعاني من أعنتها الضبط

وما أذهلتني عن ودادك روعة ... وكيف وفي أمثاله يجب الغبط

وهل يُنْشِطَني من عقالي اليكم ... رضى زمني أم كل شيمته سخط[134]

وأنشأ الخليفة ((المستعصم بالله خزانة للكتب في داره فقال فيها صفي الدين عبد الله بن جميل :

أنشأ الخليفة للعلوم خزانة ... سارت بسيرة فضله أخبارها

تجلو عروسا من غرائب حسنها ... در الفضائل والعلوم نثارها

أهدى مناقبه لها مستعصم ... بالله حسن لآلائه أنوارها[135]

---

(132) ديوان السري الرفاء ج٢ ص٦٧٨ ، وينظر تاريخ بغداد ج١ ص٥٢ .

(134) شروح سقط الزند ج٤ ص١٦٠٦ وما بعدها .

(135) الحوادث الجامعة ص١٨٤ .

ومن مفاخر بغداد المدرسة المستنصرية التي انشـأها المستنصر بالله ، والتي ((لم يبن مثلها قبلها في حسن عمارتها ورفقة بنائها وطيب موضعها على شاطئ دجلة وأحد جوانبها في الماء ، لم يعرف موضع أكثر منها أوقافا ولا أرفه منها سكانا))[١٣٦] وقد تغنى بها الشعراء عند افتتاحها يوم الخميس الخامس من شهر رجب سنة احدى وثلاثين وستمائة للهجرة ، ومن ذلك قصيدة الحسين بن مجد الدين حسن بن الحسين الطاهر الكوفي التي قال فيها :

عمـرت مدرسـة أمـر ... ت بسـمكها وبنائهـا
سَرَّتْ عيـون الناظريـ ... ن بحسـنها وبهائهـا
ليست مدارس مـن مضـى ... فـي الحسـن مـن نظرائهـا
ووسمـت بالمستنصـريـ ... ـة منتهـى أسمائهـا[١٣٧]

وقصيدة أبي المعالي القاسم بن أبي الحديد المدائني الفقيه الشافعي :

ما مُثِّل الفلك العظيم لمبصـر ... في الارض قبل إيالة المستنصر
هذا بنـاء معـرب عـن قـدره ... رفعت قواعـده بفعـل مطهـر
حسدت به الارضَ السماء ولم يزل ... حسد الفضائل في طباع القصـر

وقـال :

وضع الامام بهـا أسـاس بنائـه ... والموج بـين مجمجـم ومزمجـر
قصرا ومدرسة لمن طلب الغنـى ... أورام شـأو العـالم المتبحـر
هي جنة الفردوس يجري تحتهـا ... من ماء دجلة ماء نهر الكوثر[١٣٨]

---

[١٣٦] آثار البلاد وأخبار العباد ص٣١٦ .

[١٣٧] تاريخ مساجد بغداد وآثارها ص٩٠ .

[١٣٨] الحوادث الجامعة ص٥٦ ، تأريخ مساجد بغداد وآثارها ص٩٠ وما بعدها .

وانشد عبد الحميد هبة الدين في اليوم العشرين من رجب قصيدة قال فيها :

أمير المؤمنين لك التهانـــــي تجدد فـــــي رواح وابتكـــــار

وقــــال :

ومُذْ أنشأت دار العلــم قلنـــا عرين الليث جل عــن الوجــار

تضاعلت المدارس اذ رأتهـــا وباتت بالمذلة والصغــــار[139]

وكان على باب المدرسة المستنصرية ((ايوان ركب في صــدره صندوق الساعات على وضع عجيب يعرف منه أوقات الصلوات وانقضاء الساعات الزمانية نهارا وليلا . قال أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي :

ياأيها المنصــور يــا مالكـــا برأيه صـــعب الليــالي يهــون

شــــــيدتَ لله ورضــــــوانه أشرف بنيــان يــروق العيــون

ايوان حسن صـــنعه مــدهش يحار فـــي منظــره النـــاظرون

تهدي الى الطاعات ســاعاته النـــاسَ وبـــالنجم هـــم يهتـــدون

صــــور فيـــه فلـــك دائـــر والشمس تجري مالها من سكون

دائـــرة مـــن لازورد حلـــت نقطةُ تبــر فيــه ســر مصــون

فتلك في الشكل وهــذا معـــا كمثل هاء ركبــت وســط نــون

فهي لأحياء العلي والنــدى دائرة مركزها العالمـــــون[140]

---

[139] تاريخ مساجد بغداد وآثارها ص٩١ وما بعدها .

[140] آثار البلاد وأخبار العباد ص٣١٦ ، الحوادث الجامعة ص٨٣ ، تأريخ مساجد بغداد وآثارها ص٩٧ .

الحنــــين :

هذه بغداد كما وصفها الشعراء ، وكان لابد للناس من أن يتشوّقوا الى رؤيتها ، أو يحنوا اليها وها هو ابن الرومي قد قال في بعض أســفاره يذكرها :

بلد صحبت به الشبيبة والصبا ولبست فيه العيش وهـو جديـد
فاذا تمثل في الضمير رأيتــه وعليه أفنان الشبــاب تميـــد[141]

وقال في قصيدة التي مدح بها المعتضد بالله ، وذكر فـتح آمـد ، وتشوق الى بغداد :

أحن الى بغداد والبيـد دونهــا حنين عميد القلـب حـران فاقـد
وأتركها قصدا لآمـد طائعــا وقلبي اليها بـالهوى جـد قاصـد
ألاهل لايــام تعللـت عيشــها بها عـودة أم لـيس دهـر بعائـد
بلى ربما عاد الزمان بمثل ما بـدا فَحَمِـدْنا فِعْلَــهُ غيــر عامـدِ
فما مثلها للملـك دار خلافـة أجل لا ولا للطيـب مرتـاد رائـد
وما خلتنا مستبدلي بقعة بهــا من الارض لولا شؤم صاحب آمد[142]

ومغادرة بغداد صعبة ، قال أبو محمد الماوردي :

على بغداد معدن كل طيــب ومغنــى نزهــة المتنزهينــا
سلام كلما جرحــت بلحـظ عيون المشتهيـن المشتهينــا

---

[141] ديوان ابن الرومي ج٢ ص٧٦٦ .

[142] ديوان ابن الرومي ج٢ ص٧٨٩ .

دخلنا كارهين لها فلمـــــا ألفناها خرجنــا مكرهينـــا[١٤٣]

وكان عبد الله بن طاهر قد قلد اليمن فلما أراد الخروج قال :

أيرحل آلــف ويقــيم إلـف وتحيا لوعــة ويمــوت قصــف

على بغداد دار اللهو منــي ســلام ماســجا للعــين طــرف

وما فارقتهــا لقلــى ولكــن تناولني مــن الحــدثان صــرف

ألاروح ، ألافَــرَجَ قريــب الاجــار مــن الحــدثان كهــف

لعل زماننا سيعود يومــا فيرجــع آلف ويســـر الــف

فبلغ الوزير هذا الشعر فأعفاه .[١٤٤]

وخرج جماعة من الشعراء في أيام المنصور عن بغداد في طلـب المعاش ، ولم يخرج مطيع بن أياس منها ، لانه كان يهوى جارية يقال لها ((ريم)) لبعض النخاسين ، وقال فيها :

---

[١٤٣] تاريخ بغداد ج١ ص٥٣ ، وينظر معجم البلدان ج١ ص٤٦٣ ، ويقال ان أبا الحسن الماوردي لما خرج من بغداد راجعا الى البصرة كان ينشد أبيات العباس بن الاحنف :

أقمنا كارهين لهــا فلمــا ألفناها خرجنا مكرهينـــا

وما حب البلاد بنا ولكــن أمر العيش فرقة من هوينا

خرجت أقر ما كانت لعيني وخلفت الفؤاد بها رهينــا

وانما قال ذلك لانه من اهل البصرة ، وما كان يؤثر مفارقتها فدخل بغداد كارها لها ، ثم طابت له بعد ذلك فنسي البصرة وأهلها فشق عليه فراقها . وقد قيل ان هذه الابيات لابي محمد المزني الساكن بما وراء النهر (ينظر وفيات الاعيان ج٢ ص٤٤٥ وديوان العباس بن الاحنف ص٢٨٠) .

[١٤٤] معجم البلدان ج١ ص٤٦٣ .

لولا مكانــك فــي مــدينتهم　　لظعنت في صحبي الألى ظعنــوا
أوطنــت بغــدادا بحبكـــم　　وبغيرهــا لولاكــم الوطــن[145]

وقال أشجع السلمي يتشوق بغداد :

اذا ذكرت بغداد لي فكأنمــا　　تحرك في قلبي شباة سنــان[146]

وقال شاعر يتشوق بغداد :

ولما تجاوزت المــدائن ســائرا　　وايقنت يا بغداد أني على بعد
علمــت بــأن الله بــالغ أمـــره　　وأن قضاء الله ينفذ في العبد
وقلت وقلبي فيه ما فيه من هوى　　ودمعي جار كالجمان على خدي
ترى الله يا بغداد يجمع بيننا فألقى الذي حلفت فيك على العهــد[147]

وصحب اسحاق الموصلي الخليفة الواثق في سفر فقــال يتغنــى متشوقا الى بغداد :

أتبكي على بغداد وهــي قريبــة　　فكيف اذا ما ازددت عنها غدا بعــدا
لعمرك ما فارقت بغداد عن قلى　　لوانا وجدنا عن فــراق لهــا بــدا
اذا ذكرت بغداد نفسي تقطعــت　　من الشوق أو كادت تموت بها وجدا
كفى حزنا إنْ رمت لم استطع لها　　وداعا ولــم أحدث بساكنها عهــــدا

فقال الخليفة : اشتقت الــى بغــداد . فقــال : لا والله يــا أميــر المؤمنين ، ولكن من أجل الصبيان . وأنشده :

---

(145) الاغاني ج١٣ ص٣٠٠ .

(146) كتاب الاوراق ص١٢١ .

(147) معجم البلدان ج١ ص٤٦٣-٤٦٤ .

جننت الى أصـــيبية صـــغار وشاقك مـــنهم قـــرب المـــزار
وأبرح ما يكون الشوق يومـــا اذا دنت الديـــــار من الديـــار

فقال الخليفة : ((يا اسحاق صر الى بغداد فأقم مع عيالـــك ، ثـــم صر الينا ، وقد أمرت لك بمائة الف درهم))[148] . وقال علي بن جبلـــة المعروف بالعكوك وقد ارتحل عن بغداد :

لهفي على بغـــداد مـــن بلـــدة كانت بهـــا الاســـقام لـــي جُنّـــه
كأننـــي عند فـــراقي لهـــا آدم لمـــا فـــارق الجَنّـــــه[149]

وكان بعض الناس يرتحل عنها على كره ، ولولا ضيق الحياة بها ما فارقها ((وكان القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر المالكي قد نبابه المقام ببغداد ، فرحل الى مصر ، فخرج البغداديون يودعونه وجعلوا يتوجعون لفراقه فقال : والله لو وجدت عندكم في كل يوم مدا من الباقلى مافارقتكم ، ثم قال :

سلام على بغداد من كل منزل وحقّ لها مني السلام المضـــاعف
فوالله مافارقتها عن قلى لهـــا واني بشـــطي جانبيهـــا لعـــارف
ولكنها ضاقت عليّ برحبهـــا ولم تكن الارزاق فيهـــا تســـاعف
وكانت كخل كنت أهوى دنوه وأخلاقه تنأى به وتخـــــالف[150]

---

[148] حكاية ابي القاسم البغدادي ص٢٦ ، معجم الادباء ج٢ ص٢١١ .
[149] بغداد في الشعر العربي ص٢٤ .
[150] معجم البلدان ج١ ، ص٤٦٢ ، وينظر وفيات الاعيان ج٢ ص٣٨٧ .

وشعر التشوق والحنين الى بغداد كثير ، فما من شاعر عاش فيها ، أو وفد اليها الا كان في قلبه هوى منها وشوق اليها ، فأبو العتاهية يحن اليها لان فيها من أحب :

أمسى ببغداد ظبي لست أذكره ... إلا بكيت إذا ماذكره خطرا
ان المحب اذا شطت منازله ... عن الحبيب بكى أو حن أو ذكرا[١٥١]

ويتشوق اليها لان روحه فيها :

ان روحي لبغدا ... دوفي الكوفة جسمي[١٥٢]

وبكى العباس بن الاحنف لفراقها ، لان الحبيب فيها[١٥٣] ورجا الريح أن تبلغ أهل بغداد السلام فقال :

بلِّغي ياريح عنا ... أهل بغداد السلاما
بأبي من حَرَّمَ النَّوْ ... مَ على عيني وناما[١٥٤]

وودع أبو العلاء المعري بغداد وفي الحشا زفرات :

أودعكم ياأهل بغداد والحشا ... على زفرات ما ينين من اللذع[١٥٥]

واشتاق أبو علي الحسين بن فضلان الى منازلها فقال :

يذكرني برد النسم وطيبه ... منازل في بغداد همت بها وجدا
منازل ما أن زلت فيها منعما ... أجرر من سكر التصابي بها بردا[١٥٦]

---

(١٥١) أبو العتاهية – أشعاره وأخباره – ص٥٤١ .

(١٥٢) أبو العتاهية ٦٤٠ .

(١٥٣) ينظر ديوان العباس ص٣٤ ، ٤٩ ، ١٤٤ .

(١٥٤) ديوان العباس ص٢٣٨ .

(١٥٥) شروح سقط الزند ج٣ ص١٣٤٩ .

(١٥٦) دمية القصر ج١ ص٢٠٦ .

وتحسر الشعراء على أهل بغداد واشتاقوا اليهم ، قال أبو الفتح بن صاعد النصراني :

على ساكني بغداد مني تحية	تحملهـا ريـح الشـمال الـيهم
تخبرهم أني صحبت معاشرا	سواهم فأبكاني الزمان عليهم[157]

وقال الأرجاني :

يا أهل بغداد سقى عهدي بكم	غيث يبيت لكم كـدمعي سـاكبا
لولا خطوب الدهر كنت لعودة	مني اليكم قبـل مـوتي خاطبـا
شوقي اليكم غالب لو لم تكن	غيرُ الليالي الغالبات الغالبـا[158]

وقال عبدالله بن محمد بن علي الخوارزمي :

وأين كبغداد وأين كأهلها	لطالب عرف أو لعرف واحسان[159]

ودعا بكر بن النطاح لبغداد وساكنها بالسقيا فقال :

سقى الله بغداد من بلـدة	وساكن بغداد صـوب المطـر[160]

الشكـــوى :

لم تسلم بغداد من تذمر بعض الشعراء ، وقد يكون ذلك جانبا مـن جوانب الحياة فيها ، فهي كأية مدينة فيها الحـب والكراهيـة ، والامـل والالم ، والخير والشر ، والزهد والفساد ، والعلم والجهل ، ومن ذلك قول يحيى بن زياد الحارثي وقد قدم بغداد فلم يحمد زمانه :

---

[157] خريدة القصر م٢ ج٣ ص١٣٢ .

[158] ديوان الارجاني ج١ ص٢٣١ .

[159] تكملة خريدة القصر ص٧٩٨ .

[160] الاغاني ج١٩ ص١١٦ .

لقد جاورت بغداذا | فما أحببت بغداذا
ولا أحببت كرخايا | ولا أحببت كلواذا
ولا وافقني فيها | أخي ذاك ولا هذا[١٦١]

وعتب على بغداد ، وشكا منها بعض الشعراء كأبي نواس وأبي تمام ، وحيص بيص ، وابن المعتز والشريف الرضي ، وأبي عثمان الخالدي وغيرهم[١٦٢]. وكان بعض الشعراء يرى ان بغداد ليست بدار اقامة لانها سجن ، قال :

ألا ياغراب البين مالك واقفا | ببغداد لا تجلو وأنت صحيح
فقال غراب البين وانهل دمعه | نقضي لبانات لنا ونروح
ألا انما بغدان سجن أقامة | أراحك من سجن العذاب مريح[١٦٣]

ولانها محل الملوك ، قال عمارة بن عقيل :

ترحل فما بغداد دار اقامة | وما عند من أضحى ببغداد طائل
محل ملوك سمنهم في أديمهم | وكلهم عن حلية المجد عاطل[١٦٤]

ولانها ليست مسكن الزهاد ، قال ابن المبارك :

أيها الناسك الذي لبس الصو | ف وأضحى يُعَدُّ في العباد

---

(١٦١) تاريخ بغداد ج١٤ ص١٠٧ .

(١٦٢) ينظر ديوان أبي نواس ص٣٥١ ، ديوان أبي تمام ج٤ ص٤٣٨ ، ديوان حيص بيص ج٣ ص٤٠٥ ، خريدة القصر م١ ج١ ص٢٢٥ ، ديوان أشعار الامير أبي العباس ج٢ ص١٨٧ ، ٤٥١ ، ٤٦٣ ، ديوان الشريف الرضي ج١ ص٢٣٤ ، ديوان الخالديين ص١٢٧ ، يتيمة الدهر ج٢ ص٢٠٧ .

(١٦٣) تأريخ بغداد ج١ ص٦٠ .

(١٦٤) ديوان عمارة ص١٠١ ، تأريخ بغداد ج١ ص٦١ .

الزم الثغر والتعبد فيه　　لیس ببغداد مسكن الزهاد
إنّ بغداد للملوك محل　　ومناخ للقارئ الصياد[١٦٥]

ولانها للاغنياء وليست للمفلسين ، قال ابن الهبارية :

بغداد دار طيبها آخذ　　نسيمه مني بأنفاسي
تصلح للموسر لا لامرئ　　يبيت ذا فقر وإفلاس
لو حلّها هارون رب الغنى　　أصبح ذاهم ووسواس
هي التي توعد لكنها　　عاجلة للطاعم الكاسي
حور وولدان ومن كل ما　　تطلبه فيها سوى الناس[١٦٦]

وقال الشاعر :

سقى الله بغداد من جنة　　غدت للورى نزهة الانفس
على أنها منية المفلسين　　ولكنها حسرة المفلس[١٦٧]

وقال ابو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر المالكي :

بغداد أرض لاهل المال طيبة　　وللمفاليس دار الضنك والضيق
أصبحت فيها مضاعا بين أظهرهم　　كأنني مصحف في بيت زنديق[١٦٨]

وقال طارق بن أثال الطائي في بعض أهل بغداد :

ما أن يزال ببغداد يزاحمنا　　على البراذين أشباه البراذين
أعطاهم الله أموالا ومنزلة　　من الملوك بلا عقل ولا دين[١٦٩]

---

(١٦٥) تأريخ بغداد ج١ ص٦ ، ٢١ ، معجم البلدان ج١ ص٤٦٤ .

(١٦٦) خريدة القصر م١ ج٢ ص٧٦-٧٧ ، وينظر معجم البلدان ج١ ص٤٦٧ .

(١٦٧) لطائف المعارف ص١٧٢

(١٦٨) معجم البلدان ج١ ص٤٦٤ ، وينظر وفيات الاعيان ج٢ ص٣٨٨ .

(١٦٩) البيان والتبيين ج١ ص٢٢٧

وكان الفقراء يحسون بوطأة الغلاء ، وقد عبر عن ذلك ابو العتاهية خير تعبير ، فقال مخاطبا الخليفة هرون الرشيد :

من مبلغ عني الاما	م نصائحا متواليه
أني أرى الاسعا	ر أسعار الرعية غاليه
وأرى المكاسب نزرة	وأرى الضرورة فاشيه
وأرى غموم الدهررا	ئحة تمر وغاديه
وأرى المراضع فيه عن	أولادها متجا فيه
وأرى اليتامى والارا	مل في البيوت الخاليه
من بين راج لم يزل	يسمو اليك وراجيه
يشكون مجهدة بأصـ	وات ضعاف عاليه
يرجون رفدك كي يروا	مما لقوه العافيه
من يرتجي في الناس غيـ	رك للعيون الباكيه
من مُصبيات جوع	تمسي وتصبح طاويه
من يرتجى لدفاع كر	ب ملمه هي ماهيه
من للبطون الجائعا	ت وللجسوم العاريه
من لارتياع المسلميـ	ن اذا سمعنا الواعيه[170]

الاحداث :

عبر الشعراء عن بعض الأحداث ولكنهم مسوها مسا رقيقا ولم يتعمقوا فيها ، ومن الاحداث التي وردت في أشعارهم نكبة بغداد بعد وفاة

---

(170) أبو العتاهية ص٤٣٩ – ٤٤٠ .

هارون الرشيد الذي قسم دولته بين أبنائه الامين والمأمون والمعتصم ، وقد توقع الناس بحرب بينهم فقال أحد الشعراء :

أقول لغمة في النفس مني ودمع العين تطرد اطرادا
خذي للهول عُدَّتَهُ بحزم ستلقي ماسيمنعك الرقادا[171]

وكان ماتوقع الشاعر ، اذ نقض الامين عهد الرشيد ، ودعا الى بيعة ولده ، فسارت جيوش المأمون وطرقت بغداد وضربت عليها حصارا دام أربعة عشر شهرا ، فذاق الناس الويل وحل الخراب والنهب والقتل ، ووقعت الفتنة بين أنصار الامين والمأمون في سنة ست وتسعين ومائة للهجرة ، فقال اسحاق بن حسان الخريمي في بغداد :

يابوس بغداد دار مملكة دارت على أهلها دوائرها
أمهلها الله ثم عاقبها لما أحاطت بها كبائرها
رق بها الدين واستُخِفَّ بذي الـ فضل وعز الرجالَ فاجرها
وصار رب الجيران فاسقُهم وابتز أمرَ الدروب شاطرها
يُخرِق هذا وذاك يهدمها ويشتفي بالنهاب داعرها
والكرخ أسواقها معطلة يستن شذانها وعائرها
أخرجت الحرب من أساقطهم آساد غيل غلبا قساورها
من البواري تراسها ومن الـ خوص اذا استلأمت مغافرها
لا الرزق تبغي ولا العطاء ولا يحشرها بالعناء حاشرُها[172]

---

[171] بغداد في الشعر العربي ص٩٦ .

[172] الشعر والشعراء ج٢ ص٨٥٥ ، عيون الاخبار ج١ ص١٣١ .

وعندما حاصرت جيوش المأمون بغداد بقيادة طاهر بن الحسين قطع الجسرين خزيمة بن خازم – وكان من قواد الامين – ثم لحق بطاهر ، وكان ذلك من أسباب استيلاء طاهر على بغداد فقال الحسين بن الضحاك :

أناخ بجسري دجلة القطع والقنا شوارع والارواح في راحة العضب
وأم المنايا بالمنايا مجيلة تفجع عن خطب وتضحك عن خطب[173]

وقال في خراب بغداد ووحشتها أيام حصارها في الحرب بين جيوش طاهر ابن الحسين وجيوش الامين :

أتسرع الرحلة اغذ اذا عن جانبي بغداد أم ماذا
أما ترى الفتنة قد ألغت الى أولي الفتنة شذاذا
وانتقضت بغداد عمرانها عن رأي لاذاك ولا هذا
هدما وحرقا قد أباد اهلها عقوبة لاذت بمن لاذا
ما أخشن الحالات ان لم تعد بغداد في القلة بغداذا[174]

وقال ابن الضحاك واصفا قصر الخلافة في أيام الفتنة ، وهو يرثي الأمين :

هتكوا لحرمتك التي هتكت حرم الرسول ودونها السجف
ونبت أقاربك التي خذلت وجميعها بالذل معترف
لم يفعلوا بالشط اذ حضروا ما تفعل الغيرانة الأنف
تركوا حريم أبيهم نفلا والمحصنات صوارخ هتف

---

(173) أشعار الخليع ص٢٨ .

(174) أشعار الخليع ص٥١ .

أبدت مخلخلها علـــي دهــش   أبكـــارهن ورتـــت النصـــف
ســلبت معاجرهن واجتليــت   ذات النقاب ونوزع الشنــف[175]

وقال في نساء قصر الخلد واستحلال محارم الخلافة وهو يرثي الامين :

ومما شجا قلبي ويسكب عبرتي   محارم من آل الرسول اسـتحلت
ومهتوكة بالخلد عنها ســجوفها   كعاب كقرن الشمس حين تبـدت
اذا خفرتها روعة مــن منــازع   لها المرط عاذت بالخشوع ورنت
وسرب ظباء من ذوءابة هاشــم   هتفن بدعوى خيرحـــيٍّ وميــت
أرد يدا منــي اذا مــا ذكرتــه   على كبد حـــرى وقلـــب مفتــت
فلا بات ليــل الشامتين بغبطـــة   ولا بلغت آمالهــم ماتمنــت[176]

لقد صور الشعراء جانبا من الفتنة بين الامين والمأمون ، ووقــف بعضهم الى جانب الامين ورثوه ، وصوروا الماسي التي حلت بمحارمه ، وكانوا صادقين في ذلك الصدق كله ، لانهم قالوا الشعر والمأمون خليفــة فلم يخافوا ولم ترهبهم سطوة الحاكم الجديد .

ومن الاحداث التي ألمت ببغداد تحــول الخلفــاء عنهــا بعــد أن بني المعتصم مدينة سامراء ، وصور الشعراء هذا الحدث فقـــال عمــارة بن عقيل :

قضى ربها ألا يمــوت خليفــة   بها انه ما شاء فـــي خلقــه يقضـــي
تنام بها عين الغريب ولن ترى   غريبا بأرض الشام يطمع في غمض
فان جزيت بغداد منهم بقرضها   فما أسلفت الا الجميل مــن القــرض

---

[175] أشعار الخليع ص٧٩ .
[176] أشعار الخليع ص٣٢ .

وأن رميت بالهجر منهم وبالقلى　　فما أصبحت أهلا لهجـر ولا بغض[177]

وأرسل دعبل الخزاعي أبياتا الى المعتصم بعد خروجه منه مغضبا قال فيها :

بغــداد دار الملــوك كانــت　　حتــى دهاهــا الــذي دهاهــا
ما غاب عنها ســرور ملــك　　عــاد الــى بلــدة ســواها
ليس ســرور بســر مــن را　　بــل هــي بــؤس لمــن يراهــا
عجل ربي لهــا خرابــا　　برغم أنف الــذي ابتناهــا[178]

ورثاها محمد بن عبد الملك الزيات بعد انتقال الخلافة الى سامراء فقال :

الآن قام علــى بغــداد ناعيهــا　　فليبكها لخــراب الــدهر باكيهــا
كانت على ما بها والحرب باركة　　والهدم يغدو عليها فــي نواحيهــا
ترجى لها عودة في الدهر صالحة　　فالان أضمر منها اليأس راجيهــا
مثل العجوز التي ولت شــبيبتها　　وبان منها جمال كــان يحظيهــا
لزت بها حرة زهــراء واضحــة　　كالشمس مكسوة درا تراقيهــا[179]

كان انتقال الخلافة الى سامراء غصة في نفوس بعض الشعراء ، لان بغداد موطنهم وفيها أحلى ذكرياتهم ، ولذلك لــم يرتــاحوا ، ودعــا بعضهم لسامراء بالخراب بخلاف الحسين بــن الضــحاك الــذي رأى أن سامراء أكثر سرورا من بغداد ، قال :

---

[177] ديوان عمارة ص٩٧ ، تأريخ بغداد ج١ ص٦٨ .

[178] ديوان دعبل ص٢١١ .

[179] ديوان محمد بن عبد الملك الزيات ٩٦ ، وص١٠٤ من طبعة الامارات العربية الجديدة ، وفيها : أزت بها ...

سر من را أسر مـن بغـداد	فالهُ عن بعض ذكرهـا المعتـاد
حبذا مسرح لها لـيس يخلـو	أبـدا مـن طريـدة وطـراد
ورياض كأنمـا نشـر الزهـ	ـر عليها مُحَبَّـرَ الابـراد[180]

وكان الخليفة الراضي بالله أراد أن يسكن سامراء ويترك بغـداد ، فقال ابو بكر محمد بن يحيى الصولي يحبب اليه بغداد :

بغداد حصن الملوك تـؤمنهم	من كـل بـاغ يخشـى تـورده
وأهلها في الخطوب جيشـهم	بغيـر رزق للجـيش ينقـده
فـأين لا أيـن مثلهـا بلـد	يحـافظ ملكـه يؤيـده
فلا تُرِدْ غيـرها بها بلـدا	أسلم سيـر المغذ أحمـده[181]

ومما ذكره الشعراء دخول القرامطة بغداد اذلاء صاغرين بعد أن قضي عليهم ، وكانت ((ارجوزة المعتضد)) لابن المعتز حافلة بمثل هذا الحدث وغيره من الاحداث التي وقعت في بغداد[182] . وأشار ابن الرومي الى فساد بغداد في عهد إمارة سليمان بن عبدالله[183] والى حـزن بغـداد منه فقال :

كأن بغـداد لـدن أبصـرت	طلعتـه نائحـة تلتـدم
مستقبل منـه ومستدبـر	وجه بخيل وقفـا منهـزم[184]

---

[180] أشعار الخليع ص٤٢ .

[181] أخبار الراضي ص١١٤ .

[182] تنظر الاجوزة في ديوان أشعار الامير أبي العباس ج٢ ص٥ وما بعدها .

[183] ينظر ديوان ابن الرومي ج٢ ص٨١٠ ، ج٥ ص١٨٢١ .

[184] ديوان ابن الرومي ج٦ ص٢٢٤٠ .

وقـــــــال :

نَقَّلوه علـــى الهزيمـــة بغــــ	داد كأنْ قد أتـــى بفــتح عظـــيم
لم يكن مثلــــه يـــولى ولكـــن	حفظوا في الحديث حـــق القـــديم
ضيعوا حرمة الخلافة جهــلا	ورعوا حرمـــة العظـــام الـــرميم
سوف تغنى الفطام منهم اذا ما	أصبح الملك مستباح الحريـــم[(١٨٥)]

وأشار الشريف الرضي الى الدفاع عن بغداد وهو يمـــدح بهـــاء الدولة ويهنئه بشهر رمضان سنة احدى وثمانين وثلثمائة للهجرية ، ولـــم يذكر طبيعة ذلك الدفاع[(١٨٦)] ، واشار الى فتنة وقعت في بغداد ، فقال وهو يمدح أباه ويهنئه بعيد الفطر سنة ثلاثين وثلثمائة للهجرة :

وأقشعت عن بغداد يوما دويه	الى الآن باق في الصبا والجوانـــب
ولولاك عُلِّي بالجماجم سورها	وخنـــدق فيها بالدماء الذوائـــب[(١٨٧)]

وكان آخر ما صوره الشعراء العباسيون نكبة بغداد على يد المغول سنة ست وخمسين وستمائة للهجرة فقد اجتاحوا البلاد ودمروها ووضـــعوا ((السيف في أهل بغداد يوم الاثنين خامس صفر ، وما زالوا فـــي قتـــل ونهب وأسر وتعذيب الناس بأنواع العذاب واستخراج الاموال منهم بـــأليم العقاب مدة أربعين يوما ، فقتلوا الرجال والنساء والصبيان والاطفال فلـــم يبق من أهل البلد ومن التجأ اليهم من أهل السواد الا القليل))[(١٨٨)] . ورأى

---

(١٨٥) ديوان ابن الرومي ج٦ ص٢٢٦٢ .

(١٨٦) ينظر ديوان الشريف الرضي ج١ ص١٧ .

(١٨٧) ديوان الشريف الرضي ج١ ص٩١ .

(١٨٨) الحوادث الجامعة ص٣٢٩ .

الشعراء ماحل بحاضره الدولة فبكوها بكاء مرا ، ورثوها بأشعار شجية تقطر حزنا وألما ، ومن ذلك قول تقي الدين بن أبي اليسر وهو ممن شاهدوا النكبة وفزعوا مما حل ببغداد من نهب وقتل وتدمير :

لسائل الدمع عن بغداد أخبار　　　فما وقوفك والأحباب قد ساروا

يازائرين الى الزوراء لاتفدوا　　　فما بذاك الحمى والدار ديار

تاج الخلافة والربع الذي شرفت　　　به المعالم قد عفاه اقفار

أضحى لعطف البلى في ربعه أثر　　　وللدموع على الآثار آثار[189]

وقال شمس الدين محمد بن عبيد الله الكوفي الواعظ :

يا نكبة مانجا من صرفها أحد　　　من الورى فاستوى المملوك والملك

تمكنت بعد عزفي أحبتنا　　　أيدي الاعادي فما أبقوا ولا تركوا[190]

ولما شاهد ترب الرصافة وقد نبشت قبور الخلفاء ، وأحرقت تلك الاماكن ، وأبرزت العظام والرؤوس ، كتب على بعض الحيطان :

إنْ ترد عبرة فتلك بنو العـ　　　ـباس حلت عليهم الآفات

استبيح الحريم اذ قتل الاحـ　　　ـياء منهم وأحرق الاموات

ومما قال أيضا :

يا عصبة الاسلام نوحوا واندبوا　　　أسفا على ماحل بالمستعصم

دَستُ الوزارة كان قبل زمانه　　　لابن الفرات فصار لابن العلقمي[191]

---

(189) بغداد في الشعر العربي ص١٤٢ .

(190) الحوادث الجامعة ص٣٣٤ .

(191) الحوادث الجامعة ص٣٣٥ .

ووصف شمس الدين محمود بن احمد الهاشمي الحنفي آلامه وأحزانه وهو يرى دمار بغداد فقال :

لما رأيت الدار بعد فراقهم أضحت معطلة من السكان
مازلت أبكيهم وألثم وحشة لجمالهم مستهدم الاركان
حتى رثى لي كل من لاوجده وجدي ولا أشجانه أشجاني

ومضى في تصوير ما كان يجيش في صدره ، وكان يأمل أن تعود الديار الى أيامها الزاهرة ، ولكن هيهات فقد حل بها الدمار ، ومات أهلها أو تفرقوا :

هيهات قد عز اللقاء وسددت طرق المزار طوارق الحدثان
مالي أردد ناظريّ ولا أرى الـ أصحاب فيك جماعة الاخوان
والهفتي وا وحدتي واحيرتي واوحشتي واحر قلبي العاني
مالي أنيس بعدكم غير البكا والنوح والحسرات والاحزان[١٩٢]

ويمثل الشعر الذي قيل في رثاء بغداد عواطف الشعراء وأحاسيسهم ، ويصور الحالة التي آلت اليها المدينة بعد أن دمرها هولاكو بجيوشه البربرية ، واجتاح العمران ، وأغرق الكتب في ماء دجلة ، وقتل وشرد الالاف .

هذه بغداد في الشعر العباسي وقد اتضحت فيه أهم ملامحها وظهر جانباها الشرقي والغربي ، ومحالها ، وأسواقها ، وقصورها ، وأنهارها ، وجسورها ، وجوها ، ومتنزهاتها ، وقيانها ، وتجلى العلم ومجالسه ، وظهر الشوق والحنين ، وبدت اشكوى ، ووقفت الاحداث تروي مأساة

---

[١٩٢] بغداد في الشعر العربي ص١٤٦-١٤٧ .

بغداد في فتنة الامين والمأمون ، وفي اجتياح هولاكو لها وقضـــائه علـــى الخلافة العباسية فيها . وقد تكون هذه الملامح أكثر جلاء واشد وضـــوحا حينما يجمع معظم ما قيل من شعر في بغداد بديوان كبير .

المصـــــادر :

١ـ آثار البلاد وأخبار العباد ـ زكريا بن محمد بن محمـــود القزوينـــي دار صادر - بيروت ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م .

٢ـ أبو العتاهية ـ أشعاره وأخباره ـ تحقيق الدكتور شكري فيصـــل . دمشق ١٣٨٤هـ ١٩٦٥م .

٣ـ أخبار الراضي بالله والمتقي لله من كتاب الاوراق ـ أبو بكر محمـــد بن يحيى الصولي ـ عني بنشـــره ج . هيـــورث دن ـ القـــاهرة ١٣٥٤هـ ـ ١٩٣٥م .

٤ـ أشعار أبي الشيص الخزاعي ـ جمعها وحققتهـــا الـــدكتور عبـــد الله الجبوري ـ بغداد ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م .

٥ـ أشعار الخليع الحسين بن الضحاك ـ جمعها وحققهـــا عبـــد الســـتار فراج ـ بيروت ١٩٦٠م .

٦ـ الاغاني ـ أبو الفرج الاصفهاني ج١ - ٢ و ١٧ - ٢٤ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ، و ج٣ -١٦ طبعة دار الكتب - القاهرة .

٧ـ الامتاع والمؤانسة - أبو حيان التوحيدي ـ تحقيق أحمد أمين واحمد الزين . القاهرة .

٨ـ البيان والتبيين – أبو عثمان الجاحظ . تحقيق عبد السلام محمد هارون ـ القاهرة ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م .

٩ـ تاريخ بغداد أو مدينة السلام – أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، دار الكتاب العربي – بيروت .

١٠ـ تكملة خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء العراق) – عماد الدين الأصبهاني الكاتب – تحقيق محمد بهجة الاثري – بغداد ١٩٨١م .

١١ـ حكاية أبي القاسم البغدادي – محمد بن احمد أبو المطهر الأزدي – هيدلبرج ١٩٠٢ .

١٢ـ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة – كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن الفوطي البغدادي – بغداد ١٣٥١هـ .

١٣ـ الحيوان – ابو عثمان الجاحظ – تحقيق عبد السلام محمد هارون . القاهرة ١٣٥٦هـ – ١٩٣٨م .

١٤ـ خريدة القصر وجريدة العصر (قسم العراق) عماد الدين الاصبهاني الكاتب ج١ بتحقيق محمد بهجة الاثري وبمشاركة الدكتور جميل سعيد – بغداد ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م ، أما الاجزاء الاخرى فبتحقيق محمد بهجة الاثري وحده .

١٥ـ دمية القصر وعصرة أهل العصر – أبو الحسن الباخرزي – تحقيق الدكتور سامي مكي العاني . الطبعة الثانية – الكويت ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .

١٦ـ انديارات – ابو الحسن علي بن محمد المعروف بالشابشتي – تحقيق كوركيس عواد . الطبعة الثانية – بغداد ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م .

١٧ـ ديوان ابن الرومي . تحقيق الدكتور حسين نصار ، القاهرة ١٩٧٣م وما بعدها .

١٨ـ ديوان أبن نباتة السعدي – تحقيق عبد الامير مهدي حبيب الطائي – بغداد ١٩٧٧ .

١٩ـ ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي – تحقيق محمد عبده عزام – دار المعارف – القاهرة ١٩٦٤م وما بعدها .

٢٠ـ ديوان ابي نواس – تحقيق احمد عبد المجيد الغزالي – دار الكتاب العربي – بيروت .

٢١ـ ديوان الأبيوردي – تحقيق الدكتور عمر الاسعد – الطبعة الثانية ، بيروت ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

٢٢ـ ديوان الارجاني – تحقيق الدكتور قاسم مصطفى – بغداد ١٩٧٩م .

٢٣ـ ديوان أسامة بن منقذ – تحقيق الدكتور احمد احمد بدوي وحامد عبد المجيد – القاهرة .

٢٤ـ ديوان أشعار الامير أبي العباس عبدالله بن المعتز – تحقيق الدكتور محمد بديع شريف – دار المعارف – القاهرة ١٩٧٧ – ١٩٧٨م .

٢٥ـ ديوان حيص بيص – تحقيق مكي السيد جاسم وشاكر هادي شكر – بغداد ١٩٧٤م .

٢٦ـ ديوان خالد الكاتب – تحقيق الدكتورر يونس احمد السامرائي – بغداد ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .

٢٧ـ ديوان الخالديين – جمعه وحققه الدكتور سامي الدهان – دمشق ١٣٨٨هـ – ١٩٦٩م .

٢٨ــ ديوان دعبل بن علي الخزاعي – جمعه وحققه عبد الصاحب الدجيلي – النجف الاشرف ١٣٨٢هـ – ١٩٦٢م .
٢٩ــ ديوان السري الرفاء – تحقيق الدكتور حبيب حسين الحسني – بغداد ١٩٨١م .
٣٠ــ ديوان الشريف الرضي – دار صادر – بيروت ١٣٨٠هـ – ١٩٦١م .
٣١ــ ديوان العباس بن الاحنف – تحقيق الدكتورة عاتكه الخزرجي – القاهرة ١٣٧٣هـ – ١٩٥٤م .
٣٢ــ ديوان علي بن الجهم – تحقيق خليل مردم بك – الطبعة الثانيه – بيروت .
٣٣ــ ديوان عمارة بن عقيل – جمعة وحققه شاكر العاشور – البصرة ١٩٧٣م .
٣٤ــ ديوان محمد بن عبد الملك الزيات – تحقيق الدكتور جميل سعيد – القاهرة ١٩٤٩م ، وطبعة المجمع الثقافي بأبوظبي ١٤١١هـ – ١٩٩١م .
٣٥ــ الزاهر في معاني كلمات الناس – أبو بكر محمد بن القاسم الانباري تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن . بغداد ١٣٩٩هـ –١٩٧٩م .
٣٦ــ شروح سقط الزند – دار الكتب – القاهرة ١٣٦٤هـ – ١٩٤٥م .
٣٧ــ شعر علي بن جبلة المعروف بالعكوك – تحقيق الدكتور أحمد نصيف الجنابي – النجف الاشرف ١٣٩١هـ – ١٩٧١م .
٣٨ــ الشعروالشعراء – ابن قتيبة – تحقيق أحمد محمد شاكر – دار المعارف – القاهرة ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م .

٣٩ــ طبقات الشافعية الكبرى – تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي – تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو . القاهرة ١٣٨٣هــ – ١٩٦٤م وما بعدها .

٤٠ــ طبقات الشعراء – عبد الله بن المعتز – تحقيق عبد الستار احمد فراج . دارالمعارف – القاهرة .

٤١ــ عيون الاخبار – ابن قتيبة – دار الكتب – القاهرة .

٤٢ــ كتاب الاوراق (أخبار الشعراء) – أبو بكر محمد بن يحيى الصولي – عني بتحقيقه ج . هيوأرث دن .

٤٣ــ كتاب بغداد – أبو الفضل أحمد بن طاهر الكتاب المعروف بأبن طيفور . القاهرة ١٣٦٨هــ – ١٩٤٩م .

٤٤ــ لطائف المعارف – أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي – تحقيق ابراهيم الابياري وحسن كامل الصيرفي . القاهرة ١٣٧٩هــ – ١٩٦٠م .

٤٥ــ المذكر والمؤنث – ابو بكر محمد بن القاسم الانباري – تحقيق الدكتور طارق عبد عون الجنابي – الطبعة الثانية – بيروت ١٤٠٦هــ – ١٩٨٦م .

٤٦ــ معجم الادباء المعروف بارشاد الاريب الى معرفة الاديب – شهاب الدين ياقوت الحموي – تحقيق د.س مرجليوث . الطبعة الثانية – القاهرة ١٩٢٣م .

٤٧ــ معجم البلدان – شهاب الدين يلقوت الحموي – دار صادر – بيروت ١٣٧٤هــ – ١٩٥٥م .

٤٨ـ وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان – أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – القاهرة ١٣٦٧هـ – ١٩٤٨م وما بعدها .
٤٩ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر – أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . الطبعة الثانية – القاهرة ١٣٧٥هـ – ١٩٥٦م .

المراجع :

١ـ بغداد في الشعر العربي من تاريخها واخبارها الحضارية – جمال الدين الالوسي – بغداد ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .
٢ـ بغداد مدينة السلام – الدكتور صالح احمد العلي – بغداد ١٩٨٥م .
٣ـ تاريخ مساجد بغداد وآثارها – محمود شكري الالوسي – تهذيب محمد بهجة الأثري . بغداد ١٣٤٦هـ .
٤ـ خطط بغداد في العهود العباسية الاولى – الدكتور يعقوب لسنر – ترجمة الدكتور صالح احمد العلي . بغداد ١٩٨٤م .
٥ـ خطط بغداد في القرن الخامس الهجري – الدكتور جورج مقدس – ترجمة الدكتور صالح احمد العلي . بغداد ١٩٨٤م .
٦ـ خطط بغداد وأنهار العراق القديمة – مكسمليان شتريك – ترجمة الدكتور خالد اسماعيل علي . بغداد ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .
٧ـ الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري – الدكتور احمد عبد الستار الجواري – بيروت ١٣٧٥هـ – ١٩٥٦م .
٨ـ معالم بغداد الادارية والعمرانية (دراسة تخطيطية) – الدكتور صالح احمد العلي بغداد ١٩٨٨م .

الصحة والمستشفيات في بغداد في العهد العثماني

الدكتور محمود الحاج قاسم محمد

طبيب أطفال – الموصل

الملخص :

المحور الأول : الأوبئة والأمراض التي اجتاحت بغداد في العهد العثماني:

ذكرنا سنوات إنتشار الطاعون ، الكوليرا = أبو زوعة ، الجدري ، الحصبة ، التيفوس ، الملاريا ، أمراض أخرى كاحمى التيفوئيدية ، والجذام ، وحبة بغداد ، والجمرة الخبيثة ، والسحايا والأنفلونزا ، السفلس (الزهري) .

المحور الثاني : وسائل الدولة في مكافحة الأمراض والوقاية منها :

١ـ الحجر الصحي (الكرنتينة) .

٢ـ دور طبابات البلدية في المحافظة على البيئة من التلوث .

٣ـ التطعيـــــم .

المحور الثالث : أساليب العلاج في العهد العثماني :

أولا ـ الطب الشعبي : ١ـ حكمة العجائز ٢ـ العطارون

٣ـ الطب الروحي ٤ ـ الجراحون الشعبيون

ثانيا ـ أطباء عير متخرجين من كليات الطب :

١ـ أطباء لا يحملون مؤهلا طبيا .

٢ـ أطباء يمارسون الطب العربي القديم .

٣ـ الجراحـــون .

ثالثا ـ الأطباء (القانونيون) المؤهلون من كليات الطب : تم ((إنشاء مدرسة للطب في استنبول عام ٩٥٧هـ / ١٥٤٢م بأمر السلطان سليمان القانوني)) وكذلك ((في سنة ١٢٤٢ هـ / ١٨٢٧م قام السلطان محمود العثماني بمحاولة مبرى في ذلك السبيل فقد أمر بتأسيس أول مدرسة دُرّس فيها الطب الحديث باسم (طبخانة) ومدرسة منفصلة خاصة بالجراحة سميت (جراحتخانة) . واشترط الخط الهمايوني (الأمر السلطاني) الصادر في سنة ١٢٧٨هـ / ١٨٦١م أن يكون أطباء البلديات من خريجي كليات الطب الشاهانية (العثمانية) أو الأجنبية فقط .

المحور الرابع : الإدارة الصحية

ارتبطت الأمور الصحية في الولايات العراقية (بغداد ، الموصل ، البصرة) بالبلديات ، حيث كان يوجد في مجالسها أعضاء أطباء ، وكانت تقوم البلدية في الوقت ذاته بالإشراف على الخدمات الصحية وإدارة المستشفيات .

المحور الخامس : المستشفيات والمؤسسات الصحية

أولا : المستشفيات والمؤسسات الصحية المدنية الحديثة : مستشفى الغرباء في جانب الكرخ . مستشفى نامق باشا . مستشفى دار المعلمين . المستشفيات الأهلية . طبابة البلدية . الصيدليات الخاصة .

ثانيا : المؤسسات الصحية العسكرية : المستشفى العسكري القديم .

المستشفى العسكري المركزي (المجيدي) . مستشفى السبع أبكار . مستشفى الموقع الأول والثاني .

المحور السادس : العاملون في الحقل الطبي

أولا ــ الأطباء في القرن الأولى من الحكم العثماني

ثانيا : الأطباء في القرون الثلاثة الأخيرة من الحكم العثماني :

أ ــ الأطباء والمتطببون المدنيون : لقد تناولنا الحديث عن ٤٥ طبيب .

ب ــ الأطباء العسكريون العاملون في مستشفى بغداد المركزي العسكري وسنوات تواجدهم : كان عددهم ٣٣ من إختصاصات مختلفة .

ثالثا : الأطباء في بغداد في بدايات القرن العشرين : عددهم ٥٧ .

المقـــدمــــة :

من المعروف بأن عوامل الضعف قـد زحفـت علـى الأقطـار العربية ، ومنها العراق قبل السيطرة العثمانية بوقت طويـل . فـالحروب الصليبية وما صاحبها من دمار في الأنفس والديار ، والغزوة التترية بقيادة هولاكو التي قضت على الدولـة والخلافـة العباسـية بـاحتلال بغـداد (٦٥٦ هــ – ١٢٨٥ م) وما صاحبها من خـراب شـامل ، أدت إلـى إندراس معاهد العلم والطب وأهلها . وبعد هذه النكبة العمياء مـرّ علـى العراق عهد طويل من اصطراع القوى الأجنبية المجاورة على مقدراتـه (المغول الألخانيون وهم سـلالة هولاكـو ٦٥٦ – ٧٣٩هــــ /١٢٨٥ –

١٣٣٨ م ، ومن بعدهم الجلائريون الذين كانوا امتدادا للألخانيين ٧٣٩ - ٨١٤ هـ / ١٣٣٨ - ١٤١٠ م ، وتلاهم التركمانيون القره قويلنو (الخروف الأسود) والآق قويلنو (الخروف الأبيض) ٨١٤ - ٩١٤ هـ / ١٤١٠ - ١٥٠٨ م ، والفرس الصفويون ٩١٤ - ٩٤١ هـ / ١٥٠٨ - ١٥٣٥ م ، وأخيرا العثمانيون ٩٤١ - ١٣٣٨هـ / ١٥٤٣ - ١٩١٨ م) .

وهكذا عاش العراق قرونا مليئة بالأحداث ، صار خلالها مسرحا للأهواء وتصادم المطامع والفتن والاحتجاجات ، فحلت به النوائب والخطوب ، وتمخض عن ذلك كله نتائج سلبية في أوضاعه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية ، مما أدى إلى أفول مراكز الإشعاع العلمي ، وفقدان نظام الحسبة سلطانه وسيطرة الجهل والشعوذة ، وحصيلة ذلك كله كان تدهورا في الطبابة وأساليب العلاج . ويمكن إجمال أسباب التدهور الصحي في العراق بشكل عام وبغداد جزء منه خلال الفترة (١٢٨٥ - ١٩١٤ م) بما يأتي :

١ . الفقر والمجاعات نتيجة القحط الحاصل من قلة الأمطار أو هجمات الجراد ، فضلا عن تخلف أساليب الزراعة .

٢ . كثرة المستنقعات والبرك الآسنة نتيجة الفيضانات .

٣ . عدم توفر النظافة العامة وعدم الاهتمام بالبيئة وحمايتها من التلوث مثل (وجود المقابر والمدابغ ومحلات الذبح) داخل المدن ، وعدم

توفير مياه الشرب المعقمة ، وعدم وجـود نظـام لتصـريف الميـاه الآسنة والثقيلة .

٤ . ضعف الوعي الصحي لدى السكان في الإجراءات التي تتخذ للوقايـة من انتشار الأمراض واعتمادهم في المعالجة على المشعوذين نتيجـة لتفشي الجهل والخرافات .

٥ . سوء الإدارة وعدم استقرار الولاة وعدم الاهتمام بأحوال البلـد مـن قبل بعضهم ، وعدم استتباب الأمن ، وتعـرض العـراق للحـروب المتكررة والحصار .

٦ . عدم وجود إدارة صحية كفوءة ، وقلـة الملاكـات الطبيـة المؤهلـة والمدربة ، وعدم وجود عدد كاف من المستشفيات والمستوصفات .

بعد هذه المقدمة ندخل في صلب الموضوع الـذي قسـمناه إلـى سـتة محاور هي :

المحور الأول : الأوبئة والأمراض التي اجتاحت بغداد في العهد العثماني:

سار الطب في العراق في العهد العثماني ولاسيما في بداياتـه فـي الطريق نفسه من التخلف فتردت الأوضاع الصحية بشكل بين ، وانتشرت الأمراض والأوبئة وغالبا ما كانت تلك الأوبئة تؤدي إلى هلاك الكثيـرين ولاسيما سكان المدن المزدحمة ، وأهم هذه الأوبئة التي ذكرها المؤرخون في هذه الفترة كانت كما يأتي :

١ – **الطاعون** : حدثت خلال العهد العثماني في العراق موجات متكررة

من وباء الطاعون ، أحصينا منها ثمانية وعشرين موجة ، نكتفي هنا بذكر سنوات حدوثها من دون ذكر التفاصيل لضيق المجال [1] :

---

(1) للمزيد من التفصيل يراجع المصادر التالية :

- الورد ، باقر أمين : حوادث بغداد في ١٢ قرن – مكتبة النهضة ، بغداد ١٩٨٩ ، ص ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٦ .
- العزاوي ، عباس : تاريخ العراق بين احتلالين – ج ٦ ، ص ٩٧ .
- لونكريك ، ستيفن هيسلي : أربعة قرون في تاريخ العراق الحديث – ترجمة جعفر الخياط ، الطبعة ٦ ، ص ١٤٩ ، ١٩١ ، ٢٢٦ ، ٢٣١ .
- العمري ، ياسين ، منية الأدباء – تحقيق سعيد الديوه جـــي ، الموصــل ١٩٥٥ ، ص ١٨٨ – مجلة المعهد الطبي – ج ٣ ، المجلد الأول ، بغداد ١٩٣٥ .
- الكركوكلي ، الشيخ رسول : دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء – نقله عن التركية موسى كاظم نورس ، مكتبة النهضة ، بغداد بدون تاريخ ، ص ٢١٦ ، ٢١٧ .
- ابن سند ، عثمان : مطالع السعود – تحقيق الدكتور عمـــاد عبـد الســلام رؤوف وسهيلة عبد المجيد القيسي ، الدار الوطنية للنشر والتوزيـــع ١٩٩٠ ، ص ٢٥٣ ، ٣٣٨ .
- بـدج ، واليس : رحلات إلى العراق – ترجمة فــؤاد جميــل ، بغـداد ١٩٦٦ ، ص ٤٣ .
- نفوسيل ، بيردي : الحياة في العراق منذ قــرن (١٨١٤ – ١٩١٤) – ترجمـــة أكرم فاضل ، دار الجمهورية ، بغداد ١٩٦٨ ، ص ٥٣ .
- الوتري ، الدكتور هاشم / الشابندر ، الدكتور معمر : تاريخ الطب العراقي – بغداد ١٩٣٩ ، ص ١١ .
- ج . ج . لوريمر : دليل الخليج العربي ، القسم التاريخي – ج ٦ ، طبعة جديـــدة معدلة ومنقحة أعدها قسم الترجمة بمكتب أمير دولة قطر (الدوحة) ص ٣٦٧٤ .
- التميمي ، حميد أحمد حمدان : البصرة في عهد الاحــتلال البريطـــاني ١٩١٤ – ١٩٢١ – مطبعة الإرشاد ، بغداد ، بدون تاريخ ، ص ٣٩٢ .
- أحمد ، الدكتور إبراهيم خليل : الأمراض والأوبئة وتأثيرها في المجتمع الموصلي خلال العصور الحديثة – مجلة التربية والعلم ، العدد التاسع ، ١٩٩٠ ، ص ١٠٨.

١٠٢٨ هـ / ١٦١٩ م ، ١٠٣٥ هـ / ١٦٢٥ م ، ١٠٤٥ هـ / ١٦٣٥ م ، ١٠٤٨هـ /١٦٣٨م ، ١٠٥٣ هـ / ١٦٤٣ م ، ١٠٥٥ هـ / ١٦٤٥ م ، ١٠٦١ هـ / ١٦٥٠ م ، ١٠٨٠هـ/١٦٦٩م ، ١١٠١ هـ / ١٦٨٦ م ، ١١٠٢ هـ / ١٦٩٠ م ، ١١٣١ هـ / ١٧١٨ م ، ١١٥١هـ/١٧٣٨م ، ١١٥٢ هـ / ١٧٣٩ م ، ١١٦٠ هـ / ١٧٤٧ م ، ١١٨٦ هـ / ١٧٧٢ م ، ١١٨٨هـ/١٧٧٤م ، ١١٩٨ هـ / ١٧٨٣ م ، ١٢٠٠ هـ / ١٧٨٥ م ، ١٢١٦ هـ / ١٨٠١ م ، ١٢١٧هـ/١٨٠٦م ، ١٢٣٥ هـ / ١٨١٩ م ، ١٢٣٦ هـ / ١٨٢٠ م ، ١٢٦٤ هـ / ١٨٤٧ م ، ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م ، ١٢٩٩ هـ / ١٨٨١ م ، ١٣١٠ هـ / ١٨٩٢ م ، ١٣١٩ هـ / ١٩٠١ م ، ١٣٣٦ هـ/١٩١٧ م . ولابد من التنويه بأن هذه الموجات كانت متفاوتة الشدة ، بعضها حصدت الألوف وبعضها مئات الألوف من البشر وفي أحدها أجهز الوباء على ثلثي سكان بغداد .

٢ - الكوليرا = الهيضة = أبو زوعة = الهواء الأصفر : لقد أحصينا موجات انتشار الكوليرا في العراق في العهد العثماني فكانت خمس عشرة موجة ، ولسبب نفسه سأكتفي بذكر سنوات تفشيها من دون التفاصيل [٢] :

---

[٢] للمزيد من التفصيل يراجع المصادر التالية :

- لوريمر : دليل الخليج – القسم التاريخي ، ج ٦ ، ص ٣٦٤٩ ، ٣٦٤٩ ، ٣٦٥٢ ، ٣٦٥٥ ، ٣٦٥٦ ، ٣٦٦٥ ، ٣٦٦٦ . التميمي : البصرة في عهد الاحتلال البريطاني – ص ٣٩٢ . الورد : حوادث بغداد ، ص٢٦٨ .

١٢٣٦ هـ / ١٨٢٠ م ، ١٢٤٦ هـ / ١٨٣٠ م ، ١٢٦٣ هـ / ١٨٤٦ م ، ١٢٦٤ هـ/١٨٤٧م ، ١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥ م ، ١٢٨٨ هـ / ١٨٧١ م ، ١٢٩٩ هـ / ١٨٧١ م ، ١٣٠٧ هـ/١٨٨١م ، ١٣١١ هـ / ١٨٩٣ م ، ١٣١٢ هـ / ١٨٩٤ م ، ١٣١٧ هـ / ١٨٩٩م ، ١٣٢٠ هـ/١٩٠٢م ، ١٣٢٢ هـ / ١٩٠٤ م ، ١٣٣٥ هـ / ١٩١٦ م ، ١٣٣٦ هـ / ١٩١٧ م . إن موجات الهيضة (الكوليرا) أيضا كانت تحصد الكثيرين إلاّ أنها لم تكن بشدة الطاعون .

٣ - **الجدري والحصبة** [٣] :

تكرر ظهور هذه الأمراض في الموصل في السنوات١١٧٣ هـ / ١٧٥٩ م ، ١٢٠٣ هـ / ١٧٨٨ م ، ١٢٠٩ هـ / ١٧٩٤ م، ١٢١٢،

سالنامة ولاية البصرة لسنة ١٣٠٨ هـ / ١٨٩٠ م ، ص ٣١٤ . رحلة فريزر إلى بغداد : ترجمة جعفر الخياط ، بغداد ١٩٦٤ ، ص١١٠ . نفوصيل : الحياة في العراق ، ص٥١ . حكمت : الدكتور عبد الحكيم : استكشافات طبية (دراسات طبية) - مخطوط باللغة التركية العثمانية ، مكتبة جامعة استنبول رقم (٤٣٢٠) ، قمنا بترجمته إلى العربية ونشر باسم المسح الطبي لولاية بغداد سنة ١٨٨٩ م - الكتاب التكريمي للمؤرخ خليل الساحلي أوغلو ، منشورات مؤسسة التميمي - زغوان - تونس ١٩٩٧ .

[٣] للمزيد من التفصيل يراجع : الدكتور إبراهيم خليل : الأمراض والأوبئة ، مصدر سابق ، ص ١٠٩ - ١١١ نقلا عن غرائب الأثر ، ص ١٣ ، ١٠٠ . الورد ، باقر : حوادث بغداد ، ص ١٩٦ . مجلة لغة العرب ج ٤ ، السنة الثانية ، ١٩١٢ ، ص ١٦٣ . لوريمر : دليل الخليج - القسم التاريخي ج ٦ ، ص٣٧١٠ .

هـ/ ١٧٩٨م . وانتشر الجدري في البصرة والمحمرة عام ١٩٠١ م ، وكذلك سنة ١٩١٨ م .

٤ – **التيفوس** [٤] : ظهر في بغداد سنة ١٣٣٤ هـ / ١٩١٥ م بعد معركة سلمان باك حيث كان قد نقله النازحون من الأناضول جنوبا خلال الحرب العالمية الأولى .

٥ – **الملاريا** : مع أن المرض كان متوطنا في البصرة إلاّ أنه انتشر بشكل وبائي عام١٨٧٦ م [٥] . وكذلك تفشت الملاريا في أثناء الحرب العالمية الأولى ، وذكر أن مصدر العدوى بها كانت الهند [٦] .

٦ – **أمراض أخرى** : وكان فضلا عما ذكرنا أمراض أخرى معدية متوطنة تظهر بين الحين والآخر كالحمى التيفوئيدية ، والجذام ، وحبة بغداد ، والجمرة الخبيثة ، والسحايا ، والأنفلونزا ، السفلس (الزهري) . على سبيل المثال [٧] جاء في مجلة لغة العرب سنة ١٩١٢م . ((مازالت الأمراض الوافدة كثيرة في البلدة ولاسيما في

---

(٤) أوزباي ، الدكتور كمال : الطبابة العسكرية التركية في العراق في أواخر الدولة العثمانية ، ترجمة الدكتور محمود الحاج قاسم محمد ، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية – العدد ٢٢ ، ٢٠٠٠ ، ص ١٨٦ ، ١٩٠ .

Ozbay : Dr Kemal – TurkAsker Hekimligi Tarihi Ve Asker Hastanele 4 oruk Basim evi – Istanbul 1981. Sahifa 186 ,190 .

(٥) العامر ، يقضان سعدون : البصرة في العهد العثماني الأخير – موسوعة البصرة الحضارية ، الموسوعة التاريخية ، ج ١ ، ص ٢٦٠ .

(٦) التميمي : البصرة في عهد الاحتلال البريطاني – ص ٤٠٤ .

(٧) مجلة لغة العرب : ج ٩ ، ١٩١٢ ، ص ٣٦٧ . الدكتور إبراهيم خليل : الأمراض والأوبئة ص ١٠٩ بالأصل نقلا عن العمري : غرائب الأثر ، ص ١٣ .

محلة النصارى فإن الحمى التيفوئيدية ويسميها العوام النقطة ، تفتك فتكا ذريعا ولاسيما في الأولاد)) . وأخيرا لابد من الإشارة إلى أن أغلب هذه الأوبئة والأمراض كانت تفد إلى العراق من الهند وبلاد فارس عن طريق الزوار والقوافل التجارية .

المحور الثاني : وسائل الدولة في مكافحة الأمراض والوقاية منها :

إن وسائل الدولة في الأدوار الأولى من الحكم العثماني كانت متواضعة ودون المستوى المطلوب . إلاّ أن السلطات بدأت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تشعر وتتحسس بوطأة الأمراض والأوبئة ، الأمر الذي دفعها لإجراء دراسات ميدانية لأجل الوقاية من الأمراض فعلى سبيل المثال : قام السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ – ١٩٠٩ م) بتكليف هيئة طبية من ثلاثة أطباء برئاسة أحد أساتذة كلية الطب في استنبول بزيارة خمس من الولايات العربية (طرابلس الغرب ، وبنغازي ، الحجاز ، اليمن ، بغداد) وإجراء مسح طبوغرافي طبي وكتابة تقرير تفصيلي عن الحالة الصحية ، ودراسة أسباب انتشار الأمراض ، سبل الوقاية منها ، وأساليب المعالجة المتبعة في تلك الولايات ، وقد قامت الهيئة بذلك خلال ثلاث سنوات (١٨٨٧ – ١٨٩٠) وقدمت تقريرها على هيئة كتاب باسم ((استكشافات طبية = أي دراسات طبية)) . ومن المقترحات لمنع التلوث وتحسين البيئة التي قدمتها في التقرير بالنسبة لولاية بغداد ((رفع المقابر من داخل المدن إلى خارجها ، ودفن الموتى بشكل صحي ، ورفع المدابغ من داخل المدن ، عمل إسالة ماء

للشرب ، عمل مجاري لتصريف المياه الثقيلة. . الخ)) [٨]. ومن بين الإجراءات التي طبقت من قبل السلطات لمكافحة الأمراض والوقاية منها ما يأتي :

١ . **الحجر الصحي (الكرنتينة)** : تأسس نظام الحجر الصحي في استنبول عام ١٢٥٤ هـ / ١٨٣٨ م [٩] وقد صدر نظام الكرنتينة وملحقاته سنة ١٢٧٩ هـ / ١٨٦٢ م [١٠].

ويبدو أن عام ١٨٦٤ م قد شهد بداية قيام السلطات العثمانية بتطبيق إجراءات الحجر الصحي بشكل بسيط على الوافدين إلى العراق [١١].

((أما بشأن محطة الحجر الصحي في البصرة فإنها افتتحت في ١٨٩٥م في النهاية الشمالية لجزيرة صلاحية الواقعة في شط العرب)) [١٢].

((وكانت دائرة الكرنتينة الرئيسة في بغداد)) ((كما انتشرت الدوائر التابعة لها في مناطق مختلفة من الولاية في كل من خانقين ومندلي وزرباطية والنجف وكربلاء والمسيب والكاظمية)) [١٣].

---

[٨] حكمت ، الدكتور عبد الحكيم : استكشافات طبية – المخطوط ، ص ٣٤٠ ، ٣٤٦ .

[٩] العزاوي : العراق بين احتلالين – ج ٧ ، ص ٤١ .

[١٠] العلوجي : الطب العراقي – ص ١١١ .

[١١] القهواتي ، حسين محمد : دور البصرة التجاري في الخليج العربي – بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ٥٣ .

[١٢] آدموف ، ألكسندر : ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها – ترجمة الدكتور هاشم صالح التكريتي ، الطبعة الأولى ١٩٨٢ ، ج ١ ، ص ١٢٢ .

[١٣] سالنامة ولاية بغداد لسنة ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م ، ص ٣٣٢ .

ويبدو أن هذه الدوائر لم تكن بالمستوى المطلوب فقد وجهت الانتقادات إلى موظفيها لعدم كفاءتهم ونزاهتهم ، وإلى الدوائر لعدم توفر وسائل الراحة فيها وعدم حدوث أي تطور فيها طيلة الفترة العثمانية .

٢ – **دور طبابات البلدية في المحافظة على البيئة من التلوث** : كان دور طبابات البلدية بارزا في العقود الأخيرة من الحكم العثماني في مكافحة الأوبئة والوقاية من الأمراض وبذلها جهودا مكثفة بالتنظيفات والتطهيرات .

٣ – **التطعيم** : يشير لوريمر إلى أن طبيب المقيمية (القنصلية) ببغداد أدخل نظام التطعيم سنة ١٨٠٢ م ضد الطاعون [١٤].

ومنذ عام ١٨٠٩ م تمكن التاجر الإستانبولي الأصل أوانيس مراديان وزوجته تريزا من تلقيح أكثر من (٥٤٠٠) طفلا ضد الجدري في مدة تسع سنوات ، وعلّم القس بطرس بن بشارة أصول التطعيم وقام هذا الأخير بإدخال التلقيح إلى الموصل [١٥]. وجرى أول مرة في بغداد تطعيم ضد الهيضة سنة ١٩١٧ م [١٦]. وقد أنشئ أبان ولاية نامق باشا دائرة اللقاح البقري ضد الجدري [١٧]. واعتبارا من نهايات

---

[١٤] لوريمر : دليل الخليج – القسم التاريخي ، ج ٦ ، ص ٣٧٠٩ .

[١٥] العلوجي : تاريخ الطب العراقي ، ص ١٤٧ – ١٤٨ .

[١٦] علي ، الدكتور داؤد سلمان : الأوضاع الصحية في بغداد أثناء الفترة المظلمة من تاريخها من الاحتلال العثماني إلى الاحتلال البريطاني – ندوة بغداد دار السلام ، ١٩٩٠ ، ص ٢٣١ .

[١٧] سالنامة بغداد لسنة ١٣١٩ هـ / ١٩٠٢ م ، ص ٤٨٩ .

القرن التاسع عشر صدرت قوانين عديدة تنظم التلقيحات مما يدل على تحسس السلطات الصحية العثمانية إلى أهمية القيام بذلك بشكل عام .

المحور الثالث : أســاليب العلاج في العــهد العثماني[١٨]

أولا – الطــب الشعــبي :

لم تخرج أساليب العلاج في الفترة العثمانية الأولى عــن دائــرة الطب الشعبي والطب التقليدي ، وكان حال الطب في العالم كله كذلك فــي تلك الحقب . وبقي الطب متخلفا في العالم حتى اكتشاف المجهر والأشــعة والمكروبات واللقاحات ، وتم ذلك بصعوبة وعلى نحو بطيء جدا ابتــداءً من القرنين السادس عشر والسابع عشر ، والطب الشــعبي هــذا يمكــن تقسيمه إلى :

١ . **حكمة العجــائز** : أي تلك الوصفات والمعلومــات الشــعبية التــي يتوارثها الأولاد عن الآباء والأمهات بلا تدريب نظامي أو تلمذة فــي نظام طبي معترف به أو شبه معترف به . وهذه الوصفات قد يختص بها بعض كبار السن وبعضها تكون شائعة لدى الغالبية ، حيث يذهبون إلى العطار لشرائها .

---

(١٨) انظر حكمت ، الدكتور عبد الحكيم : استكشافات طبية (المخطوط) . الشطي ، الدكتور أحمد شوكت : العرب والطب ، دمشق ١٩٧٠ ، ص ١٣٥ . العلــوجي : الطب العراقي ص ١٤٦ . خلف : التبشير في منطقة الخليج العربــي ، الكويــت ١٩٨٢ ، ص ٨٦ – ٨٩ .

٢ . **العطارون** : هم الذين يقومون ببيع الأدوية العطارية لمن يطلبها (سواءً بصورة شخصية أو بوصفة طبيب شعبي) أو يصفها العطار بعد سماع شكوى المريض .

٣ . **الطب الروحي** : يعتمد هذا النوع من الطب على فلسفة (الإيمان والاعتقاد) إيمان الطرف الذي يمارس الطب الروحي أنه قادر بإذن الله على شفاء ألم المرضى أو تخفيفه ، واعتقاد الناس إلى حد اليقين بأن الرقية والتعاويذ وكرامة الأولياء تشفيهم . وكان بجانب هؤلاء مشعوذون يقومون بمعالجة المرضى بالخزعبلات والزار ووصف وصفات خرافية .

٤ . **الجراحون الشعبيون** : وهم الحلاقون والختانون والجوالون حيث كان هؤلاء يقومون ببعض الأعمال الجراحية كالحجامة والفصد والكي وفتح الخراجات وقلع الأسنان والختان والبواسير وعمليات الساد (الماء الأبيض في العين) وإخراج حصاة المثانة .

أما الولادات ومعالجة الأمراض النسائية ومعالجة الأطفال فكانت الدايات والقابلات يقمن بذلك.

ثانيا – أطباء غير متخرجين في كليات الطب : وهؤلاء كانوا على ثلاثة أنواع :

١ – **أطباء لا يحملون مؤهلا طبيا** : وإنما يحملون مؤهلا غير معترف به من قبل كليات الطب العثمانية ، إلاّ أنهم يتصرفون ويعالجون بالأدوية الغربية العصرية . ومعظم هؤلاء يكشفون على مرضاهم في منازلهم

أو في عيادات خاصة لا يتقاضون أجور الفحص إلاّ أنهم يأخذون مبلغا معينا عن كل وصفة يصرفها الصيادلة .

٢- **أطباء يمارسون الطب العربي القديم** : (وكان يطلق على أحدهم اسم الحكيم) ، وهم غير مؤهلين وغير مرخص لهم من قبل كليات الطب ولا يوجد قانون ينظمهم ويراقبهم ويحميهم . وكان هؤلاء يتلقون تدريبا ودراسات طبية على يد أساتذة وأطباء من هذا الصنف ، وأن تلك الدراسات كانت مبنية على قواعد علمية ومعارف طبية جاءت في مؤلفات الأطباء اليونان والعرب والمسلمين في العهود السابقة أو المؤلفات الجديدة لبعض المتأخرين . وكان هؤلاء يصرفون العلاج في منازلهم مقابل مبلغ معين كما كانوا يحضرون بعض الأدوية المركبة وعموما كانت أدويتهم من الأعشاب والحشائش الطبية .

٣ - **الجراحون** : المتتبع لملاكات طبابات الجيش والبلدية والمستشفيات في سالنامات الولايات في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين ، يجد بأنه فضلا عن الأطباء كان هناك أشخاص معينون بوظيفة (جراح) مهمتهم القيام بالأمور الجراحية البسيطة فقط أو مساعدة الأطباء الجراحين المؤهلين .

ثالثا - الأطباء (القانونيون) المؤهلون من كليات الطب :

حاول القائمون على الحكم العثماني منذ وقت مبكر رفع المستوى العلمي الذي كان في تدهور مستمر ومن تلك المحاولات إنشاء المجمع الطبي العثماني في القرن الخامس عشر الميلادي و((إنشاء مدرسة للطب في استنبول عام ٩٥٧ هـ / ١٥٤٢ م بأمر

السلطان سليمان القانوني)) وكذلك ((في سنة ١٢٤٢ هـ / ١٨٢٧ م قام السلطان محمود العثماني بمحاولة كبرى في ذلك السبيل فقد أمر بتأسيس أول مدرسة طبية راقية باسم (طبخانة)... دُرّس فيها الطب الحديث ... وأنشأ في التاريخ عينه مدرسة منفصلة خاصة بالجراحة سميت (جراحتخانة) ، ثم ألحقت عام ١٢٥٢ هـ / ١٨٣٧ م بمدرسة الطب . وفي عام ١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥ م أمر السلطان عبد العزيز بإنشاء مدرسة طبية أخرى)) [١٩] .

إن إنشاء المجمع الطبي وكليات الطب في وقت مبكر إن دل على شيء فإنما يدل على الاهتمام بالناحية الجامعية والدرجات العلمية في دراسة الطب وامتهانه ، وقد برز هذا الاهتمام بشكل جلي عندما صدرت ضوابط ممارسة مهنة الطب ، حيث اشترط الخط الهمايوني (الأمر السلطاني) الصادر في سنة ١٢٧٨ هـ / ١٨٦١ م أن يكون أطباء البلديات من خريجي كليات الطب الشاهانية (العثمانية) أو الأجنبية فقط [٢٠].

((ولابد من الإشارة إلى أن أمثال هؤلاء الأطباء المؤهلين الذين عملوا في العراق لم يكونوا جميعهم من الأتراك وإنما في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين توافد عدد من الأطباء العراقيين المتخرجين في كليات الطب في استنبول وبيروت وباريس للعمل في

---

[١٩] الوتري : ص ٤٥ – ٤٦ .

[٢٠] الدستور : ترجمه عن التركية نوفل أفندي نعمة الله نوفل ، طبع المطبعة الأدبية ، بيروت ، المجلد ٢ ص ٧٢٦ .

المراكز الصحية والمستشفيات في بغداد والمدن الرئيسة . لكن بقية أجزاء العراق ظلت متأخرة من الناحية الصحية)) [٢١].

على سبيل المثال تذكر المصادر أن عدد الخريجين من الأطباء العراقيين من هذه الجامعات في الفترة (١٩٠٠ – ١٩١٧ م) كان (٣٥ طبيبا) منهم اثنان من جامعة باريس ، ستة من الجامعة الأمريكية في بيروت ، ٢٧ من الكليات العثمانية غير العسكرية [٢٢].

المحور الرابع : الإدارة الصحية :

ارتبطت الأمور الصحية في الولايات العراقية (بغداد ، الموصل ، البصرة) بالبلديات ، حيث كان يوجد في مجالسها أعضاء أطباء ، وكانت تقوم البلدية في الوقت ذاته بالإشراف على الخدمات الصحية وإدارة المستشفيات . إلاّ أنه من الناحية الإجرائية لم تكن الإدارة الصحية في الولايات العراقية حتى نهاية القرن التاسع عشر شيئا ذا قيمة أو فعالية ، وإنما كانت عبارة عن دائرة صغيرة ملحقة بالبلدية .

وقد شهدت العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر تطورا في مجال العناية بالصحة واتخاذ إجراءات تنظيمية ، من ذلك صدور الأمر السلطاني في سنة ١٢٨٨ هـ / ١٨٧١ م ((نظام إدارة الطب العمومية))[٢٣] الذي بين صلاحيات أطباء البلدية وواجباتهم ومنذ عام ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥ م تشكلت إدارة من مفتش صحي تركي يعاونه أطباء

---

[٢١] لوريمر : دليل الخليج – القسم الجغرافي ، ج ٣ ، ص ٣٥٣٩ .

[٢٢] المصدر نفسه .

[٢٣] الدستور : المصدر السابق ، ص ٧١٣ .

البلدية وعدد من الكتاب [٢٤] ، وظلت هذه الهيئة قائمة حتى الحرب العالمية الأولى واحتلال بغداد عام ١٩١٧ .

وفي السنين الأخيرة من الحكم العثماني صدرت قوانين تنظيمية مختلفة مثل ((نظام إدارة الولايات الصحية ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م ، نظام الهيئة التفتيشية الصحية ١٣٣٠ هـ / ١٩١٢ م ، قانون وقاية الصحة العامة ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م ، نظام إدارة المستشفيات والمستوصفات سنة١٣٣١ هـ / ١٩١٣ م [٢٥] . أما التخصيصات المالية للمؤسسات الصحية فيلاحظ من خلال المصروفات العامة الأخرى أن المبالغ المخصصة للأمور الصحية في ولاية بغداد كانت أقل التخصيصات المالية)) [٢٦]. ولم تكن حال ولايتي الموصل والبصرة بأفضل من ذلك .

المحور الخامس : المستشفيات والمؤسسات الصحية :

أولا : المستشفيات والمؤسسات الصحية المدنية الحديثة :

لم يذكر المؤرخون استحداث أية مؤسسة صحية في العراق حتى نهاية النصف الأول من القرن التاسع عشر ، إذ بنى محمد باشا أينجة بيرقدار في سنة ١٢٥٨ هـ / ١٨٤٣ م مستشفى عسري في الموصل ،

---

[٢٤] سالنامة بغداد لسنة ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م .

[٢٥] الأعظمي ، الحاج حمدي : دليل القوانين والأنظمة – مطبعة التفيض الأهلية ، بغداد ١٩٤٠ ، ص ٨٧ .

[٢٦] انظر سالنامات بغداد للسنوات ١٣١٦ – ١٣٢٥ هـ .

الذي يعتبر أول مستشفى حديث بني في العراق [٢٧] . وتبعه في ذلك مدحت باشا في بناء مستشفى الغرباء (بغداد) سنة ١٢٨٩ هـ / ١٨٧٢ م . نستعرض فيما يأتي أهم المؤسسات الصحية الحديثة في بغداد في العهد العثماني الأخير :

تذكر المصادر بأن ، أول مستشفى شيد في بغداد بأمر الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ – ١٩٣ هـ / ٧٦٦ – ٨٠٨ م) [٢٨] ((وقد بلغ مجموع ما شيد فيها من مستشفيات منذ تولي الرشيد حتى آخر أيام الخلافة العباسية (١٧) مستشفى ... لم يبق منها قائما – الآن – أي أثر لمستشفى ... ولعل آخر أثر لمستشفى من تلك المستشفيات ، هو مبنى دار الشفاء المرجانية ، الذي يبدو أنه كان لا يزال باقيا حتى أوائل القرن الرابع عشر الهجري ... في نهاية شارع المسوأل على الشط)) [٢٩]. أما المؤسسات الصحية الحديثة في مدينة بغداد فهي :

١ . **مستشفى الغرباء في جانب الكرخ :** قام بتأسيسه كما ذكرنا مدحت باشا من تبرعات الأهالي ، على دجلة في الجانب الغربي من بغداد [٣٠] بجانب الكرخ ، وقد ابتدأ العمل به سنة ١٢٨٦ هـ /

---

[٢٧] محمد ، الدكتور محمود الحاج قاسم : موسوعة الموصل الحضارية ، جامعة الموصل ، الطبعة الأولى ١٩٩٢ ، مجلد ٤ ، ص ٣٨٥ .

[٢٨] القفطي ، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف : تاريخ الحكماء – مكتبة المثنى ، بدون تاريخ ص ٣٨٣ .

[٢٩] محفوظ ، ناجي : مستشفيات بغداد والعمارة العراقية القديمة – ندوة بغداد مدينة السلام ، ١٩٩٠ ، ص ١١٢ .

[٣٠] جواد ، الدكتور مصطفى / سوسة ، الدكتور أحمد : دليل خارطة بغداد المفصل – مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٥٨ ، ص ٢٣١ .

١٨٦٩ م [٣١] ، وتم تشييده في سنة ١٢٨٩ هـ / ١٨٧٢ م ، وكان عدد أسرّته نحو الخمسين ، قسمت إلى داخلية وجراحية وزهرية ولم تكن فيه عيادة خارجية وإنما ألحقت به شعبة بسيطة للإسعاف ، وكان المستشفى مجانيا . ولبث المستشفى على ذلك بضع سنين ثم أهمل لعدم وجود الأطباء ، ثم حول إلى مدرسة ثانوية (المدرسة الإعدادية الملكية) ونقلت تابعيته إلى دائرة المعارف [٣٢] . واسترده قدري باشا من دائرة المعارف ، وجلب له بعض الأدوات والأدوية الطبية وأعاد فتحه سنة ١٨٧٨ م [٣٣] . غير أنه ما لبث أن حول من جديد إلى مدرسة إعدادية ونقلت محتوياته إلى المستشفى الذي أسسه والي بغداد نامق باشا ، ودامت الحال على ذلك حتى أعاد فتحه كمستشفى الوالي نجم الدين بعد إعادة إعماره عن طريق تبرعات الأهالي وبمساهمة خاصة منه . وكانت البلدية تقوم بنفقات المستشفى . وبقي كذلك حتى أخلاه الأتراك تماما قبيل الاحتلال الإنكليزي لبغداد عام ١٩١٧ . وبعد إجراء التعميرات عليه فتحه الإنكليز باسم المستشفى المدني ، وخصص لمداواة الأمراض النسائية الجراحية والتوليد ، وكان عدد أسرّته (١٠٠ سرير) وفي سنة ١٩١٨ بلغت (١٤٠ سرير) [٣٤].

٢ . **مستشفى نامق باشا** : ابتنى نامق باشا الصغير خلال ولايته (١٣١٧ – ١٣٢٠ هـ / ١٨٩٩ – ١٩٠٢ م) مستشفى على أحدث طراز ، ومتكونا من أربعة أبنية في ألطف موقع خارج باب

---

[٣١] العلاف ، عبد الكريم : بغداد القديمة – مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٠ ، ص ٢٩ .

[٣٢] الوتري : تاريخ الطب العراقي – ص ٥٤ .

[٣٣] العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين – ج ٨ ، ص ٤٤ .

[٣٤] الوتري : تاريخ الطب العراقي – ص ٥٦ ، ص ٥٧ .

المعظم [٣٥] ، وكان قد أجريت مراسيم افتتاحه في ١٥ ذي الحجة سنة ١٣١٨ هـ / ١٩٠٠ م [٣٦]. وكان عبارة عن سلسلة من بيوت مرتفعة عن الأرض ... وخصصت إحدى الغرف لإجراء العمليات الجراحية وآخر للأمراض النسائية وثالثة للصيدلية وبضعة غرف لإيواء المجانين وغرفة للدائرة [٣٧]. وبقي المستشفى على أحسن وجه حتى أهمل أمره ، وأمر الوالي نجم الدين ملا بنقله إلى محله القديم ، وبعد تفاقم الإهمال على هذا المستشفى أخلي قبيل الاحتلال البريطاني سنة ١٩١٧ وجعل مستشفى للأمراض العقلية (المجانين) ، ومن ثم جعل مكانه السجن المركزي .

٣ . **مستشفى دار المعلمين** : ومن المشافي التي عرفها العراقيون في العهد العثماني المتأخر مستشفى دار المعلمين في بغداد الذي فتح أبوابه للمراجعين في شهر نيسان ١٩١٢ نهار كل خميس من الساعة ٦.٣٠ حتى الساعة ١١ صباحا)) [٣٨].

٤ . **المستشفيات الأهلية** :أشار واليس بدرج في رحلته إلى العراق سنة ١٨٨٨ م إلى وجود مستشفى خاص في بغداد لأحد الأشخاص يعالج الأهالي مجانا [٣٩] وفي سنة ١٨١٥ افتتح المبشرون أول

---

[٣٥] سالنامة بغداد لسنة ١٣١٩ هـ / ١٩٠٢ م ، ص ١٧٩ .

[٣٦] العلوجي : الطب العراقي – ص ١٥١ .

[٣٧] الوتري : تاريخ الطب العراقي – ص ٥٤ – ٥٦ .

[٣٨] العلوجي : الطب العراقي – ص ١٥٣ .

[٣٩] المصدر نفسه : ص ٨٠ .

مستوصف لهم في بغداد [٤٠]. ومن بين المستشفيات الأهلية (مستشفى مير ألياس) شيده مئير ألياهو ألياس في منطقة العيواضية ببغداد ، وفي سنة ١٩١٠ افتتح ، ووضعت الحكومة العراقية اليد عليه وأصبح يدعى مستشفى الشعب [٤١].

٥ – **طبابة البلدية** : تذكر سالنامات ولاية بغداد بأنه كان لكل دائرة بلدية من بلديات مركز بغداد اثنان ومن ثم ثلاثة أطباء . ومن واجبات هؤلاء الأطباء معالجة المرضى ومتابعة شؤون الصحة والإشراف على إدارة مستشفى الغرباء فضلا عن إشرافهم على قضايا التنظيفات وكتابة تقارير دورية عن الحالة الصحية للولاية ولاسيما عند انتشار الأوبئة .

٦ . **الصيدليات الخاصة** : كان الطب حتى منتصف القرن التاسع عشر يعتمد على ما كان عطارو بغداد يستوردونه . ثم تأسست الصيدليات ، إلاّ أن المراجع لم تذكر تاريخ تأسيس أول صيدلية أهلية ولا اسمها . وزاد عددها بمرور السنين حتى بلغ عددها سنة ١٣١٢ هـ / ١٨٩٥ م (١٠) صيدليات [٤٢]. ويذكر بأنه جرى مراسيم افتتاح صيدلية البلدية في الأعظمية في ٢٧ / نيسان / ١٩١٣ [٤٣].

---

[٤٠] الفياض ، عبد الله : الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠ – بغداد ١٩٦٣ ، ص ٦٦ .

[٤١] العلوجي : الطب العراقي – ص٢٣٦ .

[٤٢] سالنامة بغداد لسنة ١٣١٢ هـ / ١٨٩٥ م ، ص ٢٧٤ .

[٤٣] مجلة لغة العرب : ج ٢ ، حزيران ١٩١٣ .

وفيما عدا مركز بغداد لم تذكر المراجع وجود أي مستشفى مدني في توابع الولاية . وإنما كان هناك مستشفى عسكري في لواء الحلة وآخر في لواء كركوك . أما أمور الصحة ومعالجة المرضى في ألوية الولاية وأقضيتها فكان يقوم بها أطباء البلدية وأطباء دوائر الحجر الصحي ، حيث كان أغلبها تضم في الأقل طبيبا أو جراحا أو صيدليا يقوم بتلك الواجبات .

ثانيا : المؤسسات الصحية العسكرية :

كانت بغداد قد دخلت ضمن الولايات العثمانية على يد سليمان القانوني عام ٩٤١ هـ / ١٥٣٤ م وفي المدة الطويلة التي بقيت بيد الإيرانيين ، ومن ثم استعيدت من قبل السلطان مراد الرابع ١٠٤٨ هـ / ١٦٣٨ م وحتى دور السلطان محمود الثاني أي قرابة ٢٠٠ سنة لم نعثر على معلومات عن الحالة الصحية للجيش في بغداالدكتور وبعد التغييرات العسكرية – في هذه المنطقة التي بقيت تحت الحكم العثماني لمئات السنين – أمنت الخدمات الصحية فيها بواسطة أطباء الألوية والأفواج الذين كانوا مكلفين بالعمل في مستشفيات المركز والمواقع [٤٤].

أما أهم التشكيلات الصحية العسكرية فهي :

١ . **المستشفى العسكري القديم في مدينة بغداد :** كان في محلة الميدان وفي سنة ١٣١٣ هـ / ١٨٩٥ م صدر الأمر من نظارة الداخلية (وزارة الداخلية) العثمانية بنقله [٤٥].

---

[٤٤] أوزبای ، الدكتور كمال : الطبابة العسكرية في العراق في أواخر الدولة العثمانية (مصدر سابق) ص ٨١ ، ١٦٠ .

[٤٥] العلاف : بغداد القديمة -- ص ٢٩ .

٢ . **المستشفى العسكري المركزي (المجيدي) في مدينة بغداد** :عند تقسيم الدولة العثمانية إلى مناطق عسكرية افتتح الجيش النظامي السادس والموجود في بغداد هيئة صحية باسم (المستشفى المركزي) وخصص له البناء الواقع في حدائق المجيدية والذي كان قد بناه الحاكم الإيراني ليكون دار استراحة الشاه عند مجيئه إلى بغداالدكتور وفي سنة ١٨٩٧ نقل المستشفى إلى الأبنية العشرة التي أنشأها رجب باشا حول دار الاستراحة [٤٦] وسمي المستشفى باسم المستشفى المجيدي ... لمصادفة فتح المستشفى في يوم تولية السلطان عبد المجيد [٤٧]. وفي سنة ١٩٠٨ أجريت إصلاحات عليه ومن ثم جلب للمستشفى العديد من الأدوات الطبية والجراحية ولذلك تطور العمل فيه وبعد أن كان سابقا يعمل بالأساليب القديمة اتجه اتجاها فنيا . وعندما استولى الإنكليز على بغداد في ١٢ آذار ١٩١٧ اتخذوه مقرا للمستشفى العسكري البريطاني الثابت رقم ٢٣ . ثم أخلي من قبل الجيش البريطاني ، وبعد إجراء الترميمات اللازمة أطلق عليه (المستشفى الملكي) وهو اليوم البناية التي تقوم عليها بناية المستشفى الجمهوري قرب مدينة الطب

٣ . **مستشفى السبع أبكار** : لا نعرف عنه شيئا كثيرا سوى أنه كان يستقبل جرحى الحرب العالمية الأولى من الجنود العراقيين .

---

[٤٦] أوزباي : ص ٨١ .

[٤٧] المصدر نفسه : ص ٩٢ .

٤ . **مستشفى الموقع الأول والثاني** :كان في بغداد منذ سنة ١٨٦٦ وحتى سنة ١٨٧٦ مستشفيان تحت اسم الموقع الأول والثاني إلاّ أنه لا يعرف بالتحديد موقعهما [٤٨].

المحور السادس : العاملون في الحقل الطبي :

أولا – الأطباء في القرون الأولى من الحكم العثماني : ضن علينا المؤرخون بذكر أسماء العاملين في الحقل الطبي في العراق في القرون الأولى من الحكم العثماني . وقد ورد ذكر بعض الأطباء الرحالة الذين مروا بالعراق أو الذين أقاموا فيه لبعض الوقت لأسباب شخصية أو لأنهم كانوا في خدمة الحكومة العثمانية او من الملحقين بالقنصليات الأجنبية المقيمة في بغداد ومن هؤلاء ورد ذكر الطبيب الهولندي راوولف في القرن السادس عشر . أما بالنسبة للأطباء من أهل البلد فلم نعثر إلاّ على اثنين من الأطباء حتى نهاية القرن السابع عشر وهم :

١ .**علي بن السيد مراد بن ميرشاه** : كان طبيبا للشاه عباس الصفوي المتوفى١٠٣٩ هـ / ١٦٢٩ م والذي توفي في النجف [٤٩] .

٢ .**عوض بن يوسف بن محيي الدين المعروف بابن الطباخ الدمشقي** : قاضي القضاة بالمدينة المنورة ، كان من فضلاء الزمان ، مشاركا في عدة فنون وكان له في الطب إلمام تام ، وكان في ابتداء أمره قرأ

---

(٤٨) المصدر نفسه : ص ٨١ .

(٤٩) الأميني ، محمد هادي : معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام – مطبعة الآداب ، النجف ١٩٦٤ ، ص ١٣٠ .

بدمشق ، ثم سافر إلى بلاد الروم ودرس واشتهر بمعرفة الطب ، ثم ولي القضاء بمدينة بغداد والمدينة المنورة ، وكانت ولادته في سنة ١٠٣٤هـ وتوفي في القسطنطينية في نيف وثمانين وألف [٥٠].

ثانيا : الأطباء في القرون الثلاثة الأخيرة من الحكم العثماني :

لقد زخرت هذه القرون بأسماء العديد من العاملين في الحقل الطبي (أطباء ومتطببين) نذكر فيما يأتي من استطعنا جمعهم وحسب تسلسلهم الزمني :

أ – الأطباء والمتطببون المدنيون :

١ . **أبو داؤد سليمان بن داؤد بن حيدر المزيدي الحلي** : ولد في النجف سنة ١١٤١هـ / ١٧٢٨ م ونشأ ودرس فيها العلوم ومنها الطب ثم غادر النجف وسكن الحلة سنة ١١٧٥ هـ / ١٧٦١ م ... كان يلقب بالحكيم لدراسته الطب ، ودفن في النجف [٥١].

٢ . **دي أربل (D . Erbil)** : في القرن الثامن عشر ((حط رحاله في بغداد ، أصبح طبيبا للباشا وراجت طبابته ولاسيما بين أعيان بغداد وأثريائها ... رحل عن بغداد قاصدا الحلة ... وقد صادف الرحالة

---

[٥٠] عيسى ، الدكتور أحمد : معجم الأطباء – دار الرائد العربي ، ط٢ ، ١٩٨٦ ، ص ٣٢٤ – ٣٢٥ .

[٥١] الحلي ، الشيخ يوسف كركوش : تاريخ الحلة (القسم الثاني – في الحياة الفكرية) منشورات المكتبة الحيدرية في النجف ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٥ ، ص ١٣٥ .

نيبور هذا الطبيب سنة ١٧٧٦ م في البصرة عندما كان معتزماً على السفر إلى بومباي والبرتغال)) [٥٢].

٣ . **شارت (Shart)** : طبيب القنصلية الإنكليزية ببغداد [٥٣] .

٤ . **أوانيس مراديـــان** : تاجر من استنبول وليس بطبيب ، قدم بغداد ســنة ١٧٨٦ ، وبعد خسارته في التجارة عمل مترجمــا فـــي القنصـــلية الفرنسية ويعتبر أول من أدخل في بغداد طريقة جنر للتلقــيح ضـــد الجدري . وبعد محاولة خائبة تكلل مسعاه بنجاح بــاهر فـــي ســنة ١٨٠٩ م حينما رضي مفتي بغداد بأن يطعم أولاده وحفدته الســتة ، وبمؤازرة الدكتور هين (Hyne) طبيب القنصلية البريطانية تمكن هو وزوجته تيريزا تلقيح أكثر من (٥٤٠٠) شــخص فـــي مــدة تسع سنوات [٥٤].

٥ . **الشيخ سليمان معتوق** : كان ذا خبرة جيدة بالطب ، ومن أعلام الفقهاء في الكاظمية ، توفي سنة ١٢٢٧ هـــ / ١٨١٢ م [٥٥].

٦ . **السيد ربيع بن السيد علي** : ولد في ســنة ١١٩١ هـــــ / ١٧٧٧ م ، ونشأ نشأة علمية ودرس على والده العلوم العربية ، ثم عكف علـــى دراسة الطب مدة حتى اشتهر ، عــاش فـــي كــربلاء ردحــا مـــن

---

(٥٢) العلوجي : الطب العراقي – ص ١٣٥ .

(٥٣) المصدر نفسه : ص ١٤٧ .

(٥٤) العلوجي : الطب العراقي (بتصرف) ص ١٤٧ – ١٤٨ .

(٥٥) المصدر نفسه : ص ٢٩٩ بالأصل نقلا عن حسين محفوظ .

الزمن واتصل به أبناء الحلة للمداواة . وقد هاجر إلى الحلة سنة ١٢٧١ هـ / ١٨٥٨ م ودفن في النجف [٥٦].

٧. حسين بن سليمان الحلي : طبيب من أهل الحلة ، كانت له هيبة في صدور الخاصة والعامة ، وكان مطاعا عند حكام الحلة وولاتها وكان يلقب بالحكيم . توفي بالحلة سنة ١٢٣٦هـ / ١٨٢٠ م [٥٧] .

٨. الحسين الجيلاني : عالم بغدادي قدم إلى صنعاء سنة ١٢٣٦ هـ / ١٨٢٠ م ويتصل نسبه بالشيخ عبد القادر الجيلاني . له في الطب اليد الطولى والإتقان ، ومعرفة النبض . ولما قدم صنعاء مكث بها مدة ثم غادرها إلى استنبول واستقر بعد ذلك في صنعاء [٥٨].

٩. الخليل بن علي الرازي : طبيب ولد في طهران سنة ١١٨٠ هـ / ١٧٦٦ م ، دخل العراق سنة ١٢١٥ هـ / ١٨٦٣ م ... وكان من حذاق الأطباء [٥٩].

١٠. **الحاج عبد المجيد بن الملا محمد أمين العطار** : ولد في بغداد سنة ١٢٨٢ هـ /١٨٦٥م . كان له حانوت في سوق العطارين بالحلة يبيع فيه العقاقير الطبية وغيرها من الأمور العطارية[٦٠].

---

(٥٦) المصدر نفسه : ص ٣٩٢ .

(٥٧) الخليلي ، محمد : معجم أدباء الأطباء – مطبعة العربي ، النجف ١٩٤٦ ، ج ١ ، ص ١٢٨ – ١٣١ .

(٥٨) المصدر نفسه : ج ١ ، ص ١٣٠ - ١٣١ .

(٥٩) المصدر نفسه : ج ١ ، ص ١٤٤ – ١٤٥ .

(٦٠) الحلي ، الشيخ يوسف كركوش : تاريخ الحلة – مصدر سابق ، ص ٢٠٠ .

١١. **محمد الشيرازي** : محمد تقي الشيرازي ، ويعرف بآغا بابا ، طبيب مشارك في العلوم ، سكن طهـران مـدة ، وأقـام فـي كـربلاء ، توفي ١٢٩٠ هـ / ١٨٧٣ م . من آثاره الكليـات المنظومـة فـي الطب ، حفظ الصحة ، تسهيل العلاج ، شرح لغز القانون [٦١].

١٢ . **محمد باقر بن حيدر الحسيني الكاظمي** : أديب ، شـاعر ، فقيـه ، عارف بالطب . من آثاره في الطب أرجوزة فـي الطـب ، تـوفي ١٢٩٠ هـ / ١٨٧٣ م [٦٢].

١٣ . **الشيخ راضي العطار** : ورد الكاظمية سنة ١٢٩٩ هـ / ١٨٨١ م ، وقد تداول الطب والصيدلة هو وأربعة أجيال مـن أحفـاده ، كـانوا يعرفون ببيت الطابوقجي في محلة صبابيغ الآل من محـلات بغـداد القديمة [٦٣] .

١٤ . **علي بن السيد محمد الطبابطائي** : كان من المتبعين الماهرين فـي علم الطب . واشتهر أمره في النجف ، ولـد سـنة ١٢٠٠ هـ / ١٧٨٥ م وتوفي سنة ١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢ م [٦٤].

---

[٦١] كحالة ، عمر رضا : معجم المؤلفين – دار إحياء التراث العربـي ، بيـروت ، بدون تاريخ ج ٩ ، ص ١٣٠.

[٦٢] المصدر نفسه : ج ٩ ، ص ٨٦ .

[٦٣] محفوظ ، الدكتور حسين علي : الأدوية الشعبية في تراث بيت الشـيخ راضـي العطار – مجلة التراث الشعبي ، العدد ٤ ، ١٩٨٨ ، ص ١٩٢ .

[٦٤] الأميني : معجم رجال الفكر والأدب – ص ١٣٣ .

١٥ . **السيد رضا المدراسي** : كان طبيبا في الكاظمية وتوفي سنة ١٣٠١ هـ / ١٨٨٣ م [٦٥].

١٦ . **علي بن محمد الحسيني** : الشهير بالحكيم ، عالم مشارك في الطب وغيره [٦٦] .

١٧ . **كولفيل** (**Kool Fel**) : طبيب القنصلية البريطانية . كان عضوا في المجلس الصحي الأعلى في الأستانة . كان في بغداد خلال ولاية عبد الرحمن باشا (للمرة الأولى ١٨٧٥ – ١٨٧٧) الذي رفض الإجراءات التي اقترحها للحد من انتشار الطاعون [٦٧].

١٨. **السير واليس بدج** : ذكر بأنه في رحلته إلى العراق سنة ١٨٨٨ في قرية بابل ، أن أهل هذه القرية لما علموا بمجيء ثلاثة من الفرنجة جاءوا بمرضاهم ، فأعطوهم الأدوية المتوفرة لديهم ، ثم أعطاهم مستر هولاند بطاقات معنونة إلى الدكتور بدج طبيب دار المقيم البريطاني ببغداد [٦٨].

١٩ . **حسن بن الخليل الخليلي** : طبيب النجف في عصره ، كان حاذقا ماهرا ... يقف على الداء ولم يخطئ الدواء . درس الطب على

---

(٦٥) العلوجي : ص ٣٦٤ ، بالأصل نقلا عن حسين محفوظ .

(٦٦) كحالة ، عمر رضا : معجم المؤلفين -- ج ٧ ، ص ١٩٣ .

(٦٧) الخياط ، جعفر : صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة – ج ١ ، ط ١ ، ١٩٧١ ، ص ٣٠٣ – ٣٠٤.

(٦٨) العلوجي : ص ١٤٥ – ١٤٦ .

أبيه ، وكان حسن العلاج سهل المداواة رؤوفا بالفقراء يسعفهم بالمال والدواء . توفي في سنة ١٣٠٨ هـ / ١٨٩٠ م (٦٩).

٢٠ . **السيد علي الحكيم بن السيد أحمد** : قالوا أنه كان من أطباء بغداد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وكان يستعمل النغم في معالجة مرضاه ، ويقال أن مقام الحكيمي ينسب إليه (٧٠).

٢١. **علي بن السيد محمد التبريزي** : طبيب مجتهد محقق اشتهر في النجف . ولد سنة ١٢٠٢ هـ / ١٧٨٧ م ، وتوفي سنة ١٣١٦ هـ / ١٨٩٨ (٧١) .

٢٢ . **حكيم خدادا** : هو من همذان بإيران ، تعلم صناعة العقاقير واستعمالها في إيران ، ووفد إلى بغداد عام ١٨٨٥ م فاستأجر دارا في إحدى أزقة محلة الطاطران ، وذاع صيته وصار الطبيب الخاص لكثير من الأسر الكبيرة . وكان رجلا خلوقا بشوشا ... لا يتقاضى أجرة للمعاينة في عيادته ، وإنما كان ينتظر الهدايا من المريض عند شفائه ، على أنه كان يتقاضى أجرا عن العيادات البيتية (٧٢).

---

(٦٩) الخليلي : معجم أدباء الأطباء – ج ١ ، ص ١٥١ .

(٧٠) الحنفي ، الشيخ جلال : المغنون البغداديون والمقام العراقي – مطبعة دار الجمهورية ، بغداد ١٩٦٤ ص٨٩ .

(٧١) الأميني : معجم رجال الفكر والأدب – ص ٨٤ .

(٧٢) الوتري / الشابندر : تاريخ الطب العراقي ص ٥٧ – ٥٨ .

٢٣ . **الدكتور أدلــر** : طبيب نمساوي ... وقد كان مستخدما في الجـيش العثماني ثم استقال من وظيفته وفتح عيادة خاصة فـي محلـة رأس القرية في بغداالدكتور وكان أدلر طبيبا فنيا يحمل شهادة عالية [٧٣].

٢٤ . **الدكتور لازار** : طبيب نمساوي . ولم يكن من حملة الشهادة الطبية على ما يقال وكان يسكن رأس القرية في بغداد ، وقد اكتسب شـهرة واسعة وكان لا يتبع الأساليب الفنية . سافر أخيرا إلى أوربا لـدخول إحدى الجامعات والحصول على الشهادة الطبية لكنه لم يعد [٧٤]. وقد جاء ذكره في سالنامات بغداد للسنوات اعتبارا مـن ١٢٩٩ هــ / ١٨٨٢ م حتى ١٣١٧ هـ / ١٩٠٠ م كطبيب للبلديـة ومستشـفى الغرباء [٧٥].

٢٥ . **السيد أرسطو** : كان متطببا إيرانيا يقيم في الدهانة وقد اكتسب شهرة واسعة بذكائه وبراعة أسلوبه [٧٦].

٢٦ . **الحاج محسن القندهاري** : كان يقيم في خان الزواق [٧٧].

---

(٧٣) المصدر نفسه : ص ٥٩ .

(٧٤) المصدر نفسه : ص ٥٩ .

(٧٥) سالنامات ولاية بغداد للسنوات من ١٢٩٩ هـ / ١٨٨٢ م حتـى ١٣١٧ هــ / ١٩٠٠ م .

(٧٦) الوتري : ص ٦٠ .

(٧٧) الوتري : ص ٦٠ .

٢٧ . **السيد محمد حسين ربيع** : ولد سنة ١٢٥١ هـ / ١٨٣٥ م وتلقى علومه الأولى في كربلاء ، وتتلمذ في الطب على الحكيم مرزا محمد والحاج محمد الشيرازي وعلى والده ، وأقام في النجف سنة ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م ، واشتهر بمعالجاته الفنية وازداد شهرة عندما انتقل إلى الحلة حتى أصبح وحيد الفن في العراق ، وتوفي في مشهد سنة ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٣ م ودفن في المشهد العلوي (٧٨).

٢٨ . **باقر خليل الخليلي** : أبو صادق الطبيب الرازي النجفي ، وهو ثالث الأطباء من اخوته ، ولد في النجف سنة ١٢٤٧ هـ / ١٨٣١ م ، وكان طبيبا حاذقا ، وكان مرجعا في الأمراض المعضلة ... تخرج في الطب على أبيه كما حضر دروس الطب على الكثير من أطباء الفرس الذين كانوا يفدون إلى النجف ... وكانت له حلقة تدريس كبيرة يحضرها جميع فطاحل العلماء . وتوفي سنة ١٣٣٢ هـ / ١٩١٣ م ودفن في النجف (٧٩).

٢٩ . **صادق باقر الخليلي** : ولد في النجف ١٢٨٠ هـ / ١٨٦٣ م . وتتلمذ في الطب على والده ، فاصبح طبيبا بارعا ، يقصد للتدريس والعلاج من كل مكان ، وكانت له حلقة تدريس في قانون ابن سينا ، وتوفي في سنة ١٣٤٣ هـ / ١٩٣٤ م ودفن في الصحن الحيدري (٨٠).

---

(٧٨) العلوجي : ص ٤٣٩ .

(٧٩) الخليلي : معجم أدباء الأطباء – ج ١ ، ص ٨٩ – ٩٠ .

(٨٠) المصدر نفسه : ج ١ ص ٢٠٠ – ٢٠١ .

٣٠ . **الدكتور ليونيدس ياو** : كان طبيبا حكوميا وعضوا في المجلس البلدي لسنة١٢٩٢هـ / ١٨٧٤ م [٨١] وذكر بأنه كان أحد العاملين في مستشفى الغرباء المربوط مع دائرة البلدية الثالثة في بغداد سنة ١٣٠١ هـ / ١٨٨٦ م [٨٢] .

٣١. **الجراح عبد الرزاق** : كان جراحا حكوميا وأحد أعضاء المجلس البلدي لسنة١٢٩١هـ / ١٨٧٤ م [٨٣].

٣٢ . **قولاري** : كان طبيبا للحجر الصحي في بغداد [٨٤] .

٣٣. **نيقولا يديس** : جاء ذكره كأحد منتسبي الصحة في قضاء خانقين سنة ١٣٠٩ هـ / ١٨٩٢م [٨٥] .

٣٤ . **مصطفى فكري** : كان طبيبا لبلدية الحلة سنة ١٣٠٩ هـ / ١٨٩٢م [٨٦].

٣٥ . **الدكتور غزالة** : أحد منتسبي الصحة في لواء كربلاء سنة ١٣٠٩ هـ / ١٨٩٢ م [٨٧]. أعتقد المقصود به هو (الدكتور سليمان غزالة) الذي سنتناول حياته عند التحدث عن أطباء ولاية الموصل .

---

(٨١) سالنامة ولاية بغداد لسنة ١٢٩١ هـ / ١٨٧٤ – ص ٦٧ .

(٨٢) سالنامة ولاية بغداد لسنة ١٣٠١ هـ / ١٨٨٤ م – ص ١١٦ .

(٨٣) سالنامة ولاية بغداد لسنة ١٢٩١ هـ / ١٨٧٤ م .

(٨٤) بركات ، رجب : بلدية البصرة ١٨٦٩ – ١٩٨١ – دراسات الخليج العربي ١٩٨٤ ، ص ٦٤ .

(٨٥) سالنامة ولاية بغداد لسنة ١٣٠٩ هـ / ١٨٩٢ م – ص ١٩٢ .

(٨٦) المصدر نفسه .

(٨٧) المصدر نفسه .

٣٦ . **أوقونوسي** : كان أحد منتسبي الصحة في خانقين سنة ١٣١٠ هـ / ١٨٩٣ م [٨٨].

٣٧ . **الأطباء أحمد ونشأت** : ذكرا كأطباء لدائرة البلدية الثانية والثالثة لمدينة بغداد لسنة ١٣١١ هـ / ١٨٩٤ م [٨٩].

٣٨ . **الجراح يوسف** : كان عضوا في مجلس بلدية كربلاء لسنة ١٣١٣ هـ / ١٨٩٦ م [٩٠].

٣٩ . **الدكتور لوبيج** : جاء ذكره كأحد مأموري الصحة في بغداد في السنوات ١٣١٢ – ١٣١٣ هـ / ١٨٩٥ – ١٨٩٦ م [٩١].

٤٠ . **الطبيب خالص** : جاء ذكره كطبيب للدائرة البلدية الثانية والثالثة للسنوات ١٣١٦ – ١٣١٩ هـ / ١٨٩٩ – ١٩٠٢ م [٩٢].

٤١ . **الدكتور برونيماركي** : جاء ذكره بين مأموري صحة بغداد سنة ١٣١٧ هـ / ١٩٠٠ م [٩٣].

---

[٨٨] سالنامة ولاية بغداد لسنة ١٣١٠ هـ / ١٨٩٣ م – ص ١٧١ .

[٨٩] سالنامة ولاية بغداد لسنة ١٣١١ هـ / ١٨٩٤ م – ص ١٤٤ .

[٩٠] سالنامة ولاية بغداد لسنة ١٣١٣ هـ / ١٨٩٦ م – ص ١٩٨ .

[٩١] سالنامة ولاية بغداد لسنوات ١٣١٢ هـ / ١٨٩٥ م – ص ١٦٢ . ١٣١٣ هـ / ١٨٩٦ م – ص ٢١٣ .

[٩٢] سالنامة ولاية بغداد لسنوات ١٣١٦ – ١٣١٩ هـ / ١٨٩٩ – ١٩٠٢ م – ص ١٦١ ، ١٦٤ ، ٢٤١ ، ١٠٨ .

[٩٣] سالنامة ولاية بغداد لسنة ١٣١٧ هـ / ١٩٠٠ م – ص ١٥٤ .

٤٢ . **محمد حسين بن ربيع الشيرازي الحلي النجفي** : طبيب ولد بشيراز سنة ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م ، وسكن الحلة ثم النجف وتوفي فيها سنة ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م . من تصانيفه تذكرة الكحالين [٩٤].

٤٣ . **موسى بن هاشم العلوي الهمذاني** : ولد سنة ١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠م ، طبيب حكيم ، درس الطب في دار الفنون بطهران وهاجر إلى الكاظمية وتوفي فيها سنة ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م [٩٥].

٤٤ . **مهدي بن إبراهيم بن هاشم الدجيلي الكاظمي المشهور بمهدي جرموكة** : أديب شاعر ، وطبيب . ولد سنة ١٢٧٩ هـ / ١٨٦٢ م وتوفي سنة ١٣٣٩ هـ / ١٩٢١ م [٩٦].

٤٥ . **محمد رضا بن أبي القاسم بن فتح الله الحسيني الأستراباذي** : أديب شاعر ، طبيب . ولد بأستراباد سنة ١٢٨٣ هـ / ١٨٦٦ م وتوفي بالحلة سنة ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٨ م ودفن بالنجف[٩٧].

ب – الأطباء العسكريون العاملون في مستشفى بغداد المركزي العسكري وسنوات تواجدهم :

على الرغم من كون المهام التي كانت منوطة بالأطباء العسكريين كانت تنحصر في معالجة منتسبي القوات المتواجدة في الولايات ، إلاّ أنهم

---

[٩٤] كحالة : معجم المؤلفين – ج ٩ ، ص ٢٣٩ .

[٩٥] المصدر نفسه : ج ١٣ ، ص ٥٠ .

[٩٦] المصدر نفسه : ج ١٣ ، ص ٢٥ .

[٩٧] المصدر نفسه : ج ٩ ، ص ٣١٦ .

كانوا بجانب ذلك يقومون بمعالجة المدنيين ولاسيما في الأماكن التي لم يكن فيها أطباء مدنيون ، وقد أفاضت سالنامات بغداد بأسماء الأطباء العسكريين ، ولا يتسع المجال لذكرهم جميعا وإنما سنكتفي بذكر أسماء الأطباء العاملين في المستشفيات العسكرية [٩٨] من دون ذكر أطباء الأفواج والألوية خشية الإطالة أولا ، ولكون هؤلاء لم يكونوا مستقرين في مكان معين ، وإنما ينتقلون مع تنقل القطعات العسكرية .

١ . رؤساء الأطباء والأطباء من الدرجة الأولى :

العقيد الطبيب بهجت (١٨٦٦ – ١٨٧٠) العميد الطبيب إسماعيل (١٨٨٣)

العميد الطبيب بارروناك (١٨٧٠) العميد الطبيب نيقولاكي (١٨٩٠ – ١٨٩٤)

العميد الطبيب بـارادي (١٨٧١) العميد الطبيب سالـم (١٨٩٣ – ١٨٩٤)

العميد الطبيب إبراهيم (١٨٧٦ – ١٨٨٤) العميد الطبيب محمد سليم (١٨٩٨ – ١٩٠١)

العميد الطبيب عـزت (١٨٨٠) العميد الطبيب عزيـز (١٨٩٨ – ١٩٠١)

العميد الطبيب أنستاس (١٨٨٢)

٢ – الأطباء من الدرجة الثانية :

حاج علي أفندي (١٨٦٦) ، حاج صالح أفندي (١٨٧٠) ، العقيد محمد صادق (١٨٨٠) ، العقيد محمد شـوقي (١٨٨٥) ، العقيد عـزرا (١٨٩٦) .

---

[٩٨] انظر سالنامات ولاية بغداد للسنوات المذكورة وكذلك كتاب تاريخ الطبابة العسكرية التركية والمستشفيات العسكرية – أوزباي (مصدر سابق) ، ص ٨٢ – ٨٣ .

٣ - أطباء وأخصائيي الباطنيــة :

الرائد محمد أمين (١٨٦٦) ، الرائــد عثمــان نــوري (١٨٦٦) ، العميد أنستاس (١٨٦٦) ، العقيد يوفكيم (١٨٧٨) ، المقدم أوســيب (١٨٨٤) ، المقدم تودور (١٨٨٤) ، المقــدم جــواد (١٨٨٧) ، المقدم أديب (١٨٨٧) ، المقدم محمد سليم (١٨٨٨) .

٤ - الجــراحــون :

الجراح الأول نوري ســليمان (١٨٦٣) ، الجــراح فتــاح (١٨٩٢) ، الجراح ريمان (١٨٩٢) ، رئيس الجراحين عزت (١٨٩٣ - ١٩٠٤) ، الجراح محمد (١٨٩٣ - ١٩٠٤) ، الجراح حافظ (١٨٩٣ - ١٩٠٤) ، الجــراح حســين (١٨٩٣ - ١٩٠٤) ، الجــراح علــي رضــا (١٨٩٩ - ١٩٠٤) .

ثالثا : الأطباء في بغداد في بدايات القرن العشرين :

على الرغم من ولادة بعض ممن ذكرناهم هنا في القرن التاسع عشر إلاّ أننا أدخلناهم هنا لاشتهارهم بممارسة الطب في القرن العشرين .

أ- الأطباء والمتطببون المدنيــون :

١ . **السيد موسى بن السيد رضا علي المدراسي الكــاظمي** : ذاع أمــره في مدينة الكاظمية ، وكان طبيبا ومقرئا . توفي سنة ١٣٢٥ هـــ / ١٩٠٧ م[٩٩].

---

[٩٩] العلوجي : ص ٤٥١ .

٢ . رضا بن محسن الخليلي : ولد في النجف سنة ١٢٧٩ هـ / ١٨٦٦ م وتتلمذ في الطب على عمه باقر الطبيب وبعد مدة سافر إلى الحيرة بقصد المداواة لكثرة ما تعاني فيها من الملاريا ، ثم انتقل إلى السماوة وتوفي سنة ١٣٣٣ هـ / ١٩١٤ م [١٠٠].

٣ . علي أغا بن السيد ميرزا الحكيم : كان من الأطباء العارفين في مدينة الكاظمية . توفي في حدود سنة ١٣٤٤ هـ / ١٩١٥ م [١٠١].

٤ . السيد حسين بن السيد رضا علي المدراسي الكاظمي : عرفته الكاظمية طبيبا وخطاطا ومقرئا . توفي سنة ١٣٣٦ هـ / ١٩١٧ م [١٠٢].

٥ . أغا يعقوب : متطبب كان يداوي المرضى في بعقوبة حيث كان دكانه معروفا هناك وكان حيا في أواخر العهد العثماني [١٠٣].

٦ . حسين بن سليمان بن داؤد بن حيدر الحلي الحسيني الشهير بالحكيم: عالم ، شاعر ، طبيب ، ولد بالنجف سنة ١٢٦٢ هـ / ١٨٤٦ م وتوفي سنة ١٣٣٦ هـ / ١٩١٨ م . من آثاره ثلاث رسائل في الطب [١٠٤].

---

[١٠٠] محبوبة ، جعفر : ماضي النجف وحاضرها – المطبعة العلمية – النجف ١٩٥٥ ، ج ٢ ، ص ٢٣٢ – ٢٣٣ .

[١٠١] العلوجي : ص ٤٦٦ .

[١٠٢] المصدر نفسه : ص ٣٨٦ .

[١٠٣] المصدر نفسه : ص ٤٦٣ .

[١٠٤] كحالة : معجم المؤلفين : ج ٤ ، ص ١١ .

٧ . **فرحة خاتون** : متطببة يهودية ، كانت تداوي العيون ، وعلى يديها شفيت بعض العيون وعميت أكثر العيون ، وكانت ذائعة الصيت [١٠٥].

٨ . **حاج محمد أبو فينة** : متطبب ، كان يعالج الملاريا ، وبعض الأمراض في محلة الشيخ بشار مقابل جامع غنام في الكرخ . وتوفي بعد الاحتلال الإنكليزي [١٠٦].

٩ . **حاج حسين مال الله** : كان حلاقا في محلة سوق حمادة في كرخ بغداد ، وكان ماهرا في الجراحة والفصد والختان وقلع الأسنان والحجامة ، وكان يحضر الأدوية بنفسه . توفي في حدود سنة ١٩٢٣ [١٠٧] .

١٠ . **أحمد الولي** : حلاق معروف ، كان في محلة العوينة في رصافة بغداد ، وقد تعاطى الجراحة وقلع الأسنان والحجامة والختان والفصد ، كان حيا سنة ١٩٢٤ [١٠٨].

١١ . **سليمان غزالة** : ولد في الموصل سنة ١٢٧٠ هـ / ١٨٥٣ م وتوفي في بغداد سنة ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٢ م . درس على الآباء الدومينيكان في الموصل ثم عند الآباء اليسوعيين في بيروت . دخل

---

(١٠٥) الوتري : ص ٦٠

(١٠٦) العلوجي : ص ٤٣٧ .

(١٠٧) العلوجي : ص ٤٨٦ .

(١٠٨) العلوجي : ٣٦٣ .

جامعة باريس سنة ١٨٨٠ م ودرس الطب على شانتس وبوتزي وباستور ، ثم حصل على الدكتوراه في الطب عام ١٨٨٦ وفي سنة ١٨٨٧ وصل الى استنبول ، وخلال الفترة ١٨٩٥ – ١٩٠٥ عمل في العراق وسورية . وبين ١٩٠٥ – ١٩١١ عمل في ليبيا ، وانتخب عضوا في المجلس التأسيسي العراقي سنة ١٩٢٥ ، وفي عام ١٩٢٧ أصبح أستاذا في الكلية الطبية العراقية بعد تأسيسها مباشرة [١٠٩].له مؤلفات في الاقتصاد السياسي والاجتماع والفلسفة [١١٠].

١٢ . **السيد رضا بن أبي القاسم** : ولد في الحلة سنة ١٢٨٣ هـ / ١٨٦٦ م ، سافر في أواسط حياته إلى إيران وهناك تخصص في علم الطب اليوناني القديم ، وبعد عودته إلى الحلة تعاطى مهنة الطب وزاول معالجة المرضى في بيته . توفي سنة ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٧ م ودفن بالنجف [١١١].

١٣ . **الشيخ كاظم بيذرة** : ولد سنة ١٢٨٩ هـ / ١٨٧٢ م ، منحدرا من قبيلة آل عبد الله إحدى قبائل ربيعة القاطنين في بلدة عفك والهندية ، قرأ الطب على العالم المعروف علي شرارة ، ثم على كثيرين من

---

[١٠٩] بعض هذه المعلومات أخذت من قريبه الدكتور وليد غزالة في رسالة خاصة .

[١١٠] كحالة : معجم المؤلفين : ج ٤ ، ص ٢٥٧ .

[١١١] العلوجي : ص ٣٩٥ .

أطباء فارس . وانقطع أخيرا لتكميل دراسته الطبية على أطباء النجف، حتى نبغ في العلاج . وقد توفي سنة ١٣٤٩ هـ / ١٩٣٠ م [١١٢].

١٤ . **السيخ عبد الكريم ابن الحاج عبد الوهاب الخليلي** : كان متطببا في مدينة الكاظمية . توفي سنة ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م [١١٣].

١٥ . **عبد الحسين بن المهدي الخليلي** : ولد في النجف سنة ١٢٩٤ هـ / ١٨٧٧ م وسافر مع والده إلى الحلة وهناك درس عليه الطب ولازمه في العلاج طوال حياته حتى نبغ واشتهر ، وأصبح المرجع الوحيد لمعضلات الأمراض . وقد توفي بمرض الاستسقاء سنة١٣٥٦هـ / ١٩٣٧ م [١١٤].

١٦ . **حنّا خياط** : ولد في الموصل سنة ١٣٠٢ هـ / ١٨٨٤ م . حصل على بكالوريوس في العلوم والآداب من كلية الطب الفرنسية في بيروت عام ١٩٠٣ وعلى دبلوم الطب من جامعتي باريس واستنبول ، وخلال الحرب العالمية الأولى عمل طبيبا ونائبا لرئيس جمعية الهلال الأحمر بالموصل ورئيسا للمستشفيات فيها من عام ١٩١٤ – ١٩١٩ [١١٥] وانتمى إلى النادي العلمي فيها وشارك بنشاطات فعالة . وخلال سنة ١٩٢٠ – ١٩٢١ ترأس مديرية مصلحة

---

[١١٢] معجم أدباء الأطباء : ج ٢ ، ص ٤٣ – ٤٤ .

[١١٣] العلوجي : ص ٤٠٩ .

[١١٤] معجم أدباء الأطباء : ج ١ ، ص ٢٣٨ .

[١١٥] دنكور ، إلياهو / درويش ، محمود فهمي : الدليل العراقي الرسمي سنة ١٩٣٦

الصحة العراقية . وفي الوزارة النقيبية الثانية ١٩٢٢ تولى مسؤولية وزارة الصحة في الدولة العراقية [١١٦].

وهو طبيب ماهر وكاتب ومؤرخ ، له آثار طبية وكتيبات في علم الاجتماع ، وقد كان لتخصصه في الطب وثقافته الواسعة في أحوال المجتمع الدور البالغ في تطور الأمور الطبية بمدينة الموصل في أثناء توليه منصب رئاسة المستشفيات الملكية ويتضح ذلك فيما أعده من خطط إصلاحية لرفع كفاءة الجهاز الطبي فيها [١١٧].

١٧. **ملا خضر** : كان بعد سنة ١٣٠٩ هـ / ١٨٩١ م إماما يصلي بالناس في مستشفى نامق باشا في ظاهر باب المعظم ببغداد ، ثم أصبح مساعدا في قسم التشريح بالكلية الطبية العراقية سنة ١٩٢٧ م . لم أقع على تاريخ وفاته ولكنه كان حيا بعد سنة ١٩٣٩ [١١٨].

١٨ . **الشيخ مهدي بن الشيخ جعفر العطار** : كان طبيبا وعطارا في الكاظمية ، تعلم فنه من والده ، ولد في حدود سنة ١٨٦٤ ، وتوفي ١٩٥٤ [١١٩].

---

(١١٦) الحسني ، عبد الرزاق : تاريخ الوزارات العراقية – ط ٥ ، ج ١ ، ص ١٣ ، ٦٩ .

(١١٧) الطائي ، ذنون يونس : الاتجاهات الاصلاحية في الموصل في أواخر العهد العثماني وحتى تأسيس الحكم الوطني – رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ١٩٩٠ ، ص ٢٥٧

(١١٨) الوتري / الشابندر : ص ٥٥ . العلوجي : ص ٣٩ .

(١١٩) العلوجي : ص ٤٥٠ .

١٩ . **حسن بن الشيخ دخيل :** كان من علماء الطب في النجف . ولد سنة ١٢٩٠ هـ / ١٨٧٣ م وتوفي سنة ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م [١٢٠].

٢٠. **السيد أحمد بن السيد محمد حسين ربيع :** ولد سنة ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٨ م في مدينة الحلة ، وكان من أطباء العيون في النجف درس مبادئ علم الطب على الشيخ علي شرارة ودرس علميا على والده ، ثم اشتهر وكانت وفاته سنة ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م [١٢١].

ب – الأطباء العاملون في مستشفى بغداد المركزي العسكري وسنوات تواجدهم [١٢٢] :

١ – **رؤساء الأطباء والأطباء من الدرجة الأولى :** خلال سنة ١٩٠٤ (العميد عثمان ، العميد أرشدي نتالي ، العميد تحسين مصطفى) وفي سنة ١٩٠٦ (العميد محمد ، اللواء إسماعيل بسيم وهو بدرجة باشا ورئيس الأطباء) وفي سنة ١٩١٢ (العقيد محمد نفعي) وفي سنة ١٩١٦ (العقيد حاجي نوري) وفي سنة ١٩١٧ (العميد عزيز شركس) .

---

[١٢٠] العلوجي : ص ٣٨٤ .

[١٢١] العلوجي : ص ٣٦٠ .

[١٢٢] انظر سالنامات بغداد للسنوات المذكورة وكذلك كتاب تاريخ الطبابة العسكرية التركية والمستشفيات العسكرية – أوزباي ، ص ٨٢ – ٨٣ .

٢ - **الأطباء من الدرجة الثانية** : الذين خدموا خلال السنوات ١٩٠١ - ١٩٠٩ هم : (العميد محمد ، العقيد أوسيب ، الرائد نيقولاكي ، النقيب إسماعيل ، النقيب أرسن ، العقيد فؤاد إسماعيل ، النقيب ذهني ، النقيب ثروت ، النقيب كاني ، المقدم محمد ، المقدم خيري ، المقدم كمال ، الرائد إبراهيم نصوحي ، الرائد رفعت ، الرائد أحمد فكري ، الرائد سليمان عاصم) .

وأما الذين خدموا خلال السنوات ١٩١٠ - ١٩١٥ فهم : (المقدم عبد الحكيم ، العقيد عزيز بنيامين ، المقدم طاهر إبراهيم ، والنقباء بهيج ، جواد رفيق ، إبراهيم خليل ، شفيق ، حميد ، يوسف ، عبد الله ، توفيق سلين ، فؤاد ، جمال الدين ، مظفر علي ، محمد ذهني ، محمد صابر شريف ، مظهر مصطفى ، محمد حسين ، محمد بلال ، عبد القادر شام ، محمد محفوظ ، أحمد خلوصي ، عبد اللطيف محمد ، محمد عبد الله ، حسن حسني ، أندون مصر ، راغب كوركان ، صالح أشرف ، أحمد آوي ، هيلمان (ألماني)) .

ج - **الجراحون** : خلال السنوات ١٩٠٢ - ١٩٠٤ (صالح ، سعيد ، الرائد الجراح (أوبراتور) ، علي عرفان ، راشد) وخلال السنوات ١٩٠٩ - ١٩١١ (المقدم عثمان نورس ، المقدم نوري ، المقدم حسن لطفي) وفي سنة ١٩١٢ (اللواء عزيز) وفي سنة ١٩١٦ (النقيب خليل سيزائي) .

د- **أخصائيــو الأعصـــاب** : سنة ١٩١٢ (النقيب عاطف كمال) .

هــ- **أطــبــاء الــعــيــون** : خلال سنة ١٩١٦ (الرائـد كوزمــوك ، الطبيب عثمان نورس أرتكين ، الرائد كاظم) وفـــي ســنة ١٩١٠ – ١٩١٤ (النقيب أحمد صفوت) وفي سنة ١٩١٤ – ١٩١٦ (النقيــب حميد شاكر) .

ز- **أخصائيو الأذن** : خلال سنة ١٩١١ (النقيب محمد ضــياء الــدين ، المقدم محمد خليل) .

ك- **الباكتريولوجيون** : سنة ١٩١٣ (النقيب عثمان شرف الدين) ســنة ١٩١٤ – ١٩١٦ (المقدم محمد خليل) .

إشكاليّة تجنيس المقالة في الأدب العربي الحديث

الدكتور فاضل عبود التميمي
جامعة ديالى : العراق
م.م لطيفة عبد الله الحمادي :
كليّة الدراسات الإسلاميّة والعربيّة : دبي : الإمارات

الملخص :

بُني بحثنا : (إشكاليّة تجنيس المقالة في الأدب العربي الحديث) على إجراءات نقديّة توّخت الدخول في تبيان الهدف الذي من أجله كُتب ، رائية أنّ (الإشكاليّة) تنبع من الوسط الأدبي الذي تعيش فيه المقالة مجاورة الأنواع الأدبيّة الأخرى ،فهي في كتابات كثير من النقاد مضطربة المصطلح ، متعدّدة الدلالات ، لم تحظ بعناية تنصبّ حول متنها ، ولم تجد اهتماما يتكفّل بالإفصاح عن مكنونها ، إلا في حدود ضيّقة يعرفها المختصون ، ولعلّ هذا الاضطراب هو الذي دفعنا إلى كتابة هذا البحث الذي نأمل أن يجيب عن السؤالات التي تريد فكّ جوهر الإشكاليّة .

استطاع البحث – بما أوتي من خطّة اتّخذت من المنهج النصي ذي الرؤية التحليليّة طريقا مفضيا إلى تحقيق ما يصبو إليه – أن يقف عند مسائل كثيرة تتعلّق بالبنية التنظيميّة للمقالة معتمدا عددا من المصادر والمراجع التي تتداخل وإشكاليّة تجنيس هذا الأدب الذي أدّى أثرا مهمّا في تاريخ الأدب العربي الحديث .

والبحث بإيجاز دقّق في تعريف المقالة ، ونظر في نشأتها ، وحلّل انعكاس تلك النشأة في طبيعة تشكّلها النصي ، ووقف عند نظرية

الأجناس الأدبيّة لكي يستثمر تصوراتها المفضية إلى تحديد (قالب) المقالة الفني ، وهدفه أن يقول كلمته في طبيعة تمظهرها الأجناسي الذي يدور في فلك(النوع) الأدبي النثري ، وليس في محور(الجنس)القائم بذاته ، أو حيّز(الفن) السائب من حافات التحديد المفهومي .

٢- هدف البحث :

يريد هذا البحث أن يدقّق النظر في قضيّة تجنيس المقالة لاسيّما الأدبيّة منها بعد أن لاحظ تضارب الآراء النقديّة في طبيعة تشكّلها النصي ، فهي في متون بعض النقاد(جنس) قائم بذاته ، وفي جهود نقاد معنيين بها (نوع) أدبي ذو مكانة متميّزة ، وفي كتابات آخرين (فن) نثري .

فالبحث حاول بمنهجيّة واضحة أن يستنطق التوصيفات السابقة ، وأن يقول كلمته التي لم يطلقها جزافا وهو يقرأ أهمّ المقولات التي قال بها النقاد العرب ، والباحثون ، وهم يتأملون نصّ المقالة ، ونماذج من تشكيلاتها ردحا من الزمن ، مطلقا تساؤلات مسوّغة الحضور ضاربة في ماضي المقالة ومستقبلها .

٣- تعريف المقالة :

جاء في لسان العرب : ((القول : الكلام على الترتيب ... قال يقول قولا وقيلا وقولة ومقالا ومقالة))[١] ، وقد أورد الرازي (بعد٦٦٦هـ)الكلمة بصيغة التأنيث(مقالة) ، وبصيغة التذكير(مقال)[٢] .

---

(١) لسان العرب : مادة : قول : دار صادر دون تاريخ بيروت.

(٢) مختار الصحاح : دار الكتاب العرب : بيروت لبنان١٩٨١ : ٥٥٦ .

والمقالة على صيغة (مفعلة) ، مصدر ميمي للفعل قال يقول ، وجاء في المعجم الوسيط وهو من المعجمات الحديثة : المقالة بحث قصير في العلم ، أو الأدب ، أو السياسة ، أو الاجتماع [٣].

أمّا اصطلاحا فقد تعددت تعريفات المقالة عند النقاد تبعا لتعدد مناهجهم ، ومشاربهم النقديّة ، لكنّها – التعريفات – أدّت غرضها المفهومي القائم على توضيح التقليد الشكلي للمقالة ، فضلا عن حدّها ، فهي بحسب تعريف أحمد أمين(١٩٥٤م) : إنشاء نثري قصير كامل الدلالة يتناول موضوعا واحدا يكتب بطريقة لا تخضع لنظام معيّن ، ويسمح لشخصيّة الكاتب بالظهور[٤] ، وفي تعريف الدكتورعلي جواد الطاهر(١٩٩٦م) المقالة:((نوع من الأنواع الأدبيّة الإنشائيّة ، يعبر بها الأديب نثرا عن حالة واحدة من حالات مشاعره ، أو عن طور من أطوار حالة واحدة في صفحات قليلة محدودة ...))[٥] ، وقد عرّفها الدكتور محمد يوسف نجم (٢٠٠٩م) بقوله : ((قطعة نثريّة محدودة في الطول والموضوع ، تكتب بطريقة عفويّة سريعة خالية من الكلفة والرهق ، وشرطها الأول أن تكون تعبيرا صادقا عن شخصيّة الكاتب))[٦] ، وهي عند الناقد عبد الجبار البصري (٢٠٠٢م) : ((نوع من الإبداع الفني

---

[٣] ينظر : المعجم الوسيط : إبراهيم أنيس وآخرون : ج٢ : الدار الهندسية مصر : ١٩٨٥ : مادة قال : ٧٦٧.

[٤] ينظر : النقد الأدبي : مكتبة النهضة المصرية : ١٩٨٣ : ٩١.

[٥] مقدمة في النقد الأدبي : المؤسسة العربية للدراسات والنشر: بيروت : ط٢: ١٩٨٣ : ٢٦٢.

[٦] فن المقالة : دار الثقافة : بيروت – ط٤- ١٩٦٦م : ٩٥ .

الأدبي معتدل الطول يتحدث نثرا عن تجربة شخصيّة تتناول ظاهرة واحدة حديثا عفويّا لا تكلفة فيه))[٧].

نخلص ممّا سبق إلى أنّ المقالة نصٌ أدبيٌ نثري يعبّر فيه مؤلفه عن مسألة ما برؤية واضحة من غير كلفة مقرونة بعدد محدّد من الصفحات يحاول خلالها أن يحيط بتلك المسألة ليكون له فيها رأي واضح .

٤- نظرات في نشأة المقالة عند العرب :

قيل في نشأة المقالة عند العرب آراء تقترب كثيرا من الثقافة العربيّة ، وتبتعد ، فالمقالة مثل غيرها ((من الفنون الأدبيّة أدركها ، ويدركها التطوّر حسب ما يقتضيه تطوّر الأفكار ، والأساليب ، وحسب الظروف الثقافيّة ، والفكريّة السائدة))[٨] ، لعلّ أهمّ تلك الآراء :

الأوّل : أن للمقالة أصلا يتصل بتراث الغرب :

ممّا لا شكّ فيه أنّ جذور المقالة ضاربة بأطنابها في التاريخ ، شأنها شأن الكثير من فنون الأدب ، إذ إنها وبحسب رأي الدكتور محمد يوسف نجم : ((تقوم على ملاحظة الحياة ، وتدبر ظواهرها ، وتأمل معانيها ، وهذه ظاهرة نفسية رافقت الإنسان منذ ظهوره على وجه الأرض ، إذ هي مركبة في طبيعته))[٩] ، وأن الإنسان ((عبّر عنها منذ فجر التاريخ في تهاويل السحر ورسوم الكهوف ، ووجدت في أحاديثه ، ومسامراته قبل

---

[٧] رواد المقالة الأدبية في الأدب العراقي الحديث : وزارة الإعلام العراقية بغداد : ١٩٧٥ : ١١.

[٨] المقالة النقدية الأدبية في مجلة الرافد الإماراتية : لطيفة عبدالله أحمد الحمادي : ٢٠.

[٩] فن المقالة : الدكتورمحمد يوسف نجم : ٨ .

عهد التدوين متنفسا ومراحا ، وأصبح من عادة الإنسان المتأمل فيما بعد أن يدوّن نتيجة تأملاته ، وخاطراته على صورة ساذجة تتّسم باليسر ، والعفويّة دون أن يشقّ على نفسه في خلق قالب فنيّ محدّد .. وهذا ما نجده في أمثال الأمم وجوامع كلمها[١٠] ، ويضرب بعض الأمثلة منها : أسفار العهد القديم مثل: سفر الأمثال ، وسفر الجامعة ، وسفر يشوع بن سيراخ .

ثم يتتبّع الدكتور نجم بذور المقالة في الآداب القديمة ، ويشير إلى أنّ آثار الإغريق والرومان عُثر فيها على صور متطوّرة لهذه المحاولات البدائيّة ، فقد ظهرت تباشير المقالة في آثار بعض كتّاب الإغريق أمثال : هيرودوتس ، وديموشنيس ، وديونيزيوس ، وفيثاغورس، وأبيقور ، وسواهم ممن عاشوا في المدّة التي امتدت من القرن السابع قبل الميلاد حتى القرن الثالث بعده ، فضلا عن أنّ أساليب بعض الفلاسفة والكتّاب أمثال : سقراط ، وأفلاطون ، وأرسطو طاليس ، وثيوفراسطوس ، وفلوطار خوس كانت دائما ذات أثر مباشر في أساليب بعض أنواع المقالة الحديثة ... إذ يعدّ ثيوفراسطوس تلميذ أرسطو طاليس رائد المقالة الشخصيّة ، أما فلوطار خوس فقد وضع أسس المقالة التأمليّة[١١].

ثمّ يتدرّج في استعراضه لنشأة المقالة ليصل إلى الأدب اللاتيني ليعلمنا أنّه بإمكاننا أن نعثر في آثار بعض أعلامه على بذور لبعض أنواع

---

[١٠] ينظر : نفسه : ٨ .

[١١] ينظر : فن المقالة : ١١ ، ١٢.

المقالة الحديثة ، ويذكر عدّة أمثلة تألّقت في سماء الأدب اللاتيني ، أبرزها – في نظره – : شيشرون ، وسينكا ، و أولوس جيليوس[١٢].

ويكاد يجمع مؤرخو الآداب الغربيّة ، ومعظم من كتب عن المقالة في طورها الحديث ، أنّ المقالة الأدبيّة الحديثة عرفت طريقها إلى الحياة في القرن السادس عشر على يد ميشيل دي مونتين (١٥٣٣م– ١٥٩٥م) ، الذي يمثّل في ثقافته ، وذوقه رجل النهضة الفرنسي أحسن تمثيل ، وقد ألهبته حماسة أبيه ، وشغفه بالثقافة الإيطالية الإنسانية . فاتجه إلى دراسة اللاتينيّة التي استطاع من خلالها أن يقرأ روائع الأدب الإغريقي ، فاستوحى كتاباته من آثار سابقيه ،ومعاصريه من كتاب المواعظ والدروس الخلقيّة ، وصاغ منها عملا يدور حول المشكلات الخلقيّة والمعيشيّة ، بعبارات جميلة ، التقطها من هنا وهناك[١٣].

وقد أطلق مونتين على كتاباته مصطلح (Essay) وتعني تجارب أو محاولات ، وكتابات مونتين الأولى كانت خلاصة مدّة من العزلة فرضها على نفسه ، وتأثر فيها ببعض التيارات الأدبيّة ، وقد تداخلت عدّة عوامل انعكست على كتاباته أهمها: عزلته ، وثقافته ، وتأملاته ، وعنايته بالأدب ، واهتمامه بمشكلات عصره الفكريّة والاجتماعيّة ، فكانت كتاباته غيضا من التأملات العميقة ، والتجارب الشخصيّة الصادقة مدعمة ببعض الحكم ، والأقوال المأثورة[١٤].

---

[١٢] ينظر : نفسه : ١٤.

[١٣] ينظر : نفسه : ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩.

[١٤] ينظر : نفسه : ٢٨ ، ٣٣.

وبهذا تكون المقالة قد نشأت على يد مونتين نشأة ذاتيّة ، تألق فيها العنصر الذاتي ، الذي يتدفق من التجارب والمشاعر الخاصّة للكاتب ، وقد ذاعت شهرة مونتين ومقالاته في أنحاء أوروبا ، وظهرت لكتابه ترجمة إنجليزية في لندن ، تأثر به كبار الأدباء أبرزهم : الكاتب الإنجليزي (فرنسيس بيكون ١٥٦١م- ١٦٣٦م) الذي يعد رائد المقالة الموضوعيّة ، وكان بين كتابات (بيكون) ، و(مونتين) فرق واختلاف مرجعه تباين مذهبيهما في تلقي الحياة والصدور عنها ، فمقالات بيكون طبعت بطابع الوعظ المركّز ، يُعنى فيها بالجانب الأخلاقي مثل : مقالته عن(الحسد) ، أو مقالته عن (التظاهر والرياء) ، فكانت مقالاته أقرب إلى الموضوعيّة وبعيدة عن الذاتيّة ؛ أمّا مونتين فيبثّ تجاربه الخاصة ،ونظرته للحياة بأسلوب نابع من صدق التجربة[١٥] ، ونتيجة لهذا الاختلاف بين مقالات(مونتين) ، و(بيكون) ؛ قسّم رجال الأدب والنقد المقالة على نوعين : ذاتية ، وموضوعيّة .

وتطوّرت المقالة الأوروبيّة من الناحية الفنيّة والموضوعيّة على مرّ العصور نتيجة اعتناء الكتّاب بها ، ففي القرن الثامن عشر بدت المقالة نوعا أدبيّا قائما بذاته ويعزى الفضل في هذا التطوّر الذي لحق بالمقالة إلى جهود كاتبين برزا في هذه المدّة ، وهما ريتشارد ستيل ، وصديقه جوزيف أديسون[١٦] ، كما أعان تطوّر الصحافة في هذه المدّة على تطوّر المقالة ، واتجهت المجلّات اتجاها إصلاحيّا تهذيبيّا ، فكانت الرغبة في

---

[١٥] ينظر : فن المقالة : ٣٥ . ٣٨.

[١٦] ينظر : نفسه : ٤٧ ، ٤٨.

الإصلاح هي الغاية الأساسيّة لهذا الفن الجديد ، وثمّة من يرى أنّ انتشار المقاهي التي يجتمع فيها الناس ، ويتحاورون في جميع شؤون الحياة ، هي من الأمور التي ساعدت في تطور المقالة في هذه المرحلة[١٧].

وقد حفل القرن التاسع عشر في أوروبا بنخبة من الكتّاب الذين تمردوا على قواعد أسلافهم في المقالة ، وأحلّوا مكانها أسسا جديدة ، تختلف في مضمونها ،من أشهر هؤلاء : شارلس لام ، ولي هنت ، وهزلت ، وكونسي ، كما أدى اتساع نطاق العلوم ، والفنون في هذا القرن إلى ميل المقالة نحو التخصّص ، فظهرت المقالة الشخصيّة ، والعلميّة ، والنقدية ، والفلسفيّة ، ومن أشهر كتّاب هذه المرحلة : ماكس بيربوم ، وإدوارد لوكاس ، وبرنارد شو ، و ت. س إليوت...وغيرهم[١٨].

إنّ أصحاب هذا الرأي يريدون أن يقولوا : إنّ المقالة عند العرب أخذت شكلها ، وسماتها الفنيّة من تراث الغرب على فرض مؤداه أنّ الآداب العالميّة تتبادل بينها التأثير ، والتجربة ، وأنّ الأديب لا يمكن أن يعيش منعزلا عن الكون الذي ينتمي إليه ، وهذا ما حدث للأديب العربي مطلع القرن العشرين حين أفاد من شكل المقالة الغربيّة ومحتواها.

الثاني : إنّ للمقالة أصلا في تراث العرب :

يرى كثيرٌ من الدارسين أنّ وجود المقالة في الأدب العربي قديم ،قدم الأدب نفسه ، وقد تنوعت آراؤهم الباحثة في هذا الشأن ، فالناقد عباس محمود العقاد (١٩٦٤م) يرى أنّ أصل المقالة عربيّ إذ قال : ((ولكن

---

[١٧] ينظر : نفسه : ٥١.

[١٨] ينظر : نفسه : ٥٧ ، ٦٣ ، ٦٤.

الفصل كما عرفه العرب هو أقدم رائد للمقالة في الآداب العالمية ؛ لأنه ظهر قبل ظهور مقالات مونتيني إمام هذا الفن غير مدافع بين الأوروبيين..))[19].

ويرى الدكتور محمد مندور(١٩٦٥م) أن جذر المقالة العربيّة ينتمي إلى ((ما يمكن أن نسميه صورا قلميّة في أدبنا العربي القديم ، وبخاصّة عند الجاحظ في مثل (رسالة التربيع والتدوير) التي تعتبر صورة قلميّة مسهبة لخصمه الدود ابن عبد الوهاب))[20].

ويوافق الدكتور عمر الدسوقي(١٩٧٦م) على ما سبق بقوله : ((ليست المقالة غريبة عن الأدب العربي القديم ، وإن تغيّرت صيغتها وشروطها ، فعبد الحميد الكاتب حين تكلم عن الشطرنج ، أو الصيد ،أو الكتابة كان يكتب شيئا قريبا من المقال ، والفصول الأدبيّة التي أنشأها الجاحظ في كتبه : البخلاء ، والمحاسن والأضداد ، والحيوان ، والبيان والتبيين مقالات تنقصها شروط المقالة الحديثة))[21].

والدكتور عبد اللطيف حمزة (١٩٨٥م) رأى أنّه من الخطأ أن ننظر إلى المقالة على أنها شيء جديد كلّ الجدة في تاريخ الأدب العربي ، في حين

---

(19) بسالونك – عباس محمود العقاد – لجنة البيان العربي بالقاهرة ١٩٤٦م- المطبعة العصرية ، بيروت ١٩٨١م : ٦.

(20) الأدب وفنونه : الدكتور محمد مندور : دار نهضة مصر : ١٩٧٤ : ١٩٣.

(21) في الأدب الحديث – الدكتور عمر الدسوقي – ج١- ط٢ – دار الفكر العربي ، القاهرة – ١٩٧٣م : ٥١٤.

هي شيء له مقدماته التي مهّدت لظهوره[٢٢] ، وهذا الرأي يفيد بأن للمقالة أصلا عربيّا عريقا .

ويحدّد الدكتور محمد يوسف نجم ظهور المقالة عند العرب في القرن الثاني الهجري ، وقد تمثلت في أحسن صورها في الرسائل ولاسيّما الإخوانيّة والعلميّة ، مؤكدا ذلك بقوله : ((إذا تصفحنا كتب الأدب ، ومصادر التاريخ وجدنا أمثلة كثيرة تدعم هذا الرأي ، فصفة الإمام العادل للحسن البصري مثل جيّد على المقالة الأخلاقيّة ... ورسالة عبد الحميد إلى الكتّاب التي تضع دستورا للكتابة الديوانيّة ولأخلاق الكتاب ، قريبة الشبه بالمقالة النقديّة الحديثة ، من حيث الموضوع والأسلوب))[٢٣].

وذهب الدكتور فائق مصطفى إلى أنّ العالم والأديب البغدادي ابن الجوزي(٥٩٧هـ) كان أسبق من (مونتاني) بقرون حين كتب المقالة الأدبيّة في كتابه (صيد الخاطر) الذي أودع فيه قطعا نثريّة لا تختلف أبدا عن نصوص المقالة ، وهو يرى أنّ تلك النصوص : المقالات كانت موضع عناية من لدن أحمد أمين الذي سمّى أشهر كتبه المقاليّة : (فيض الخاطر)[٢٤].

وقد حاول بعض الدارسين أن يقف من الآراء السابقة موقف الموازن ليعطي لكلّ رأي حقه في هذا المجال ، فالدكتور عز الدين

---

[٢٢] ينظر : أدب المقالة الصحفية في مصر : الدكتور عبد اللطيف حمزة ج١- ط٣- دار الفكر العربي ، القاهرة : ٤.

[٢٣] فن المقالة – الدكتور محمد يوسف نجم : ١٧ ، ١٨.

[٢٤] ينظر : دفاع عن المقالة : كركوك- العراق : ٢٠٠٨ : ٧.

إسماعيل(٢٠٠٧م) يقول : ((وكلمة المقالة ليست غريبة على اللغة العربية ، ولكنها من حيث دلالتها الفنيّة تعد محدثة في أدبنا العربي ، والحق أن تاريخ المقالة عندنا يرتبط بتاريخ الصحافة ،وهو تاريخ لا يرجع بنا إلى الوراء أكثر من قرن ونصف القرن ، وبذلك تكون المقالة قد دخلت في حياتنا الأدبيّة بعد أن أخذت في الآداب الأوروبية وضعها الحديث))[٢٥].

والحق أنّ المؤلفين العرب القدماء قد عرفوا المقالة في دلالة ((لا تدخل فيما نحن فيه لأنها تعني فيه : الرأي ، والمذهب ، والعقيدة ، أو الفصل ،والجزء من الكتاب))[٢٦] ، مستعملين اللفظة للدلالة على نمط من التأليف كما هي عند ابن النديم (٣٨٥هـ) إذ قسّم كتابه (الفهرست) على عشر مقالات تحتوي كلّ مقالة على عدّة فنون من التأليف[٢٧] ، وهذا ما فعله الخوارزمي (٣٨٧هـ) في كتابه (مفاتيح العلوم) الذي جعله في مقالتين : الأولى لعلوم الشريعة ، والأخرى لعلوم اليونان وغيرها[٢٨] ، وكان ابن الأثير (٦٣٧هـ) مثلهما حين قسّم كتابه (المثل السائر في أدب

---

[٢٥] الأدب وفنونه دراسة ونقد : الدكتور عز الدين إسماعيل ط ٨ - دار الفكر العربي ، القاهرة - ١٩٨٣م : ١٦٢.

[٢٦] مقدمة في النقد الأدبي : الدكتور علي جواد الطاهر : المكتبة العالمية بغداد : ط٢ : ١٩٧٣ : ٢٩٠ .

[٢٧] - ينظر : الفهرست بتحقيق : رضا تجدد ، طهران مطبعة دنشكاه :١٩٧١.

[٢٨] تنظر : طبعة الشرق : ١٣٤٢هـ .

الكاتب والشاعر) على مقالتين[٢٩] ، فضلا عن أنّ القلقشندي(٨٢١هـ) قسّم كتابه (صبح الأعشى في صناعة الإنشا) على عشر مقالات[٣٠].

أصحاب هذا الرأي ينطلقون من قراءة تحاول أن تحفر في سياق التراث العربي لتكشف عن قسم من مكنوناته التي لمّا تزل حاضرة في حياتنا المعاصرة ، وهم في حفرهم هذا يستندون إلى نصوص قديمة تؤيد مسعاهم النقدي ، وتؤكّد سلامة تفكيرهم الإجرائي .

الثالث : نفي العلاقة بين الأدب العربي والمقالة :

نفى عددٌ من النقّاد ، والدارسين معرفة العرب بالمقالة ، فأنيس المقدسي(١٩٧٧م) يذهب إلى أنّ أدبنا القديم : ((لم يعرف فن المقالة كما عرفها أدبنا الحديث ، ومهما حاول بعضهم أن يثبت وجودها في أدب القدماء ، فمما لا شك فيه أن كتّاب نهضتنا الحديثة لم يجروا فيها على طريقة أسلافهم القدماء ، وإنّما تابعوا فيها كتّاب الغرب ، وكان مسرحها الأوّل صفحات الجرائد السياسيّة والأدبيّة فهنا نمت ، وترعرعت ، وتطوّرت حتى أصبحت فنا قائما بذاته))[٣١].

ويوافقه الدكتور شوقي ضيف (٢٠٠٥م) حين يقول : ((ولم يكن العرب يعرفون هذا القالب ، إنّما عرفوا قالبا أطول منه ، يأخذ شكل كتاب

---

[٢٩] ينظر: المثل السائر بتحقيق : الدكتورأحمد الحوفي ، و الدكتور بدوي طبانة : القاهرة دار نهضة مصر ١٩٦١.

[٣٠] تنظر : نشرة القاهرة : دار الكتب المصرية.

[٣١] الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة - الدكتور أنيس المقدسي - دار العلم للملايين ، بيروت - ط٥- ١٩٩٠م - : ٣٦٠.

صغير ، وهم يسمونه (الرسالة) مثل رسائل الجاحظ . ولم ينشئوه من تلقاء أنفسهم ، بل أخذوه عن اليونان والفرس))[٣٢] ، ليؤكد بصريح العبارة أنّ المقالة مستوردة إلى الأدب العربي : ((أما المقالة فقد أخذناها عن الغربيين))[٣٣].

ونجد الدكتور صالح أبو إصبع ، والدكتور محمد عبيد الله ينفيان ارتباط المقالة ببعض الفنون العربيّة القديمة خاصّة الخطبة ، والمقامة وذلك بقولهما : ((ربط كثير من الدارسين أصول المقالة بعدد من الفنون العربيّة القديمة كالخطبة ، والمقامة ، والرسائل ، ولكننا نرى أن ربطها بالخطبة أمر لا يصح ، إذ إن المقالة فن مكتوب له شروطه الخاصة ، كما أنّ الخطبة فن قولي شفهي يشترط خطيبا ، ومستمعين ، وأسلوبا خاصّا يختلف اختلافا بيّنا عن المقالة ، أمّا صلتها بالمقامة فهي تقترب من القصّة ، والفنون السرديّة لكنّها بعيدة عن طبيعة المقال وبنائه))[٣٤].

ممّا لاشكّ فيه أنّ المقالة تتفرد بمزايا خاصّة عن الأنواع النثريّة القديمة . نتيجة تأثر كتّاب المقالة الحديثة بالاتجاهات السائدة في الآداب الغربيّة ، فالمقالة لها امتداد في الأدب الأوروبي ، وكانت خير أداة لتبليغ الخطاب السياسي ، والاجتماعي ، والثقافي ... وعن طريق الصحافة

---

[٣٢] الأدب العربي المعاصر في مصر- الدكتور شوقي ضيف - دار المعارف ، القاهرة ط٨- ١٩٨٣م- : ٢٠٥ .

[٣٣] نفسه : ٢٠٥ .

[٣٤] فن المقالة (أصول نظرية ، تطبيقات ، نماذج) الدكتور صالح أبو إصبع ، والدكتور محمد عبيد الله - ط١ - دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان - ٢٠٠٠م : ١٣ ، ١٤.

تطورت ، وظهرت فيها أساليب ، وأشكال متعددة ، وكون ظهور الصحافة عند الغرب أسبق من العرب ، فإنّ المقالة تطورت لدى الغرب ، ووصلت إلى العرب متكاملة ، لكنّنا إزاء ذلك لا نستطيع التسليم للآراء التي تنفي وجود بذور ، أو إرهاصات للمقالة في الأدب العربي القديم ، لأنّ هذه الآراء تجرّد المقالة من خصائصها التاريخيّة في المراحل الأولى لنشأتها.

وممّا لا شكّ فيه أنّ الحياة الجديدة قدّمت المزيد من الوسائل الحديثة ، لذلك يجب أن لا يقضي الجديد على الماضي ، ويخفي خصائص القديم الذي له ظروفه ، ومقوماته ، وخصائصه .

والبحث إذ لا ينكر تأثير المقالة الغربيّة في بناء المقالة العربيّة الحديثة فإنّه لا ينكر أيضا أنّ للمقالة جذرا في تراث العرب لاسيّما في رسائلهم التي تتضمن الرأي ، والقول ، والاعتقاد ، وأنّ أصحاب الرأي الثاني لهم الحق فيما تأولوا ، واستحضروا من أطروحات تسهم في تتبع تاريخ المقالة العربيّة ، وتبيّن مراحل تطورها.

إنّ سلطة الأدب عند العرب قديما تنفتح على فضاء اشتغال مطلق ، فليس غريبا على أمّة كتبت المعلّقات ، ومئات الدواوين الشعريّة ، والمصنّفات النثريّة السرديّة ، والعقليّة ، وكتب التفسير ، وشروح الشعر ، والتأويل أن تقف عاجزة عن كتابة نصّ محدّد التجربة ، والشكل يمدّ وعيا نحو الحياة ، وتكون له رؤية واضحة .

٥- نظريّة الأجناس الأدبيّة وموقع المقالة فيها :

يبدو أن نظرية الأجناس الأدبيّة تتطوّر على مدار القرون لتُحضر أنواعا أدبية ، وتغيّب أخرى استجابة لمنطق صراع الأنواع أنفسها ،

و((إن تاريخيّة جنس أدبي تتجلى في عمليّة خلق البنية ، وتنويعها واتساعها ، والتعديلات التي تضفي عليها ، وقد يتطوّر هذا المسلك إلى حدّ انهاك الجنس ، أو إقصائه من قبل جنس جديد))[٣٥] ، ومنطق الصراع يؤكد أن تشكيل جنس ، أو نوع جديد يمكن كذلك أن ينبع من تحويرات بنيويّة تجعل مجموعة أجناس موجودة من قبل تتدرج ضمن مبدأ تنظيم أرقى[٣٦] ، وتختلف النظرة إلى هذه النظريّة لتستأثر بعناية الدارسين الذين يدركون أنّ ((مقام الكتابة أجناسي من حيث كون كلّ كاتب يتصوّر مهمّته حسب ثقافته الأدبيّة الخاصّة))[٣٧] ، بمعنى أنّ فكرة الأجناس اختزال منظّم لشكل الكتابة الأدبيّة في كلّ عصورها ، يفضي إلى تبيّن المزايا الخاصّة باللغة الأدبيّة ، والحدود الفاصلة بين أنواعها .

والجنس الأدبي في واحد من تعريفاته : ((اصطلاح عملي يستخدم في تصنيف أشكال الخطاب ، وهو يتوسط بين الأدب ، والآثار الأدبيّة))[٣٨] ، لغرض الإحالة على خارطة الأنواع ، والأشكال ، والأنماط ، وهي تتقاسم سلطات الفصل بين النصوص آخذة بنظر الاعتبار أنّ الفصل لن يكون ميكانيكيّا يفضي إلى العزلة التامّة المفارقة لمحيطها ، وإنما هو فصل بين مكوّنات لسانيّة تمتد ما بينها أواصر التشاكل

---

[٣٥] نظرية الأجناس الأدبية : مجموعة مؤلفين : ترجمة عبد العزيز شبيل النادي الأدبي : جدة ١٩٩٤ : ٦٣ .

[٣٦] ينظر : نفسه : ٦٨ .

[٣٧] نفسه : ٩٣.

[٣٨] معجم مصطلحات نقد الرواية : لطيف زيتوني : ط١ : مكتبة لبنان : ٢٠٠٢ : ٦٧.

والاختلاف ، وهدف الجنس الأدبي في شكله النهائي ضبط الأثر ، وتفسيره[٣٩] بقصد الإسهام في قراءة الأدب ، وتلقيه .

إذا استأنسنا برأي (برونتيير) صاحب نظرية (تطور الأنواع الأدبيّة)[٤٠] ، الذي مؤداه أنّ ((الجنس الأدبي كائن حيٌّ يولد ، ويتطوّر وقد يموت ، وقد يبعث حيًا فيما لو تهيّأت له سبل الحياة من جديد ... فلن تنكر أنّها -المقالة- حوت الجينات التي أدّت إلى خلق هذا اللون عبر حقب التاريخ الأدبي حتى أذن له أن يعرف سنة ١٥٨٠م ، على يد الفيلسوف الفرنسي ميشيل دي مونتيني الذي تعدّه المصادر الأدبيّة في الغرب أبا للمقالة الحديثة...))[٤١] ، لكن السؤال المهم -هنا- من أين جاءت جينات المقالة ، وفي أيّ حاضنة تم تلقيحها ، ومع مَنْ ؟ .

إن هذه التساؤلات تفضي إلى تصوّرات هي أقرب إلى الإجابات المقترحة التي تتحلّق حولها استنتاجات تحدّد الكيفيّة التي تمّ بموجبها ولادة المقالة ، ولا بأس والبحث لمّا يزل في مرحلة التساؤلات أن يستعين بتصورات النقد العربي القديم الذي يجد أنّ قسما منها يصلح إجابات لبعض التساؤلات المعاصرة ، كان لمسكويه (٤٢١هـ) رأي مهمّ أشار

---

(٣٩) ينظر : معجم مصطلحات نقد الرواية : ٦٧ .

(٤٠) يشير البحث إلى أنّ كثيرا من النقاد القدماء ، والمعاصرين يستعملون(النوع) بدلا من الجنس : ينظر : جذور نظرية الأجناس الأدبية في النقد العربي القديم : الدكتور فاضل عبود التميمي : المجمع العلمي العراقي : بغداد ٢٠١٢ :٤٠.

(٤١) المقالة في ليبيا نشأتها وتطورها خلال العهد العثماني الثاني (١٨٦٦- ١٩١١) : أحمد عمران بن سليم- دراسة فنية تحليلية نقدية - ط١- منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي- ١٩٩٢م- : ٢٦.

فيه إلى أنّ الكلام الأدبي لا يقف عند جنسي الشعر ، والنثر ، وإنما يمضي لتتوالد فيه خاصيّة إبداع أنواع أخرى لم يتحدّث عنها لكنّه أكّد أنّها تقع في النثر ، يقول في هذا الصدد : إنّ الكلام ينقسم على المنظوم ، وغير المنظوم ، وغير المنظوم(المنثور) ينقسم على المسجوع ، وغير المسجوع ، والأخير لا يزال ينقسم كذلك حتى ينتهي إلى آخر أنواعه[٤٢] ، أي أنّ النثر له القدرة الذاتيّة على توليد أنواع أخرى تخرج من بنيته النصيّة لتكون نوعا أدبيّا آخر مختلفا .

يتّضح لنا أنّ((مسكويه يشير إلى عمليّة توالد الأنواع من بعضها بدءا من الشكل الأعلى : الشعر ، أو النثر وصولا إلى أبسطها حيث تنعدم القسمة ، ويرجع عمليّة التوالد هذه إلى تفكّك الخصائص الأسلوبية (الوزن مثلا) باعتبارها مرشدة إلى نوعيّة التمايز بين هذه الأنواع))[٤٣] ، فالتفكّك النصي يحيل على أمثلة جديدة تخرج من فضاء الانفصال النصيّ لتدخل في فضاء النوع الجديد .

ويذهب علماء الأنواع:الأجناس الأدبيّة إلى أن النوع لا يوجد من العدم ، وأنّ مبدعه يبنيه من مواد مستمدّة من أصول مختلفة ، أو يأخذه من غيره ويعمل به تغييرا وتبديلا ، وأن الصراع بين الشكل الموروث للنوع الأدبي ، وأصالة المؤلف المبدع من أروع مشاهد الفكر الإنساني[٤٤] ، ممّا

---

[٤٢] ينظر : الهوامل والشوامل تحقيق : أحمد أمين والسيد أحمد صقر : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر : القاهرة ١٩٥١ : ٣٠٩.

[٤٣] النثرية العربية : الأنواع والأغراض : أفريقيا الشرق : المغرب : ١٠٥ .

[٤٤] ينظر : الأدب المقارن : فان تيجم : منشورات دار الفكر العربي : ٧٨ –٨٣.

سبق يتبيّن لنا((أنّ الجنس الأدبي الواحد قادر على إيجاد أجناس أدبيّة أخرى خلال التطور الكمّي ، والنوعيّ للأدب نفسه ، وهو يعيش في حاضنة تاريخيّة متحرّكة))[٤٥].

إذا ما نظرنا إلى المقولتين السابقتين ونحن نحاول البحث عن الكيفيّة التي وُلدت فيها المقالة يمكننا القول: إنّ المقالة لم تولد من العدم ، وإنّ مبدعها المفترض جاء بها من أنواع مجاورة لها أصل معلوم ، أو أنه أخذها من غيرها بعد أن أجرى عليها بعض التغييرات ، وهو يعيش حالة من التفريق بين الشكل الجديد ، والشكل المتوارث .

رأى الدكتور محمد يوسف نجم أنّ المقالة في الأدب العربي ظهرت على أحسن صورها في الرسائل الإخوانيّة ، والعلميّة التي تعكس خصائص المقالة عند رائديها في فرنسا وانكلترا[٤٦] ، ورأى الدكتور محمد عوض محمد(١٩٧٢م) أنّ الرسائل التي يتألف منها متن التراث العربي الآن هي أقرب شيء إلى المقالة الأدبيّة كما نعرفها اليوم[٤٧] ، ورأى أنّ رسالة الجاحظ التي نسبها إلى سهل بن هارون((لو أنها ... كتبت في زماننا هذا لكانت لها مكانة أدبيّة ممتازة ، ويتجلى فيها بوضوح فن المقالة الأدبيّة))[٤٨].

---

[٤٥] جذور نظرية الأجناس الأدبية في النقد العربي القديم : ١٩.

[٤٦] ينظر : فن المقالة : ١٧.

[٤٧] ينظر : محاضرات عن فن المقالة الأدبية : الدكتورمحمد عوض محمد : معهد الدراسات العربيّة العالية : القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والنشر : ١٩٥٩ : ٣٨ .

[٤٨] نفسه : ٤٨ : ٧٩.

ويقول الدكتور عزالدين إسماعيل : ((ولكن كلمة (مقال) كانت في الحقيقة أقرب إلى ما عرفه الأدب العربي القديم في(الرسالة) ، لا الرسالة الشخصية أو الديوانية ، ولكن الرسالة التي تتناول موضوعا بالبحث ، كرسائل إخوان الصفا مثلا ، وهي بذلك كانت تطول حتى تملأ عشرات من الصفحات))[٤٩].

ويرى الدكتور علي جواد الطاهر أنّ ((رسائل الجاحظ خير ما يمثل القرابة من المقالة إذا أردنا الإجتزاء بالأهم ، على أنّ ابن المقفع أسبق منه وأقدم محاولة ، ومناسب أن ننظر إلى فقره ، وفصوله في كتابي (الأدب) على أنها من أوليات المقالة))[٥٠] ، وهذا ما يؤكده الدكتور فائق مصطفى في قوله : ((إنّ بين المقالة العلميّة العربيّة والرسائل العلميّة ... شبها واضحا))[٥١].

ممّا سلف يتبيّن للبحث أنّ النواة النصيّة للمقالة العربيّة الحديثة تستند إلى أصول فنّ الرسائل في شكلها التراثي المعروف ، والرسائل النوع الثالث من (أجناس الأدب) عند أبي هلال العسكري(٣٩٥هـ) :((وهي جمع رسالة والمراد فيها أمور يرتبها الكاتب ... وسميت رسائل من حيث إنّ الأديب المنشئ لها ربّما كتب بها إلى غيره مخبرا فيها بصورة الحال مفتتحة بما تفتتح المكاتبات))[٥٢] ، لها أهميّتها الأدبيّة والثقافيّة في تاريخ

---

(٤٩) الأدب وفنونه ... : ١٦٢ .

(٥٠) مقدمة في النقد الأدبي : ٢٩٨ .

(٥١) دفاع عن المقالة الأدبية : ٢٤ .

(٥٢) صبح الأعشى ... : القلقشندي : دار الكتب المصرية القاهرة د.ت : ١٢٨ : ١٤.

الأدب العربي قديمه وحديثه ، وكان أبو هلال العسكري قد لاحظ التداخل النصيّ بين الرسائل ، والخطب فجعل حديثه فيهما مشتركا ، فهما عنده متشاكلتان : أي متوافقتان في كونهما كلاما لا يلحقه وزن ، ولا تقفية لكنّ الفرق بينهما أنّ الخطبة يشافه بها ، والرسالة يكتب بها ، وهي عنده تصير خطبة ، والعكس صحيح لكنّهما لا يجعلان شعرا إلا بمشقّة(٥٣).

فالرسالة عند العسكري لا يلحقها وزن ، وقافية ، وهذا يعني أنّه أخرجها من طريقة بناء الشعر ، وأنها تكتب لتقرأ ويمكن أن يحوّل جنسها إلى خطبة بلا إشكال واضح ؛ لأنها في الحالتين تحافظ على جنسها النثري المعهود ، لكنّ الرسالة لا يمكن أن تكون شعرا إلا بمشقّة بمعنى أنه رأى أنّ تحولّها إلى جنس الشعر أمر عصيّ (٥٤).

لقد اعتمد العسكري في ملاحظته الأخيرة مبدأ الموازنة من خلال الاشتغال على تحديد مظاهر المشاكلة ، ومظاهر المباينة بين جنسين من أجناس المنثور هما : الخطبة ، والرسائل كما أن تدرجه في الحديث عن هذه المظاهر أفضى إلى تحويل وجهة الموازنة لتصير قائمة بين هذين الجنسين والشعر(٥٥).

---

(٥٣) ينظر: كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر : أبو هلال العسكري(٣٩٥هـ) : تحقيق علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر العربي ط ٢ : ١٩٧١ :١٤٢.

(٥٤) ينظر : جذور نظرية الأجناس الأدبية .. : ٩٧.

(٥٥) ينظر : التفاعل في الأجناس الأدبيّة : بسمة عروس : الانتشار العربي : لبنان ط١:٢٠١٠م : ١٧٢ .

ولعلّ العسكري أراد التدقيق في شكلهما فلاحظ أنهما تشتركان في كونهما نثرا لا يلحقه وزن ، ولا تتبعه قافية ، ولا يمكن أن يتحولا إلى شعر إلا بمشقّة ،ويفترقان في المشافهة والتقييد ، ولكنهما قد يتحولان من جنس إلى آخر ضمن حدودهما المشتركة ، فالرسالة يمكن أن تصير خطبة ، والخطبة تصير رسالة ، فكأنه أراد أن يتحدّث عن المتغيرات النوعيّة التي تلحق الجنس الأدبي الواحد في ظل التعدديّة الجنسيّة التي يعيشها الأدب[٥٦].

وفي العصر الحديث رأى الناقد عباس محمود العقاد أن أدب المقالة في العربيّة نشأ مع أدب الفصول ، ثم امتزج بالقصة ، واقترن بالمقامة ، فالفصل أقدم رائد للمقالة في الآداب العالمية ظهر قبل مقالات مونتاني[٥٧].

وعند الدكتور زكي نجيب محمود(١٩٩٣م) : ((أن المقالة الأدبية قريبة جدا من القصيدة الغنائيّة ؛ لأن كلتيهما تغوص بالقارئ إلى عمق أعماق نفس الكاتب ، أو الشاعر وتتغلغل في ثنايا روحه))[٥٨] ، والحق أنّ قرابة المقالة الأدبية من القصيدة لا تعني أنّها خرجت من جلباب القصيدة ، أو أنّهما نتاج حاضنة أجناسيّة واحدة ، إنّما تعني أنهما يشتركان في خصائص وظيفية واحدة ، أي أن التشابه بينهما يوحي أنّ مكان المقالة الأدبيّة من

---

[٥٦] ينظر : جذور نظرية الأجناس الأدبية .. : ٩٨.

[٥٧] يسألونك : عباس محمود العقاد – ط٢– دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان– ١٩٦٦م : ٥.

[٥٨] جنّة العبيط : دار الشرق : ط٢ : ١٩٨٢ : ١٠.

النثر كمكان القصيد الغنائي من التأليف الشعري[٥٩] ، وهذا ما أكّده الناقد علي جواد الطاهر في قوله : ((وأقرب أنواع الشعر إليها – المقالة – الشعر الوجداني ، والمقالة في حقيقتها شعر وجداني يزجيه صاحبه إلى القراء نثرا كما يقدّم زميله وجدانه قصيدة))[٦٠].

ويرى الدكتور شكري بركات إبراهيم أن تنوّع النثر أدى إلى ظهور(الخطابة)التي بدورها تطوّرت لتكون المقالة ، والمسرحية ، والرواية ، والقصة[٦١] ، من دون أن يقدّم تفسيرا تحليليّا يقارب بين الخطابة ، والأنواع الأدبيّة الأخرى .

وأيّا كان أصل المقالة فإن وجودها الحاضر يذكّر بتفسير(تودوروف) الخاص بولادة الأجناس الأدبيّة الجديدة ، الذي يقول فيها متسائلا : ((من أين تأتي الأجناس ؟ بكل بساطة ، تأتي من أجناس أدبيّة أخرى ، والجنس الجديد هو دائما تحويل لجنس ، أو لعدّة أجناس أدبيّة قديمة))[٦٢].

والبحث إذ يستبعد أن تكون كلّ من الخطبة ، والمقامة من بدايات المقالة ، لأنّ الخطبة أساسها الإثارة ، وإيقاظ الحماسة في نفوس المتلقين ، فضلا عن أنّها شفاهيّة كانت أم مكتوبة تختلف عن المقالة في

---

[٥٩] ينظر : محاضرات عن فن المقالة : ٥.

[٦٠] مقدمة في النقد الأدبي : ٢٦٣.

[٦١] ينظر : تداخل الأنواع الأدبية في المقال النقدي : الاستاذ الدكتور شكري بركات إبراهيم : ضمن تداخل الأنواع الأدبية : مؤتمر النقد ١٢ جامعة اليرموك : م ١:٢٠٠٩ : ٥٣٥.

[٦٢] أصل الأجناس الأدبيّة : تودوروف : ترجمة محمّد برّادة : مجلة الثقافة الأجنبية : ع١ : ١٩٨٢ : بغداد : ٤٦ .

البنية ، والرؤية ، والتشكيل ، والمقامة تختلف عن الخطبة من حيث البنية والمحتوى والهدف ، فإنه يرى بالإحالة على آراء: الدكتور محمد يوسف نجم ، والدكتور محمد عوض محمد ، والدكتور عزالدين إسماعيل ، والدكتور علي جواد الطاهر الرابطة بين الرسالة ، والمقالة أنّ الرسائل قد تكون أقرب الأنواع الأدبيّة التي يمكن أن تكون أصلا للمقالة ، ولعلّه يجد فيما كان يكتبه العرب القدماء ما يتقاطع في بعض سماته ،وخصائصه مع المقالة ، لكنّه يقترب من شكلها ، ومسوّغات وجودها فكتابات عبد الحميد الكاتب(١٣٢هـ) ، وابن المقفع (١٤٣هـ) ، التي تدخل في باب الرسائل تقترب من المقالة الأدبيّة أو السياسية ، وما أورده الجاحظ في بخلائه ، ورسائله ينتمي إلى المقالة التصويرية فنا ، والاجتماعيّة من جهة الموضوع ، بينما تنتمي كتابات التوحيدي(٤١٤هـ) إلى المقالة التأملية ، أو الفلسفية ، وهذا ما يثبت معرفة العرب بهذا الأدب ، وإن لم يجعلوه قائما بذاته ، فهي في بداياتها والكلام للدكتور الطاهر : ((لم تكن أكثر من بدايات ، ولم ينبثق عنها ما هو أقرب إلى النوع الأدبي ، وكان الزمن في غير صالحها ... فكانت جنينا لم يتهيأ له النمو))[٦٣] ، إلا بعد قرون من تاريخ العرب الحديث ، لتقريب الصورة في أفقها الإتصالي الواضح .

وكان كتّاب المقالات الروّاد على ما رأى الدكتور محمد عوض محمد يشيرون إلى كتاباتهم ويصفونها بأنها رسائل ، ويذكر أنّ المنفلوطي(١٩٢٤م) مقالة شهيرة عنوانها(كيف أكتب رسائلي)[٦٤] ، وذكر

---

[٦٣] مقدمة في النقد الأدبي : ٢٩٠ .

[٦٤] ينظر : محاضرات عن فن المقالة : ٣٤ .

الدكتور علي جواد الطاهر أنّ المنفلوطي كان يسمي مقالاته رسائل ، كما في مقدمة كتابه(النظرات) التي ترد فيها عبارة : (رسائلي) ويريد بها مقالاته ، وكأن النظرة لديه تساوي : (مقالة)[٦٥] ، والقرابة النصيّة : الشكليّة والمضمونيّة بين الرسالة ، والمقالة تتيح للباحث أن يعتقد أنّ أصل المقالة الرسالة في شكلها المعروف ، فكلتاهما تكتبان بلغة بعيدة عن التعقيد لتُقرءا ، وهما لا تتحولان إلى شعر إلا بمشقّة ، لكن الرسالة يمكن أن تتحول إلى مقالة ، والعكس صحيح جدّا ، فكلتاهما تقتربان في الغاية ، وتشتركان في الهدف .

وبالإحالة على رأي (برونيتيير) صاحب نظرية(تطور الأنواع الأدبية) ، فإن من نصّ المقالة نتج شكل جديد من الأدب هو(المقاصّة) التي هي بحسب تطور الأنواع الأدبيّة الحديثة نوع أدبي جديد في أدقّ توصيفاته((يجمع بين صفات المقالة من ناحية ، وصفات القصّة من ناحية أخرى ، وهو حلقة وصل بين النوعين))[٦٦] ، والمقاصة ، لا تبتعد كثيرا عن المقالة القصصيّة التي رأى الدكتور محمد يوسف نجم أنها نصّ مقالي ينفتح على القصص ، والحكايات الحقيقية ، أو الخياليّة لغرض تصوير بعض العادات ، أو لرسم صورة المجتمع[٦٧].

---

[٦٥] ينظر: النظرات : المقدمة : دار الجيل بيروت : ومقدمة في النقد الأدبي : الهامش(٦٤) : ٣٠٥.

[٦٦] رواد المقالة .. : ٣٣.

[٦٧] ينظر : فن المقالة : ٥٥ .

والحق أنّ الأجناس الأدبيّة غير ثابتة الشكل ؛ لأنها في حركة دائبة تتغيّر لاعتبارات فنيّة من عصر إلى آخر ، وقد تفقد شيئا جوهريًا من خصائصها الأجناسيّة [٦٨] ، فهي لا تبقى ثابتة إنّما تتغيّر تبعا لظرف كثيرة ، والكشف النقدي عنها ، وتصنيفها يعدّ عملاً مميّزا في تاريخ بنيتها[٦٩] ، فالتغيّر الذي يصيب الأنواع الأدبيّة جزء من سنن الحياة وتأثيرها في الفن والأدب .

إنّ من يتقصّى تاريخ نشوء القصّة والرواية العربيّة سيلاحظ عن قرب تداخل السرد بالمقالة ، ففي الشام كان مؤلف كتاب (الساق على الساق فيما هو الفارياق) أحمد فارس الشدياق(١٨٨٧م) قد جعل مؤلّفه السابق((يجمع في جزئياته بين المقامة ، والمقالة وبخاصّة المقالة القصصيّة))[٧٠] ، وفي مصر كان الشاعر حافظ إبراهيم(١٩٣٢م) في كتابه النثري الرائد(ليالي سطيح) لاسيّما في الليلة الرابعة يتحدث عن الامتيازات الأجنبيّة ، ليقحم في ليلته مقالة بعنوان(السياسة الضعيفة العنيفة) ناقلا إيّاها عن مقالات الشيخ علي يوسف صاحب جريدة (المؤيد)المصريّة[٧١] ، أمّا في العراق فإنّ

---

[٦٨] ينظر : الأدب المقارن : الدكتور محمد غنيمي هلال : دار الثقافة للطباعة والنشر: ط٥ : ١٣٨.

[٦٩] ينظر : نظرية الأدب : أوستن وارين ورينيه ولك : ترجمة محيي الدين صبح مراجعة الدكتورحسام الخطيب : ٢٩٦ -٢٩٧.

[٧٠] تطور الرواية العربيّة الحديثة في بلاد الشام ١٨٧٠- ١٩٦٧: الدكتور إبراهيم السعافين : وزارة الثقافة والإعلام- العراق : ١٩٨٠: ٣٦ .

[٧١] ينظر : تطور الرواية العربيّة الحديثة ١٨٧٠-١٩٣٨ : الدكتور عبد المحسن طه بدر : دار المعارف بمصر ط ٣ : ١٩٧٧ : ٨٧.

على حق – أنّ المبدع لا يستقصي الطبيعة الأجناسية لما يكتب عادّين تلك المهمّة موكلة بيد النقد الذي ما كان معنيّا بهذه المسألة أيضا .

في كتابات بعض المقاليين الرواد ، وعدد من النقاد يجد الباحث مصطلح (الفن) حاضرا لتوصيف الشكل الأدبي للمقالة ، وهذا ما ظهر عند الدكاترة محمد مندور[(٧٤)] ، ومحمد يوسف نجم[(٧٥)] ، وزكي نجيب محمود[(٧٦)] ، وأحمد حسن الزيات (١٩٦٨م)[(٧٧)] ، ومحمد عوض محمد[(٧٨)] ، الذين نعتوا المقالة بأنّها (فن) ، والحق أنّ مصطلح (الفن) هنا عام لا يمكن أن يكون أجناسيّا فارقا بين الأنواع الأدبيّة المعروفة ، فهو إطلاق عام يُخص به النتاج الشعري ، والنثري معا ، ولا يمكن أن يكون مختصّا بنقد المقالة .

لكنّ البحث وجد أنّ عددا من الأدباء ينعتون المقالة بـ(النوع) ، وهم يريدون نوعا من التأليف كما أكّد الدكتور علي جواد الطاهر في قوله : ((ومن المناسب أن نذكر أنّ من الناس من فهم مبكّرا من مصطلح (مقالات) مصطلحا لنوع من تأليف الكتب ، وليس لنوع أدبي ، فسمى (مقالات) ذلك الكتاب الذي يجمع عدة مقالات تعليمية))[(٧٩)] ، وهو يريد كتب العقاد ، والمازني(١٩٤٩م) ، وسلامة موسى(١٩٥٨) ، ومحمد

[(٧٤)] ينظر: الادب وفنونه : ١٨٧ .

[(٧٥)] ينظر: فن المقالة : ٩٣و١٣٤.

[(٧٦)] ينظر: جنة العبيط : ١٤ ، ١٥.

[(٧٧)] ينظر: وحي الرسالة : أحمد حسن الزيات : مطبعة الرسالة : ج٣- :٢٦٢.

[(٧٨)] ينظر : محاضرات عن فن المقالة الأدبيّة : العنوان و : ٤٨ .

[(٧٩)] مقدمة في النقد الأدبي :٢٦٤ .

مندور ، وغيرهم التي هي في تشكيلها الأولى مقالات سبق نشرها في الصحف ، وهذا ما بدا واضحا في قول العقاد : ((إنّ المقالة أنواع وليست بنوع واحد ..))[٨٠] ، وهو يريد بالنوع الشكل المختلف للمقالة لا نوعها الجنسي ، وهذا ما كرّره أحمد أمين أيضا[٨١].

ممّا سبق يتبيّن للبحث : ((أن مفهوم المقالة الأدبية لم يتضح على نحو يجعل من يزاولها يرى أنها نوع أدبي كالقصيدة ، والخطبة ، والرسالة ، وظل من يكتبها يعنى بالفكرة قبل عنايته بشكلها الأدبي))[٨٢].

وهناك من عدّ المقالة(جنسا) ، وهو ما ظهر في كتابات بعض النقاد لعلّ من أهمهم : الدكتور فائق مصطفى الذي رأى أنّ المقالة جنس أدبيّ قائم بذاته[٨٣] ، ولعلّه في رأيه هذا كان منحازا إلى المقالة ((وهو الأستاذ الذي عني بها تدريسا ، وتوجيها على مدى السنوات التي قضاها أستاذا لمادة الأدب ، والنقد الحديث في جامعات : الموصل ، والسليمانية ، وكوية

---

(٨٠) أدب المقالة – مجلة الرسالة – ع٧٨٧– ١٩٤٨م .

(٨١) ينظر : فيض الخاطر : مكتبة النهضة المصرية : ط٣– ج١– مقالة (كتابة المقالات) : ١٧٨.

(٨٢) علي جواد الطاهر الناقد المقالي : الاستاذ الدكتورسعيد عدنان : بغداد –الطيف للطباعة : ٢٠٠٦ : ٥٧.

(٨٣) ينظر : الأدب العربي الحديث دراسة في شعره ونثره: الدكتور سالم احمد الحمداني والدكتورفائق مصطفى أحمد : وزارة التعليم العالي والبحث العلمي : جامعة الموصل : العراق١٩٨٧ : ٣٠٩ ، والرأي للدكتور فائق بحسب المقدمة : ٩ ، وينظر : دفاع عن المقالة الأدبية : ٦ ، والمقالة جنس كتابي مهمّش : جريدة الصباح العراقيّة : ٢٠١٢/٣/١٨..

ولمّــا يزل حامل لواء التذكير بها ، فكأنه في عمله هذا وارث خطى أستاذه الطاهر الذي عني بها إبداعا ، ودرسا))[٨٤] ، والحق أنّ المقالة لا يمكن أن تكون جنسا أدبيّا قائما بذاته ؛ لأن((نظرية الأجناس الأدبيّة تحيل الأدب بعامّة على جنسين مهمين: الشعر ، ثمّ النثر ، والنثر بوصفه جنسا يحال على أنواع منها : المقالة ، فالمقالة نوع وليس جنسا))[٨٥].

والمقالة في جهد عدد من النقاد(نوع) أدبي ، وهذا ما ظهر واضحا عند النقاد : الدكتور عزالدين إسماعيل [٨٦] . والدكتور علي جواد الطاهر الذي أشار بدقة إلى توصيف شكل المقالة بقوله : ((لقد تأصّلت المقالة نوعا أدبيّا ، وتأنّقت إذ تولاها الإنكليز عموما ، والصحافة الأدبيّة لديهم خصوصا ، حتّى إن المعجمات الفرنسيّة تستهل كلامها على المقالة بقولها إنها (نوع أدبي نثري خاص))[٨٧] ، وعبد الجبار داود البصري[٨٨] ، وفاضل ثامر[٨٩].

إنّ(النوع) درجة تنظيم لتفرعات(الجنس)الذي هو أعلى درجة من النوع ، أي أنّ النوع نمط تابع للجنس ، وهذا ما يُستقرئ من واجهة الحياة

---

[٨٤]قراءة في كتاب دفاع عن المقالة : الدكتورفاضل عبود التميمي : جريدة الاتحاد العراقية في ٢٠٠٨/٦/٢.

[٨٥]المقالة النقدية في رسالة جامعيّة : فاضل عبود التميمي : جريدة الزمان الدولية : ع : ٤٢١٤ في٢٠١٢/٥/٣١.

[٨٦]ينظر : الأدب وفنونه دراسة ونقد : ٦٩.

[٨٧]مقدمة في النقد الأدبي : ٢٨٠.

[٨٨]ينظر : رواد المقالة الادبية في الأدب العراقي : ٩.

[٨٩]ينظر : مدارات نقدية : دار الشؤون الثقافيّة العامة – بغداد ١٩٨٧ : ٩٠.

أيضا ، فالمرأة تنتمي إلى الجنس الإنساني ، وكذلك الرجل ، لكن المرأة القصيرة نوع من النساء ، وكذلك الرجل القصير ، فهو بالقياس نوع أيضا [٩٠].

ويبدو أنّ أبا العلاء المعري(٤٤٩هـ) كان موفّقا حين فرّق بدقّة متناهية بين الجنس الذي هو أصل في الأدب ، والنوع الذي هو فرع في لمحة إجرائيّة تحيل على فهم معاصر يفتقده بعض الباحثين اليوم حين قال على لسان(الشاحج) في محاورة منطقيّة : ((إنّ الشعر جنس ، والرجز نوع تحته))[٩١] ، في خطوة نقديّة فرّق فيها بين ما هو نمط أعلى (الجنس) ، الذي يشير إلى فكرة محوريّة هي فكرة التشابه ، أو التماثل أي مبدأ الثبات الذي يفرضه الإطلاق والتعميم[٩٢] ، وفرع أدنى هو(النوع) الذي يدور حول فكرة الإنحراف ، أو الإختلاف ، أو التنوّع ، وهي فكرة توحي بمبدأ التحوّل ، والتغيّر المرتبط بمبدأ التعيين ، والتخصيص[٩٣] ، وتأسيسا على ذلك فإنّ من البداهة أن يكون النثر جنسا ، والمقالة نوعا .

إنّ عدّ المقالة نوعا نثريّا يعني امتلاكها مزايا نصيّة لا يمكن أن تتواجد في أنواع أدبيّة أخرى ، وهي بالضرورة تتبع جنسا أعلى ، وتتقسم على أشكال واضحة ، ويبدو للبحث أنّ خير من تمثّل نظريّة الأجناس

---

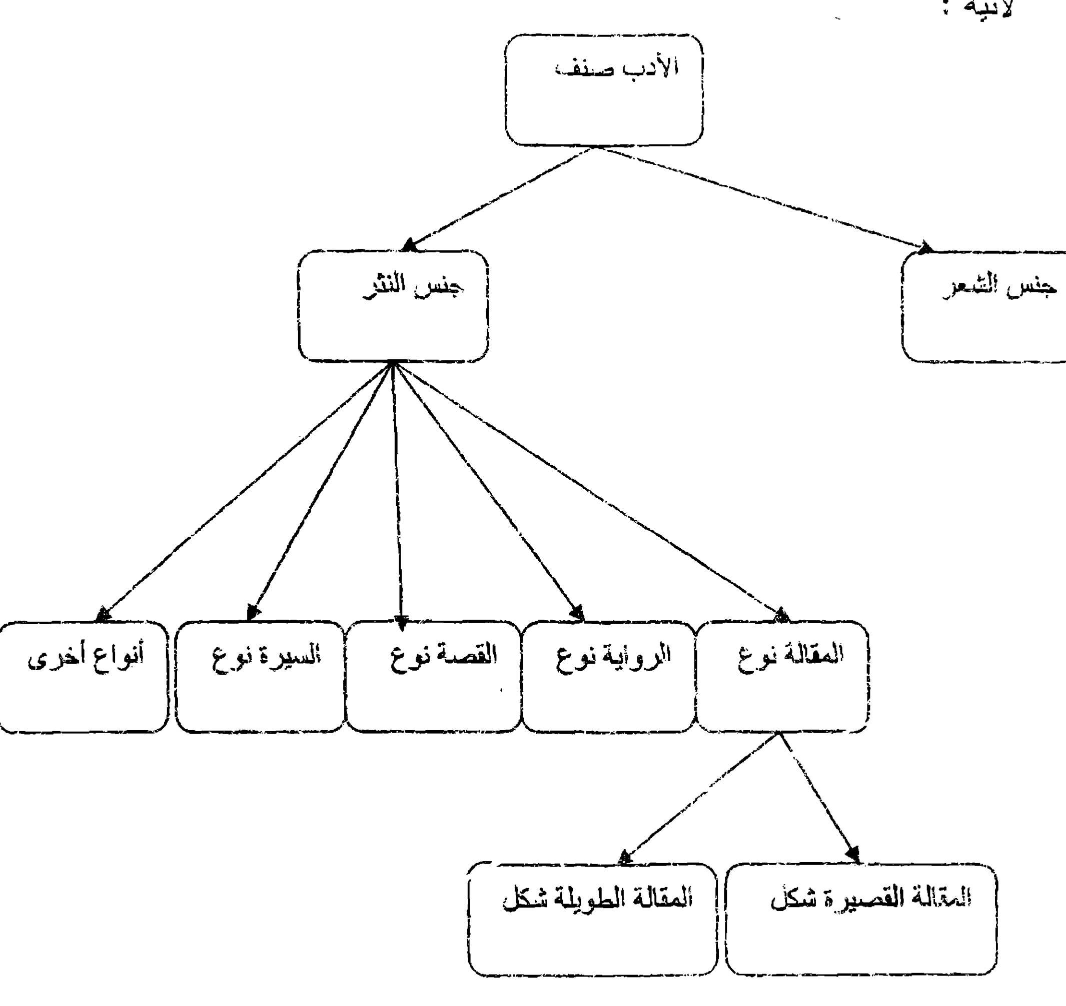
[٩٠] ينظر : جذور نظرية الأجناس الأدبية في النقد العربي القديم : ٤١ .

[٩١] رسالة الصاهل والشاحج : تحقيق عائشة عبد الرحمن دار المعارف بمصر : ١٩٧٥ : ١٨١.

[٩٢] ينظر : نظرية الأجناس الأدبية .. : الدكتورعبد العزيز شبيل : ١٤٥ .

[٩٣] ينظر : نظرية الأجناس الأدبية .. : الدكتور عبد العزيز شبيل : ١٤٥ .

الأدبيّة(الدكتورروجرز ألن) الذي رأى أنّ الأدب : صنف ينقسم على جنسين رئيسين : الشعر ، والنثر ، وكل منهما- الأجناس - ينقسم على أنواع ، والأنواع بدورها تنقسم على أشكال[٩٤] ، وهو ما توضحه الترسيمة لآتية :



---

(٩٤) أخذت الفكرة عن الدكتور عبد الله إبراهيم : ينظر : الرواية العربية (ممكنات السرد) أعمال الندوة الرئيسة لمهرجان القرين الثقافي ١١ : ج٢ -٢٠٠٩ : ١٢٢.

التي يمكن تطبيق ولادة (المقالة) على وفق مقاسات دلالتها ، بدءا من الصنف الذي هو(الأدب) الذي بدوره ينقسم على جنسي : الشعر ، والنثر اللذين ينقسمان على أنواع يهمّ البحث هنا الإشارة إلى أن الأنواع النثريّة التي من ضمنها (المقالة) التي تنقسم على أشكال كما في الترسيمة .

٧- انحسار المقالة :

بلغت المقالة العربيّة ذروة تألقها في الأربعينيّات ، والخمسينيّات من القرن العشرين إبداعا ، وتلقّيا ، ويبدو أن ذلك كان بسبب بروز عدد من الكتّاب الذين اتخذوا من المقالة وجها من وجوه الإتصال الجمالي ، والفني الذي لاقى إقبالا واسعا من القرّاء الذين كانوا ينظرون إلى المقالة بوصفها إبداعا معاصرا له ما يسوّغ وجوده ، فهي على حدّ تعبير الدكتور زكي نجيب محمود : ((القالب الأوحد الذي يصب فيه الأديب خواطره ، ومشاعره))[٩٥] ، وهذا يعني أنها بلغت الذروة في السعة ، والإنتشار .

غير أن الحال لم تبق على ما بيّنا في السطور السابقة ، ففي النصف الثاني من القرن العشرين والسنوات اللاحقة انحسر مدّ المقالة مقترنا بغياب الوجوه المبدعة لها ، لتغيب إلى الأبد المجلة الراعية للمقالة أعني مجلة الرسالة التي أصدرها أحمد حسن الزيّات .

يرى الدكتور محمد مندور أنّ فن المقالة قد فقد موضعه بوصفه شكلا أدبيّا مستقلّا حين عزف أتباعه عن نشر كتب مقاليّة بعينها ، وعنده أن اعادة نشر مقالات الصحف في كتاب لا يعني الإحتفاء بالمقالة[٩٦] ، ويرى

---

[٩٥] جنة العبيط : ط٢:١٩٨٢: دار الشروق : بيروت : ٧.

[٩٦] ينظر : الأدب وفنونه : ١٩٩.

الدكتور محمد يوسف نجم أنّ فنّاً أدبيّا جديدا قديما أخذ يزاحم المقالة ، ويحاول أن يجليها عن مكانتها المرموقة في الصحف ، والمجلات هو الأقصوصة[٩٧].

إنّ ما قاله الدكتور محمد مندور لا يرقى إلى مصاف الرأي المعلّل الدقيق ؛ لأن جمع المقالات ونشرها في كتاب مستقل تعزيز لوجود المقالة ، واعتراف ضمني بوجودها الأدبي ، والإحتفاء بها ، أمّا رأي الدكتور نجم فهو قريب من الواقع يعضده التحول البنيوي ، والفكري لمجلة الرسالة المختصّة بالمقالة التي صدر العدد الأول منها في ١٥ يناير ١٩٣٣م ، لتتحول في أول يناير سنة ١٩٤٠م إلى مجلة (الرسالة والرواية) ، التي ظلت تصدر أسبوعيّة حتى آخر عدد ظهر منها بالرقم (١٠٢٥) في ٢٣ فبراير ١٩٥٣م[٩٨].

إنّ انفتاح مجلة(الرسالة)على الفضاء الروائي الذي يعني يومها فضاء القصّة قصيرة كانت ، أم طويلة يعني تخلي المجلّة عن نصف رسالتها للقصة التي بدأت تشارك المقالة وجودها ، لتسهم في انحسار مدّها الأدبي تصديقا لمقولة أنّ الجنس ، أو النوع الأدبي كائن غير مستقر .

ويبدو للبحث أنّ ظاهرة انحسار المقالة أمام القصّة كانت قد حدثت في انكلترا أيضا بين الأعوام ١٩١٢– ١٩٣٦ ليكون ذلك اول تاريخ للقصّة

---

[٩٧] ينظر : فن المقالة : ٦٣ .

[٩٨] ينظر : أحمد حسن الزيات ومجلة الرسالة : الدكتور علي محمد الفقي – سلسلة اقرأ – دار المعارف ، القاهرة – ١٩٨١م : ٨٠ ، ٨١.

أهلها لأن تكون أداة الجميع في الفكر ، مبعدة المسرحيّة ، والمقالة ، والقصيدة[٩٩].

أمّا في مصر فقد رأى الدكتور محمد عوض محمد أن شأن المقالة قد تضاءل في جيله بسبب طغيان عنصر السرعة على كل شيء حتى في الأدب ، ونمو روح الملل عند القارئ الحديث ممّا نجم عنه طغيان القصة ، فضلا عن ابتذال أدب المقالة عند عدد من الكتاب[١٠٠].

وللدكتور (الطاهر) سؤالات تفضي إلى تحديد أهمّ مشكلات المقالة المعاصرة : لماذا قصّر البارعون الذين حققوا المقالة الفنيّة عن أن يبلغوا مداهم الذي بلغوه ؟ ، ولماذا نكص الجيل الذي جاء بعدهم ، واقتدى بهم ؟ ، ولماذا لم يتقدم جيل جديد فيسجل للمقالة وجودا معترفا به ؟ ... يجيب الطاهر : إنّ المقاليّ لم يعد يطرق الموضوعات التي تكتنز الطراوة ، أو يجد الوقت ليمدّ نفسه مع الشكل مقاوما قوة المضمون ، والقارئ كذلك يبتغي مادة علميّة فكريّة من أقصر الطرق ، وأوضحها ، وطلبه هذا ينفي عنصر التفنّن ، ويضيف الطاهر: المقالة العربيّة من حيث هي مقالة بخير ، والمجلات ثريّة بها , وللطاهر أن يطمئن الحال بقوله : لا بد أن نتحسّس الجمال ، ونبحث عن التفنّن ، وللطاهر في إقبال القرّاء على المقالة الشعريّة تلك التي كتبها : نزار قباني ، وغادة السمان ، وأحيانا يوسف الصائغ دليل على حضور المقالة[١٠١].

---

[٩٩] ينظر : الأدب وفنونه دراسة ونقد : الدكتور عز الدين إسماعيل : ٣٤ .

[١٠٠] ينظر : محاضرات عن فن المقالة ... : ٧٤ .

[١٠١] ينظر : مقدمة في النقد الأدبي : ٣٠٠ .

لعلّ سؤالات الطاهر أفضت إلى تحديد سبب انحسار المقالة ، فقد رأى- وهو المعني بالمقالة إبداعا ، ونقدا[١٠٢] - أنّ سبب الانحسار يرتبط بتقصير الروّاد عن أن يبلغوا مداهم ، ونكوص الجيل الأدبي اللاحق لهم ، فضلا عن غياب العناية بالمقالة من الأجيال المعاصرة ، لكنّ الطاهر رأى أنّ المقالة لمّا تزل موجودة غير أن وجودها لم يكن بمستوى حضورها الأوّل .

ويرى الناقد صادق الطريحي أن أسبابا تقف وراء انحسار المقالة الأدبيّة ، السبب الأول يكمن في ضعف الثقافة المقاليّة ! ، فنحن لا نكاد نعرف خصائص المقالة الأدبيّة ، ولا نحفظ منها شيئا ، ولا نكاد ندرسها في الجامعة ، فنحن ندرس الشعر في السنوات الأربع من الكليّة ، لكننا لا ندرس المقالة إلا في الصف الرابع ، إن وصلنا إليها بسبب العطل التي تحفل بها الجامعات العراقيّة ، وقد وضعت المقالة في درس الأدب الحديث في آخر الأنواع الأدبيّة ، أما السبب الآخر فيكمن في أننا لا نريد أن نعترف بشعرية المقالة ، ولا نريد أن نعبّر بوساطتها عن هواجسنا الشعريّة ، ورؤيتنا للحب ، والموت ، والحرية ، نستطيع أن نعترف أن المقالة يمكن أن تصير قصيدة نثريّة ، ولا يريد أحدنا أن يعترف أن قصيدة النثر يمكن أن تكون مقالة ممتازة [١٠٣].

---

[١٠٢] للمزيد عن علي جواد الطاهر مقاليّا ينظر : علي جواد الطاهر الناقد المقاليّ : الأستاذ الدكتورسعيد عدنان : الطيف للطباعة بغداد : ٢٠٠٦ ، وجماليات المقالة عند الدكتورعلي جواد الطاهر : الدكتورفاضل عبود التميمي : دار الشؤون الثقافية العامة : بغداد : ٢٠٠٧.

[١٠٣] ينظر : انحسار المقالة الأدبية : جريدة الصباح : العراقيّة ٢١ /٢٠١٢/١٢.

ويرى الدكتور فائق مصطفى أن انحسار المقالة راجع إلى إهمال النقد الأدبي العربي الحديث لها ، وغياب العناية بها جنسا أدبيّا له قوانينه ، ومحدّداته الخاصّة ، فكم من كتاب نقديّ في الأجناس الأدبيّة ، نتصفحه فإذا به يخلو من ذكر المقالة ، وهذا الإهمال انتقل إلى مصطلحها الذي نراه يتعدد عند نقادنا ، وباحثينا مثل المقالة الأدبيّة ، والمقالة الذاتيّة ، والمقالة الوجدانيّة ، والمقالة الشخصيّة ، والمقالة الإنشائيَة ، والمقالة التعبيريّة ، والمقالة اللامنهجيّة ، والمقالة الشعريّة ، والمقالة غير الرسميّة ، والمقال الأدبي الإنشائي ، والمقال الحر[١٠٤].

وللدكتور شجاع العاني رأي آخر يؤكد فيه موت المقالة منذ الخمسينيات ، وتميّز القصّة والرواية ، وعنده أن كلمة (روائي) أكثر رفعة من كلمة مقالي[١٠٥] ، وهو في رأيه هذا يستحضر جوهر الخطاب السردي ، الذي يعرف عن قرب درجة تأثيره في المتلقين المعاصرين بعد أن صار للقصّة ، والرواية أثر واضح في الثقافة المعاصرة لا تكاد تقترب منه المقالة بأشكالها المختلفة .

الآراء السابقة على اختلاف درجة اقترابها من جوهر المشكلة فيها شيء من الإجحاف الذي يلحق بالمقالة ، فالأنواع الأدبية النثريّة : (المسرحية ، والقصّة ، والرواية ، والمقالة ...) تُعنى بالأفكار إذ تأخذ الفكرة في هذه الأنواع من الأدب شكل القضيّة ، أو الموقف ، فيكون الفكر

---

(١٠٤) ينظر : المقالة جنس كتابي مهمّش : جريدة الصباح العراقيّة : ٢٠١٢/٣/١٨.

(١٠٥) ينظر : ماتت المقالة منذ الخمسينيات وبرزت القصة والرواية : مجلة إمضاء : العدد الثاني– بغداد : ٢٠١٢ : ١٠٦.

مرتكزا أساسيًا مهمًا ، على عكس الشعر الذي يعنى بالتجربة الشعوريّة ، والعنصر العاطفي ، لكنّ عناية المقالة بالأفكار ، والمعاني أكبر من عناية الأنواع الأدبيّة كلّها التي تدعو في الأساس إلى التخييل ، والعاطفة ، والمتعة .. فالطبيعة الفكريّة في المقالة تطغى على الجانب الجمالي ، ولعلّ ذلك سبب التراجع في رصيد المقالة ، فالمتلقي يميل في الغالب إلى قراءة ما هو ممتع ، والمسألة في رأينا ليست مسألة سرعة العصر ، أو أن الرواية أكثر رفعة من المقالة ، والدليل أن المقالة مازالت هي أساس كلّ مجلة وصحيفة ، لكنّ الغالب فيها المقالات المنهجيّة : (التي تجمع بين الأسلوب الصحفي ، والأسلوب العلمي) ، فضلا عن أننا- وهذا شيء مهم – لم نعد نسمع ، أو نقرأ لصنّاع المقالة الذوقية أمثال : (الزيات ، والمازني ، والرافعي ، والمنفلوطي ، والطاهر) ، ولهذا نسأل عَلامَ قامت أشهر المجلات الأدبيّة مثل : الرسالة ، والثقافة؟ ، ألم تقم على المقالات التي كانت تحرك الرأي العام ، والنخبة العربيّة: أدبيًا ، وفكريًا ، وسياسيًا ، ونقديًا ، واجتماعيًا ؟ .

وممّا يؤكد صحّة رأينا السابق أنّ الوعي بالمقالة ، ونقدها أخذ ينمو باطّراد في المحافل الجامعيّة العربيّة التي انفتحت على دراسة المقالة ، وسيكتفي البحث بالإشارة السريعة إلى ما تيسر له من الجهود الجامعيّة العربيّة التي درست المقالة .

بدءا ينوه البحث بجهد الدكتور فائق مصطفى الذي أشرف على الرسائل ، والأطاريح الآتية في جامعات الموصل ، والسليمانيّة ، وكوية وهي : المقالة الأدبيّة عند أحمد أمين للباحث محمد صالح رشيد ، والمقالة

عند وليّ الدين يكن للباحث راكان أحمد خلف ، وفن المقالة والخاطرة عند عبد المجيد لطفي للباحث ستار مصطفى فقي بابان ، وفن المقالة الذاتيّة عند أمين الريحاني للباحث صباح كريم مولود ، وفن المقالة في جريدة الإتحاد العراقيّة للباحث زينو عبد الله البرزنجي .

وللبحث أن يضيف أن رسائل ، وأطاريح عن المقالة ، والمقاليين قد كُتبت بإشراف أساتذة معروفين منهم: الدكتور عناد غزوان إسماعيل (٢٠٠٤م) الذي أشرف على رسالة دبلوم عال لفؤاد جميل وهيب : (المقالة الأدبية في العراق بين الحربين١٩١٤-١٩٣٩) ، و: (المقالة في الأدب العراقي الحديث) رسالة ماجستير للباحث السابق أشرف عليها الدكتور رزوق فرج رزوق (٢٠٠٣م) ، و(فن المقالة في النثر العراقي الحديث) رسالة ماجستير للباحث مقداد الشيخلي التي أشرف عليها الدكتور سمير الخليل في جامعة البصرة ، وفن المقالة عند محمود درويش للباحث بسّام جادر التي أشرف عليها الدكتور إبراهيم جنداري في جامعة الموصل ، و(فن المقالة عند علي جواد الطاهر) للباحث نوري محمد ظاهر رسالة أشرف عليها الدكتور محمد صابر عبيد في جامعة تكريت ، و (فن المقالة الأدبية في العراق) أطروحة دكتوراه للباحثة وفاء رفعت نور الدين عبد الله وقد أشرف عليها في جامعة الموصل الدكتور إبراهيم جنداري أيضا ، وملامح فن المقالة في كتاب (ذم الهوى) لابن الجوزي : دراسة موضوعية فنية للباحثة ماجدة عجيل الجبوري في كلية التربية جامعة الموصل ، ورسالة الماجستير في جامعة ديالى التي عنوانها : (الشعريّة في

مقالات حسين مردان) للباحثة نور حسين علي التي أشرف عليها الدكتور فاضل التميمي[١٠٦].

فضلا عن رسائل ، وأطاريح أخرى أنجزت في العراق ، ومصر ، ودبي ، والرباط ، لعلّ من أهمها : التطور اللغوي في الصحافة العراقيّة في المقالة ، والأقصوصة بين ١٨٦٩-١٩٢١ للباحث حسام عبد علي التي أشرف عليها الدكتور حسام سعيد في آداب بغداد ١٩٨٠ ، وفن المقالات في الأندلس : نشأته ، وتطوره وسماته للباحث قصي عدنان الحسيني في الجامعة المستنصرية ١٩٩٥ ، والمقالة في الأدب الجزائري الحديث ١٩٣١-١٩٥٦ التي أنجزها الباحث قدّام سعيدة بإشراف الدكتور عناد غزوان -- رحمه الله- في آداب بغداد ١٩٨٥ ، ومقالات غادة السمان الأدبيّة التي أنجزتها الباحثة إشراق سامي عبد النبي في جامعة البصرة ، وأساليب المقالة وتطورها في الأدب العراقي الحديث للباحث منير بكر التكريتي أطروحة دكتوراه في آداب القاهرة ، وفن المقالة في الأدب العربي الحديث أوائل القرن العشرين للباحث محمد كامل أحمد إبراهيم التي أنجزت في آداب القاهرة ١٩٥٣ أيضا ، والمقالة الأدبيّة في مصر وموقفها من قضيّة فلسطين ١٩٤٨- ١٩٦٠ للباحث عطا احمد كفافي التي أشرف عليها الدكتور شوقي ضيف - رحمه الله - في معهد البحوث والدراسات في القاهرة ١٩٦٩.

---

[١٠٦] ينظر : هل المقالة الأدبيّة في انحسار ؟ : الدكتور فاضل عبود التميمي : جريدة الصباح العراقيّة : ٢٥ /٣/ ٢٠١٢.

وقد أنجزت الباحثة لطيفة عبد الله أحمد الحمادي رسالتها للماجستير : المقالة النقديّة الأدبيّة في مجلة الرافد الإماراتية في كليّة الدراسات الإسلاميّة والعربيّة في دبي بإشراف الدكتور محمد عيلان ، وفي الكليّة نفسها أنجزت الباحثة نفسها أطروحة الدكتوراه الموسومة بـــ ((المقالة في أدب أحمد حسن الزيات : دراسة في المقومات الفكريّة والبناء الفني) بإشراف الدكتور محمد عبد الحي ، وفي آداب الرباط : المغرب أنجزت رسالة الماجستير : المقالة الأدبيّة في المغرب ١٩٣٠-١٩٥٦ للباحث بلشهاب أحمد ، وفي آداب دمشق انجزت رسالة : المقالة في سورية ١٩٢٠- ١٩٣٧ للباحثة أمل أمين الصباغ م ١٩٨٠م ، وفي ليبيا جامعة قار يونس انجزت اطروحة دكتوراه عنوانها المقالة في ليبيا نشأتها وتطورها خلال العهد العثماني الثاني (١٨٦٦- ١٩١١) للباحث أحمد عمران بن سليم – دراسة فنية تحليليّة نقديّة [١٠٧].

وممّا هو جدير بالملاحظة أنّ الدكتور محمد عوض محمد رأى أنّ مستقبل المقالة في الشرق العربي بيد القدر ، ولا ينبغي أن نتشاءم ، وأن تطوّر الصحافة كان له أكبر الفضل في تطور المقالة الأدبيّة ، ولكنه في الوقت نفسه رأى أن جيلا جديدا من كتّاب المقالة لم يظهر بعد [١٠٨] ، وهذا يعني أنّ المقالة باقية بقاء الأدب العربي .

---

[١٠٧] ينظر : خزانة الأطاريح الجامعيّة المناقشة في المعاهد والكليات العربية : الدكتورعباس كاظم مراد : دار النوارس : بيروت : ٣٤ ، ٧٧ ، ١٧٩ ، ٢٠٠ ، ٢١٩ .

[١٠٨] ينظر : محاضرات عن فن المقالة .. : ٧٦- ٧٧.

٨- الخاتمـــة :

إنّ المقالة لا يمكن أن تكون فنّا مجرّدا من حدود التميّز ، والتشكّل الخاص ، فهي نوع أدبي تابع لجنس النثر شأنها شأن الرواية ، والسيرة ، والمسرحيّة ، والقصّة ، وغيرها ، وهي ليست جنسا أدبيّا قائما بذاته شأنها شأن الشعر ، والنثر ؛ لأن الجنس بحسب نظرية الأجناس الأدبيّة درجة أعلى من النوع ، أي أنّ النوع تابع للجنس .

١- إنّ المقالة لم توجد من العدم ، وإنّما لها نواة نصيّة تشكّلت في حاضنة الرسائل الديوانية التي تكتب نيابة عن الخليفة ، أو الأمير ، والرسائل الإخوانيّة ، والرسائل الخاصة ، والعلمية ، ورسائل التخيّل : مثل رسالة الغفران ، ورسالة التوابع والزوابع ، والرسائل الفلسفيّة مثل : رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا ، على مرّ قرون من الزمن ثم بمرور الزمن استقلّت عن فضاء الرسالة لتكوّن نوعها الأدبيّ الذي أسهم في بلورة أشكال مختلفة من الرؤى ، والانفعالات .

٢- إنّ المقالة لم تمت ، وإنّما انحسر تأثير وجودها بسبب ظهور أنواع أدبيّة منافسة لها مثل : القصّة ، والرواية ، وتغيّر التقاليد الأدبيّة تبعا لتعاقب الزمان ، وظهور أساليب أدبيّة جديدة ، واختلاف بنياتها من عصر إلى آخر ، وأنّها لمّا تزل موجودة في حياة الأدب العربي ونقده .

المصـــادر :

١. أحمد حسن الزيات ومجلة الرسالة : الدكتور علي محمد الفقي - سلسلة اقرأ - دار المعارف ، القاهرة - ١٩٨١م .

٢. الأدب العربي الحديث دراسة في شعره ونثره - الدكتور سالم أحمد الحمداني والدكتور فائق مصطفى أحمد- وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة الموصل ، العراق- ١٩٨٧م .

٣. الأدب العربي المعاصر في مصر- الدكتور شوقي ضيف- دار المعارف ، القاهرة - ط٨- ١٩٨٣م .

٤. الأدب المقارن- فان تيجم : تعريب سامي مصباح الحسامي : منشورات دار الفكر العربي .

٥. الأدب المقارن- الدكتور محمد غنيمي هلال : دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع : بيروت : ط٥ : ١٩٩٠م .

٦. أدب المقالة - عباس محمود العقاد- مجلة الرسالة- ع٧٨٧- ١٩٤٨م .

٧. أدب المقالة الصحفية في مصر- الدكتور عبد اللطيف حمزة -ج١- ط٣- دار الفكر العربي ، القاهرة .

٨. الأدب وفنونه- الدكتور محمد مندور- دار نهضة مصر-١٩٧٤م .

٩. الأدب وفنونه دراسة ونقد- الدكتور عز الدين إسماعيل- ط٨- دار الفكر العربي ، القاهرة- ١٩٨٣م.

١٠. أصل الأجناس الأدبيّة – تودوروف – ترجمة : محمّد برّادة – مجلة الثقافة الأجنبية ، بغداد – ع١ – ١٩٨٢م .

١١. انحسار المقالة الأدبيّة : صادق الطريحي:جريدة الصباح العراقيّة- ٢١ /١٢/٢٠١٢.

١٢. تداخل الأنواع الأدبية في المقال النقدي- الاستاذ الدكتور شكري بركات إبراهيم- ضمن تداخل الأنواع الأدبية : مؤتمر النقد ١٢ ، جامعة اليرموك- م ١- ٢٠٠٩م .

١٣. تطور الرواية العربيّة الحديثة ١٨٧٠ –١٩٣٨- الدكتور عبد المحسن طه بدر- ط ٣ – دار المعارف بمصر – ١٩٧٧م .

١٤. تطور الرواية العربيّة الحديثة في بلاد الشام ١٨٧٠- ١٩٦٧- الدكتور إبراهيم السعافين- وزارة الثقافة والإعلام ، العراق .

١٥. التفاعل في الأجناس الأدبية- بسمة عروس- ط١- الانتشار العربي ، لبنان- ٢٠١٠م .

١٦. جذور نظرية الأجناس الأدبية في النقد العربي القديم- الدكتور فاضل عبود التميمي- المجمع العلمي العراقي ، بغداد- ٢٠١٢م .

١٧. جماليات المقالة عند الدكتور علي جواد الطاهر- الدكتور فاضل عبود التميمي – دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد – ٢٠٠٧ م .

١٨. جنّة العبيط – زكي نجيب محمود – ط٢ – دار الشروق ، بيروت- ١٩٨٢م .

١٩. خزانة الأطاريح الجامعيّة المناقشة في المعاهد والكليات العربية : الدكتور عباس كاظم مراد : دار النوارس : بيروت : ط١ : ٢٠٠٠م.

٢٠. دفاع عن المقالة الأدبية – الدكتور فائق مصطفى – كركوك ، العراق–٢٠٠٨م .

٢١. رسالة الصاهل والشاحج – لأبي العلاء المعري– تحقيق : عائشة عبد الرحمن – دار المعارف بمصر– ١٩٧٥م.

٢٢. رواد المقالة الأدبية في الأدب العراقي الحديث – عبد الجبار داود البصري – وزارة الإعلام العراقية ، بغداد–١٩٧٥م .

٢٣. الرواية العربية (ممكنات السرد)– أعمال الندوة الرئيسة لمهرجان القرين الثقافي ١١– ج٢ –٢٠٠٩م .

٢٤. الشعرية العربية : الأنواع والأغراض– رشيد يحياوي– أفريقيا الشرق ، المغرب .

٢٥. صبح الأعشى في صناعة الإنشا – القلقشندي– دار الكتب المصرية ، القاهرة – د.ت .

٢٦. علي جواد الطاهر الناقد المقالي : الدكتور سعيد عدنان– الطيف للطباعة ، بغداد– ٢٠٠٦م.

٢٧. فن المقالة – الدكتور محمد يوسف نجم– دار الثقافة ، بيروت – ط٤– ١٩٦٦م .

٢٨. فن المقالة (أصول نظرية ، تطبيقات ، نماذج)- الدكتور صالح أبو إصبع ، و الدكتور محمد عبيد الله - ط١- دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان- ٢٠٠٠م .

٢٩. الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة - الدكتور أنيس المقدسي - دار العلم للملايين ، بيروت- ط٥- ١٩٩٠م.

٣٠. الفهرست - ابن النديم - تحقيق : رضا تجدد- طهران مطبعة دنشكا ، طهران- ١٩٧١م.

٣١. في الأدب الحديث- الدكتور عمر الدسوقي- ج١-ط٢- دار الفكر العربي ، القاهرة- ١٩٧٣م.

٣٢. فيض الخاطر- أحمد أمين- مقالة (كتابة المقالات)- ج١- ط٣- مكتبة النهضة المصرية .

٣٣. قراءة في كتاب دفاع عن المقالة- الدكتور فاضل عبود التميمي- جريدة الاتحاد العراقية ، في ٢/٦/٢٠٠٨.

٣٤. كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر- أبو هلال العسكري- تحقيق علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم- ط٢- دار الفكر العربي -١٩٧١م

٣٥. لسان العرب- ابن منظور- دار صادر ، بيروت - دون تاريخ .

٣٦. ماتت المقالة منذ الخمسينيات وبرزت القصة والرواية : الدكتور شجاع العاني : مجلة إمضاء- العدد الثاني- بغداد-٢٠١٢ م .

٣٧. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر- ابن الأثير- تحقيق : الدكتور أحمد الحوفي ، والدكتور بدوي طبانة- دار نهضة مصر ، القاهرة ١٩٦١م .

٣٨. محاضرات عن فن المقالة الأدبية – الدكتور محمد عوض محمد- معهد الدراسات العربيّة العالية ، القاهرة – مطبعة لجنة التأليف والنشر-١٩٥٩م .

٣٩. مختار الصحاح- محمد بن أبي بكر الرازي- دار الكتاب العرب ، بيروت ، لبنان-١٩٨١م .

٤٠. مدارات نقدية في إشكالية النقد والحداثة والإبداع – فاضل ثامر- دار الشؤون الثقافيّة العامة ، بغداد- ١٩٨٧م .

٤١. معجم مصطلحات نقد الرواية- لطيف زيتوني- ط١- مكتبة لبنان- ٢٠٠٢م .

٤٢. المعجم الوسيط – إبراهيم أنيس وآخرون-ج٢- الدار الهندسية ، مصر- ١٩٨٥م .

٤٣. مفاتيح العلوم- الخوارزمي- طبعة الشرق-١٣٤٢هـ.

٤٤. المقالة الأدبية جنس كتابي مهمّش- الدكتور فائق مصطفى – جريدة الصباح العراقيّة – ٢٠١٢/٣/١٨.

٤٥. المقالة في ليبيا نشأتها وتطورها خلال العهد العثماني الثاني (١٨٦٦- ١٩١١)- أحمد عمران بن سليم - دراسة فنية تحليلية نقدية- ط١- منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي- ١٩٩٢م.

٤٦. المقالة النقدية الأدبية في مجلة الرافد الإماراتية-لطيفة عبد الله أحمد الحمادي- رسالة ماجستير- قسم اللغة العربية ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية ، دبي- ٢٠٠٩ ، ٢٠١٠م.

٤٧. المقالة النقدية في رسالة جامعيّة - فاضل عبود التميمي- جريدة الزمان الدولية - ع :٤٢١٤ ، في٢٠١٢/٥/٣١.

٤٨. مقدمة في النقد الأدبي- الدكتور علي جواد الطاهر- ط٢-المكتبة العالمية ، بغداد-١٩٧٣م .

٤٩. نشأة القصة وتطوّرها في العراق ١٩٨٠-١٩٣٦- الدكتور عبد الإله أحمد - دار الشؤون الثقافيّة ، بغداد-٢٠٠١م .

٥٠. النظرات : مصطفى لطفي المنفلوطي : دار الجيل بيروت- لبنان د. ت .

٥١. نظرية الأجناس الأدبية - مجموعة مؤلفين - ترجمة : عبد العزيز شبيل : النادي الأدبي ، جدّة - ١٩٩٤م .

٥٢. نظرية الأدب - اوستن وارين ورينيه ولك : ترجمة محيي الدين صبح مراجعة الدكتور حسام الخطيب : مطبعة خالد الطرابيشي ١٩٧٢م .

٥٣. النقد الأدبي – أحمد أمين – مكتبة النهضة المصرية – ١٩٨٣ م .

٥٤. هل المقالة الأدبيّة في انحسار؟- الدكتور فاضل عبود التميمي- جريدة الصباح العراقيّة- ٢٥ /٢٠١٢/٣.

٥٥. الهوامل والشوامل- لأبي حيان التوحيدي ، و مسكويه- تحقيق : أحمد أمين والسيد أحمد صقر- مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة-١٩٥١م .

٥٦. وحي الرسالة – أحمد حسن الزيات- ج٣- مطبعة الرسالة : مصر.

٥٧. وراء الأفق الأدبي (مقالات) : الدكتور علي جواد الطاهر- وزارة الإعلام العراقية ، بغداد-١٩٧٧م.

٥٨. يسألونك- عباس محمود العقاد – ط٢- دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان-١٩٦٦م .

محددات الدلالة اللغوية والمفاهيمية
لمفردتي الثقافة والحضارة

وليد خالد أحمد

الملخص :

يحدد البحث معاني ودلالة مفردتي الثقافة والحضارة وفك الألتباس القائم بينهما ولاسيما في استخدامها الفكري وما يتصل بهما من العلم والمدنية .

المقدمة :

في كل مرحلة من مراحل تداول الأفكار ، تشيع مفاهيم ويكثر استخدامها في أوساط المفكرين كمفاتيح أفكار أو مداخل لمناهج أو سياسات اجتماعية واقتصادية وثقافية . فلا يكاد يمر يوم من حياتنا من دون أن نصادف مفهوما أو عدة مفاهيم أو نتعثر بأحد مشتقاتها . فقط ، نتصفح أية جريدة أو مجلة أو نحاول رصد عدد المرات التي تتردد فيها بعض المفاهيم تحديدا لنرى بأي قدر مرعب نستهلك هذه المفاهيم .

القضية كلها تعتبر جزءً من مشكلة لدينا نحن العرب ، مختصرها أننا نعاني من خلط في المفاهيم وأنواعها ولانتوخى الدقة على الإطلاق عند استخدامها ، وهو عيب لم نحاول إصلاحه حتى أصبحنا نتعامل معه على أنه أمر واقع ، حتى وصل الأمر بالكثيرين الى ذكر مفاهيم لها أكثر من معنى واستخدامها ، ولم يعمدوا إلى تعريفها بل إن بعضها أخطأ في استعمالها ولم يتقيد بمدلولاتها مما أدى بكل أسف إلى عدم التمييز بين معانيها وغاياتها والأهداف التي خلقت من أجلها .

إن مشكلة التعريف بالمفاهيم وتحديدها تعد من المشكلات الأساسية في التحليل الفكري والتحليل السياسي والاجتماعي بصفة عامة . إذ تتعدد وتتداخل التعريفات للمفهوم الواحد ، الأمر الذي يخلق قدرا من الأضطراب واللبس عند استعمال مثل هذه المفاهيم .

ويرجع عدم الاتفاق حول تعريف المفاهيم في العلوم الاجتماعية وتحديدها إلى عدة اعتبارات منها:- إن الظواهر الفكرية والسياسية والاجتماعية – بصفة عامة – ظواهر مركبة متعددة المتغيرات . ومن ثم المفاهيم الدالة عليها تتسم بالعمومية والتعقيد وتعدد الأبعاد ، كما إن المفاهيم تعتبر نتاجا لخبرة اجتماعية مشتركة ، ولما كانت خبرات الأفراد والجماعات تختلف من حيث الزمان والمكان ، فإن ذلك ينعكس على معاني المفاهيم واستخدامها . لذلك فإن استخدام مفاهيم معينة أو فهمها بدلالات ومعانٍ محددة إنما يعكس في حد ذاته تفصيلات وانحيازات وثيقة الصلة بخبرة الجماعة .

إن مما يثير مخاوفنا نحن العرب على مستقبلنا هو غموض المفاهيم التي يعتمدها الفكر العربي في أهم الموضوعات وأخطرها ارتباطا بالحياة العربية . فقد صرفتنا محاولات بعض مفكرينا تسييس اللغة العربية عن الكشف في قوانين التفاعل الداخلي للقوى المحركة الفاعلة في هذه اللغة الحية ورصد تداعياتها في التحولات الاجتماعية والفكرية والسياسية . صرفتنا إلى الإشكاليات التي خلقتها الرموز اللغوية خاصة المفاهيم التي تحولت إلى مشكلة يتعاظم خطرها على أية محاولة فكرية لتعميق التواصل بيننا نحن العرب وبين قواه السياسية والاجتماعية المختلفة .

وحول أهمية إزالة غموض المفاهيم وإزالة الاختلافات في معاني الألفاظ ومشكلات انعدام التواصل التي يخلقها الغموض ، سعينا في دراستنا هذه إلى تناول مفاهيم الحضارة والثقافة نموذجا لتقاطعات دلالات المفاهيم ومحدداتها والتباساتها فأنني سأتناول هنا معنى الحضارة ومعنى الثقافة وما يتصل بهما من العلم والمدنية وان أفرق بينهما وبين ما يجب علينا توضيحه والتمسك به ، والتمييز بين الحضارة والثقافة وبين العلم والمدنية . تفريقا يحدد المعالم ويزيل اللبس بينهما مما يعيننا على تلمس طريقنا اليوم ويحدد لنا معالم مستقبلنا في خضم الصراع المفاهيمي الحضاري العالمي .

تاريخية مفردة الثقافة ودلالتها في اللغة والاصطلاح :

لم تشهد كلمة ازدهارا وانتشارا ككلمة الثقافة ، وليس هناك مفهوم أكثر تداولا وأستخداما كمفهوم الثقافة ، ومع ذلك يبقى الغموض والالتباس متلازمين لها ، كلما طرح موضوعها للنقاش والبحث . وهناك بحوث تخصصت في رصد نشأة المفهوم وتطوره من الناحية التاريخية ، وأخرى ركزت على الجانب المعرفي . وقد احصى عالما الانثروبولوجيا الأمريكيين كروبير Kroeber وكلوكهون Kluckhohn ما لا يقل عن (١٦٠) تعريفا للثقافة قاما بفرزها على سبعة اصناف :- وصفية وتاريخية وتقييمية وسيكولوجية وبنيوية وتكوينية وجزئية غير كاملة[١] .

---

[١] عبد الغني عماد - سوسيولوجيا الثقافة ، المفاهيم والاشكالات ، من الحداثة الى العولمة ، ط ١ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٦ ، ص ٢٨.

وقد اكتسبت كلمة ثقافة Culture معناها الفكري في اوروبا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر . فالكلمة الفرنسية كانت تعني في القرون الوسطى الطقوس الدينية Cultes لكنها في القرن السابع عشر كانت تعبر عن (فلاحة الأرض)[٢]. ومع القرن الثامن عشر اتخذت منحى يعبر عن التكوين الفكري عامة ، وعن التقدم الفكري للشخص خاصة ، وعما يتطلبه ذلك من عمل ، وما ينتج عنه من تطبيقات .

هذا هو المعنى الموجود في المعاجم الكلاسيكية ، ولكن انتقال الكلمة الى الالمانية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر أكسبها لأول مرة وقبل رجوعها الى فرنسا مضمونا جماعيا ، فقد اصبحت تدل خاصة على التقدم الفكري الذي يتحصل عليه الشخص أو المجموعات الانسانية عامة [٣]. أما الجانب المادي في حياة الأشخاص والمجتمعات فقد افرزت له الالمانية كلمة حضارة .

ومع ذلك فان مفهوم الثقافة سوف يمر بتحول آخر عند انتقاله من اللغة الالمانية الى اللغة الانكليزية ، وقد قامت بهذه الاستعارة الانثروبولوجيا الانكليزية وتحديدا مع تيلور صاحب اشهر تعريف للثقافة والذي اخذه اوائل علماء الانثروبولوجيا الأنكليز والأمريكان [٤].

---

[٢] الطاهر لبيب – سوسيولوجيا الثقافة ، ط ٥ ، دار محمد علي الحامي للنشر ، صفاقس (تونس) ، ١٩٨٨ ، ص٦.

[٣] غي روشيه – مقدمة الى علم الاجتماع العام ، ترجمة – مصطفى دندشلي ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ص ١٣٠.

[٤] عبد الغني عماد – مصدر سبق ذكره ، ص ٢٩.

وصلت الانثروبولوجيا في الولايات المتحدة الى الحد الذي عرفت فيه نفسها كعلم للثقافة . وفي الوقت الذي كان يتم فيه التمييز في بريطانيا بين الانثروبولوجيا الطبيعية – دراسة تطور ونمو جسم الانسان – وبين الانثروبولوجيا الاجتماعية ، كان الامريكيون يقابلون بين الانثروبولوجيا الثقافية والانثروبولوجيات الطبيعية[٥] .

وحيث ان رواد علم الاجتماع الكبار أمثال كونت cont وماركس marx وفيبر weber ودوركهايم Durkheim ، لم يستخدموا مصطلح الثقافة مفهوما بشكل واسع ، مما ادى هذا الى انتشاره البطئ ، وفي اللغة الفرنسية كان استخدامه أكثر بطئـا ، ففي الوقت الذي تشمل فيه معاجم اللغة الانكليزية جميعها على تعريف سوسيولوجي أو انثروبولوجي للثقافة غالبا ما يكون شديد الوضوح ، فان نظير ذلك كان غير متوافر حتى في طبعات المعاجم الفرنسية الأكثر حداثة . ولا شك في ان ذلك يعود نوعا ما الى ان علم الاجتماع الفرنسي كان لفترة طويلة لا يزال مصبوغا بصبغة مصطلحات دوركهايم الخاصة[٦] . ولم يصبح اصطلاح الثقافة شعبيا في فرنسا بتأثير من علم الاجتماع الامريكي الا بفضل الجيل الجديد من علماء الاجتماع الفرنسيين ، هذا الجيل الذي ظهر بعد الحرب العالمية الثانية[٧] .

لعل هذه اللمحة التاريخية عن تطور استخدام مصطلح الثقافة تساعد في تحديد المفهوم الذي اخذ من اللغة الفرنسية ثم أعيدت ترجمته من

---

[٥] المصدر نفسه ، ص ٢٩.

[٦] غي روشيه – مصدر سبق ذكره ، ص ١٣٢.

[٧] عبد الغني عماد – مصدر سبق ذكره ، ص ٣٠.

اللغة الالمانية الى اللغة الانكليزية ، وكان يضاف في كل مـرة مضـمون جديد سواء بطريق التعميم أو بطريق القياس مـن دون أن يفقـد معنـاه الأصلي ، وأنما يكتسب معاني جديدة تكون دائما أكثر بعدا عـن المعنـى الأول . فمن (فلاحة الأرض) كما كان يعني في اللغة الفرنسية القديمة الى المعنى السوسيولوجي في اللغة الفرنسية الحديثة ، هناك من غيـر شـك فرق شاسع كان ثمرة تطور شق طريقه بصورة يمكن ان نسميها متكاملـة وبدون انقطاع[٨] .

أما الكلمة في اللغة العربية نكاد لا نعثر لها على أثر في الخطـاب العربي القديم ، فقد جاءت في أغلب المعاجم العربية بالشكل الآتي :

استعملت مادة ثَقِفَ في الحسيات ، يقال :- تثقيف الرماح ، أي تسويتها . ويقال:- ثّقف تثقيفا ، أي سواه[٩] .

وتستعمل في المعنويات :- قال ابن دريد – ثَقِفتُ الشيء ، حذقته ، وثَقِفتُه – إذا ظفرت به . قال الله تعالى :- "فإما تَثْقَفَنَّهُم في الحرب"

وثقُفَ الرجل – بضم القاف – ثقافة : أي صار حاذقـا خفيفـا ، وثَقِف – بكسر القاف – ثَقَفا : أي صار حاذقـا فطنـا . . وفـي حـديث الهجرة : وهو غلام لَقِنٌ ثَقِفٌ : أي ذو فطنة وذكاء ، والمراد أنـه ثابـت المعرفة بما يحتاج إليه[١٠] .

---

(٨) غي روشيه – مصدر سبق ذكره ، ص ١٣٣.

(٩) ابن منظور – لسان العرب ، مادة ثقف .

(١٠) المصدر نفسه.

وقال الزمخشري : وثَقِفتُ العلم أو الصناعة في أوهى مـدة ، إذا أسرعت أخذه . ومن المجاز: أدّبه وثقّفه ، ولولا تثقيفك وتوقيفك لما كنـت شيئا . وهل تهذبتُ وتثقفتُ إلاّ على يدك .

وعلى هـذا ، فالثقافـة هـي : التسـوية والتهـذيب والتقـويم ، والحذق والظفر والفطنة ، وسرعة أخذ العلم وفهمه ، وثبات المعرفة بمـا يحتاج إليه[11] .

إذَنْ فالثقافة في خطابنا المعاصر ليست هي كما تفهم في الخطاب العربي القديم ، وليست هي بمعناها في اللغات الاوروبية القديمـة . لقـد تطور استخدام الكلمة الى ان اصبحت مفهوما له دلالات معرفية خاصـة وأبعادا سوسيولوجية متعددة .

ليس هناك تعريف جامع مانع وهو ما يعبر عنه بالحد لكلمة ثقافة . لأنها ذات أبعاد كبرى ودلالات كثيرة وإيحاءات شتى ، وتعني في إطارها العام آفاقا جمة ومستويات عدة . . .

وليس هذا خاصا بالثقافة وحدها ، فهناك ما يعترض الدارسين من صعوبة التعريف الجامع المانع لكثير من المصطلحات التي أصبحت شائعة ذائعة في هذا العصر بدلالات جديدة ، وإيحاءات لم تكن معروفـة لهـذه المصطلحات من حيث الأصل والاستعمال من قبل ، مثل: الفن والحضارة والمدنية . . . ومن هنا اختلفت العبارات لاختلاف الاعتبارات . . .

---

[11] سعد محمد الشيخ المرصفي – الثقافة والشريعة الاسلامية ، ضمن بحوث مذكرات في الثقافة الاسلامية ، ط ؟ ، جامعة الكويت ، ١٩٨١.

قال محمد بن سلام الجمحي :- وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات منها ما تثقفهُ العين ، ومنها ما تثقفهُ الأذن ، ومنها ما تثقفهُ اليد ، ومنها ما يثقفهُ اللسان .

وقد فهم بعض الباحثين في النقد الأدبي أن لفظة صناعة تعني لدى ابن سلام ميزان نقد الشعر فقال: كان ابن سلام أول من نص على استقلال النقد الأدبي ، فأفرد الناقد بدور خاص ، حين جعل للشعر – أي لنقده والحكم عليه – صناعة يتقنها أهل العلم بها ، مثلما أن ناقد الدرهم والدينار يعرف صحيحهما من زائفهما بالمعاينة والنظر ، ولعله كان يرد على من يتطاولون إلى الحديث في نقد الشعر من معاصريه وهم لايملكون ما يسعفهم من ذلك .

وهنا يبقى السؤال قائما حول ما يعنيه ابن سلام من كلمة ثقافة التي عطفها على لفظة صناعة . فإذا كان ينفي الترادف فإن مدلول لفظة ثقافة – كما يفهم من كلامه – يعني الحذق والفهم والقدرة ، أو ما يمكن أن نعبر عنه بما يسمى الملَكة . فإذا أضيفت الكلمة إلى الشعر كانت ملَكة الشعر ، أي القدرة على فهمه وحذقه ونقده ، وإذا أُطلقت من دون أن تضاف إلى علم أو فن فليس ثمة ما يمنع أن تدل على ما نطلق عليه اليوم الثقافة العامة . فإذا جعل ابن سلام للشعر ثقافة فإن معنى ذلك أن للنثر ثقافة أيضا ، وهي الثقافة الأدبية ، وتتسع الدائرة ويتنوع المدلول كلما أضيفت الثقافة إلى علم أو فن خاص ، كأن نقول : الثقافة الشرعية ، والثقافة التاريخية والثقافة الفلسفية والثقافة الطبية ، ونحو ذلك . . . فإذا ذكرت اللفظة من دون إضافتها إلى شيء فليس لها على هذا التفسير إلاّ التنوعَ

والعموم ، وإذا اتصف بها إنسان كانت ملكته في فهم ضروب العلوم والفنون والمعارف ملَكَة جيدة بوجه عام ، وهذا يدل عليه لفظ المثقف في الاصطلاح الشائع في هذا العصر [١٢] .

وحاول بعض التربويين أن يضعوا تعريفا لها فقالوا إنها :- مجموعة الأفكار والمثل والمعتقدات والتقاليد والعادات والمهارات وطرق التفكير وأسلوب الحياة والنظام الأسري ، وتراث الماضي بقصصه ورواياته وأساطيره وأبطاله ووسائل الانتقال والاتصال وطبيعة المؤسسات الاجتماعية في المجتمع الواحد .

وهذا يتفق مع المفهوم الذي تدل عليه كلمة Culture في الاصطلاح الإنكليزي الحديث منذ أيام الأنثروبولوجي الإنكليزي تيلور Tylor . B . E ، (١٨٣٢-١٩١٧) الذي يعتبر تعريفه اقدم التعريفات والذي قدمه في كتابه (الثقافة البدائية / ١٨٧١م) والذي يذهب فيه الى التعريف الآتي :- الثقافة أو الحضارة بالمعنى الاثنوغرافي الواسع :- هي كل مركب يشتمل على المعارف والمعتقدات والفن والقانون والاخلاق والتقاليد وكل القابليات والعادات الأخرى التي يكتسبها الانسان كعضو في مجتمع . . . بمعنى جملة ما تحصل في جماعة ما من تراث المعرفة النظرية والعملية ، ومن التراث الاعتقادي والحضاري العلمي والفلسفي والفني ، بالمعنى الواسع . فالثقافة حسب هذا التعريف تشمل العناصر المادية وغير المادية[١٣] .

---

[١٢] المصدر نفسه.

[١٣] عبد الغني عماد - مصدر سبق ذكره ، ص ٣١.

إن هذا التعريف الذي هو أقرب الى الوصف ، نقل الثقافة الى مستوى الوقائع الاجتماعية التي يمكن ملاحظتها مباشرة في فترة زمنية محددة ، كما يمكننا نتبع تطورها وهذا ما فعله تيلور نفسه .

ومنذ ذلك الحين طرحت العشرات من التعريفات بحيث اصبحت القائمة طويلة جدا ، وقد جمع هذه التعريفات وصنفها وانتقدها كروبير وكلوكهون . والجدير بالذكر ان عددا كبيرا من هذه التعريفات لم يكن موفقا أو محظوظا . ويمكن القول ان هذا التعدد والتنوع في تعريف الثقافة انما يعكس في حقيقته تعدد الخلفيات والأطر الاجتماعية والمعرفية التي ينطلق منها هؤلاء الباحثون في تحديدهم وتعريفهم الثقافة . وبالتالي فأن أغلب هذه التعريفات بقيت اسيرة المنظومة الفكرية للباحث وعكست طبيعة انتماءاته وأهتماماته[١٤] .

ويمكننا ان نؤكد من دون مبالغة ان هناك أكثر من مائة وستين تعريفا للثقافة لعلماء ينتمون الى تخصصات مختلفة منها الانثروبولوجيا والاثنولوجيا وعلم الاجتماع وعلم النفس والطب العقلي والاقتصاد والسياسة والجغرافية . من الطبيعي ان يركز كل عالم يمثل تخصصا معينا على محددات معينة ، وان يعطي ثقلا لظواهر من الثقافة دون أخرى ، بحسب ما ينصرف اليه اهتمامه النابع من تخصصه[١٥] .

---

[١٤] المصدر نفسه ، ص ٣١.

[١٥] سامية حسن الساعاتي – الثقافة والشخصية ، بحث في علم الاجتماع الثقافي ، ط ٢ ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص ٣٤.

ولعل أبسط التعريفات وأحدثها ما جاء به روبرت بيرستد الذي ظهر في أوائل الستينيات والذي يعتبر :- الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يتألف من كل ما نفكر فيه أو نقوم بعمله أو نتملكه كأعضاء في مجتمع . الا ان تعريف غي روشيه أكثر شمولا وعمقا ، وهو استفاد قبل وضعه من كل التعاريف الأخرى ويقدمه على الشكل الآتي :- الثقافة هي مجموعة من العناصر لها علاقة بطرق التفكير والشعور والفعل ، وهي طرق صيغت تقريبا في قواعد واضحة والتي اكتسبها وتعلمها وشارك فيها جمع من الأشخاص تستخدم بصورة موضوعية ورمزية في آن معا من أجل تكوين هؤلاء الأشخاص في جماعة خاصة ومميزة[١٦] .

ومن الواضح ان هذا التعريف استعان بصيغة دوركهايم الموفقة جدا ، طرق التفكير والشعور والعمل ، وهي صيغة أكثر شمولا وتركيبا من تعداد تيلور . ومن جهة أخرى فأنها أكثر وضوحا من صيغة طريقة في الحياة ، والشائعة في كثير من التعريفات ، والأهم من ذلك ان هذا التعريف سيتيح لنا ان نلقي الأضواء على الخصائص الأساسية التي يتفق علماء الانثروبولوجي والاجتماع على الاعتراف بها للثقافة .

ولا بد من الأشارة الى بعض التعريفات ذات الطابع الشمولي التي لا ترتكز على جانب واحد فقط من جوانب الثقافة . فالتعريف الماركسي للثقافة من هذا النوع يعتبرها شاملة :- كل القيم المادية والروحية ووسائل خلقها واستخدامها ونقلها التي يخلقها المجتمع من خلال سير التاريخ . ويمتاز هذا التعريف بأنه يحدد بوضوح اهم مكونات الثقافة ، فهو يرى أن

---

(١٦) عبد الغني عماد - مصدر سبق ذكره ، ص ٣٠ و ٣١.

الثقافة ظاهرة تاريخية ، كما انه يربط بين الثقافة والمجتمع الذي تنشأ فيه ، ويعطي تفسيرا لنشأة الثقافة وتغيرها على الرغم من أنه يغلب التفسير المادي والبعد الطبقي للثقافة .

ويتميز تعريف كروبير وكلوكهون الشمولي بأبعاد جديدة ، فهو يعتبر ان الثقافة تتكون من نماذج ظاهرة وكامنة من السلوك المكتسب والمنتقل بواسطة الرموز ، التي تكون الانجاز المميز للجماعات الانسانية والذي يظهر في شكل مصنوعات ومنتجات . أما قلب الثقافة فيتكون من الأفكار التقليدية المتكونة والمنتقاة تاريخيا وبخاصة ما كان متصلا منها بالقيم ، ويمكن ان نعد الانساق الثقافية نتاجا للفعل من ناحية كما يمكن النظر بوصفها عوامل شرطية محددة لفعل مقبل[١٧] .

ومن الواضح ان هذا التعريف يمتاز بأنه اكثر شمولا من التعريف الماركسي ، اذ يضم أيضا النظرة السيكولوجية للثقافة ، والنظرة البنيوية لها ، وتظهر الأولى في قولهما بأن الثقافة مكتسبة ، أما الثانية فتبرز من خلال نظرتهما للثقافة كنماذج من السلوك .

كذلك يمتاز هذا التعريف بأنه يهتم بدينامية الثقافة وكيفية انتقالهما ، ويفسر نشأتها ، ولا يهمل ان الثقافة اذا ما اختزلناها لوجدنا انها نتاج رموز وأفكار ، وهذا عدا عن ابرازه للصلة بين الثقافة والشخصية . وهذا يعني ان الثقافة من خلق الانسان من ناحية ، كما انها تحدد سلوكه وافعاله من ناحية أخرى ، ولا يهمل هذا التعريف الجانب التاريخي وأهمية القيم بصفة خاصة .

---

(١٧) المصدر نفسه ، ص ٣١ و ٣٢.

يتضح مما تقدم . . ان كلمة ثقافة أستعملت للدلالة على العناية بالأدب وبالشؤون الإنسانية . والتبحر في الفنون والآداب . وحب الإنسانية بوصفه عنصرا أساسيا في تكوين رجل الفكر و السياسة ، يتم له عن طريق دراسة الآداب والعلوم الاجتماعية . وفي عصر النهضة طبقت كلمة ثقافة على دراسة الفنون والآداب والتربية . وحاول فلاسفة القرن السابع عشر الميلادي أن يطبقوا مناهج العلم في دراسة الإنسان فتكلموا عن تثقيف الفكر أو تثقيف الإنسان . وتثقيف الإنسان عن طريق معرفة طبيعته اتخذ شكلين في القرن التاسع عشر وفي القرن العشرين . فقد درس الفلاسفة الألمان طبيعة الثقافة وطبيعة الحياة الروحية وعلاقة العلوم الثقافية بعلوم الطبيعة .

اذن ، الثقافة هي الحصيلة الفكرية من أدب وعلم وفن وفلسفة وغير ذلك ، تعبر عن إنجاز الإنسان في مراحل تطورية يتداولها أو يتعلمها الأفراد بشتى الوسائل المختلفة للاتصال فتزداد بالتجارب الجديدة وتنحسر في فترات التدهور والانحطاط ، تؤثر في سلوك الأفراد وفي مواقفهم من الحياة والكون ، تتفاعل مع الإنجازات الفكرية لأمم أخرى فتتفتح على تجارب الآخرين وخبراتهم فتأخذ القليل أو الكثير أو تنغلق على نفسها في فترات معينة من التاريخ ولأسباب مختلفة ، مهمة في تشكيل السلوك وعقلية الأفراد في المجتمع ، تمثل الجزء الموروث للشعب من تجارب الأسلاف وخبراتهم .

الثقافة في الإطار الأنثروبولوجي

الأنثروبولوجيا ، علم مختص بدراسة الإنسان عبر تطوره البايولوجي والسوسيولوجي ودراسة الثقافة ضمن هذا الإطار تشكل جزء من طبيعة الإنسان والمجتمع ، ذلك لأنها ضرورة ملازمة للوجود الاجتماعي للإنسان .

يعد الأنثروبولوجي البريطاني تيلور كما مر بنا ، أول من حاول تعريف الثقافة عام ١٨٧١ . ونظرا لكون تعريفه شاملا ويعد أول تعريف في الأنثروبولوجيا الثقافية ، لذلك نلاحظ أنه ساد في كثير من المؤلفات . فالعلاّمة الأمريكي لوي Lawie ، الذي يُعد مؤسس الأنثروبولوجيا الثقافية في أمريكا ، قد بدأ كتابه الشهير – المجتمع البدائي ١٩٢٠ – بنقل تعريف تيلور ووصفه بالتعريف الشهير[١٨] .

وعلى هذا الأساس أصبح تعريف تيلور أكثر وقعا في المفاهيم المعطاة للثقافة . فـ آنا كوريني براون ترى في الثقافة بأنها تشمل كل الطرق للسلوك المقبولة والمصاغة من قبل شعب فعال ، وهي قوام للتفاهم المشترك وخلاصة عامة وتنظيم لكل طرق التفكير والشعور ونشاطات الجماعات . كما تتضمن كيفية صنع أدوات أنتاج الحاجات الضرورية للحياة ، وبهذا المفهوم للثقافة فإن كل أمة مهما كانت بدائية لها ثقافة معينة ولايمكن للفرد أن يعيش اجتماعيا من دون ثقافة[١٩] .

---

(١٨) افرام داوود شبيرا – دور المثقفين في التحولات الاجتماعية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية القانون والسياسة ، جامعة بغداد ، ١٩٧٩ / ص ٢٦.

(١٩) المصدر السابق ، ص ٢٧.

أما بيرنارد فهو لم يشذ عن القاعدة الأساسية التي وضعها تيلـور لمفهوم الثقافة ، فالثقافة عنده شيء أكثر من واسع وشامل ، فهـي تشـمل وبصورة مبسطة ، كل الابتكارات والتقاليد والأعراف التي صُنعت من قبل البشرية والتي تجعل الإنسان إنسانا ، فبدونها يكون الإنسان نوع آخر من الحيوان يعيش في جماعات صغيرة ومحدودة ، ولكن مـن دون ثقافـة ، بالإضافة إلى ذلك ، فالثقافة تتضمن كل الأشياء المقبولة والمقررة ، مثـل أساليب العمل والتفكير والمعرفة ونماذج للسلوك المتوارثة من جيل إلـى آخر عن طريق التعليم والتدريس وليس عن طريق الولادة [٢٠] .

وبخصوص ذلك يؤكد جون فون هرور من ان :- ثقافة الشـعب هي دم كيانه . وبعده قام هيجل فقال : إن الكائن والفكر شيء واحد . وقال الفلاسفة الرومانطيق من مدرسة نيتشه بـالتطور وإرادة القـوة وتنـازع البقاء . وقاموا بوضع الخطوط الكبرى للتأمل الفلسـفي والسوسـيولوجي حول القيم المتجسدة في الحاجات الثقافية ، وحول بنية وطبيعة القيم الثقافية والأثر المتبادل بين الذاتي والموضوعي في تحول الثقافات وتغيرها .

وعرف ماثو آرنولد الثقافة بأنها :- السعي إلى الكمال الشامل عن طريق معرفة أفضل الأفكار والأقوال في العالم ، ثم تطوير كـل مظـاهر إنسانيتنا والدين هو إحدى القوى التي بها يمكن للإنسان أن يكتمل . وبفعل الهلنستية وهي العمل على رؤية الأشياء كما هي ، والعبرية التـي هـي طاعة وقوة ، سعى الإنسان إلى كماله .

---

[٢٠] المصدر نفسه ، ص ٢٧.

ويعرف جون ديوي الثقافة بأنها نتيجة تفاعل الإنسان مع بيئته ، ولكن الفلاسفة الوجوديين يركزون على مظاهر الإبداع في الثقافة . وقد كُتب الكثير عن علاقة الثقافة بالدين ، فجعلها البعض أشمل من الدين ، في حين قال البعض بأن الثقافة هي تجسيد لدين أي شعب من الشعوب . أما أتباع الحركة الإنسانية فيرون أن قصْر الثقافة على الآداب والفنون لايساعد الإنسان على تحقيق ذاته ولا على التفاهم بين الشعوب[٢١] .

أما بالنسبة لبعضهم من الأنثروبولوجيين فإن الثقافة عندهم نظام متكامل لأشكال السلوك المكتسب ، وهي صفة مميزة لأعضاء المجتمع الواحد التي لايمكن أن تتوارث بايولوجيا ، ذلك لأن الثقافة لايمكن أن تفرض وراثيا ، فهي نتيجة للابتكارات والتحول والصيانة الاجتماعية وحدها من خلال الاتصال والتعلم ، وعلى هذا الأساس فإن لكل مجتمع متميز ثقافته الخاصة ، وهذا ما يجعله متميزا في تصرفاته وسلوكه عن بقية المجتمعات[٢٢] .

أما بالنسبة للأنثروبولوجيين العرب فقد ذهبوا في تعريفهم الثقافة وتحديدها إلى منحى الكتاب الغربيين الذين سبقوهم فيه ، متأثرين بصورة أو أخرى ، بتعريف تيلور . فالدكتور أحمد الخشاب يرى في الثقافة بأنها تشمل جميع الصفات المكتسبة في المجتمع كالحقائق والفنون وأنواع التقدم الفكري والعلمي والبناء القيمي ، وجميع اللوازم المادية للإنسان ، فنونه وآلاته وأدواته وأسلحته ، وجميع ما يستخدمه الإنسان في أعماله وما

---

[٢١] المصدر نفسه ، ص ٢٨.

[٢٢] المصدر نفسه ، ص ٢٨.

يختص بطقوسه السحرية والدينية . كل هذا يمثل المظــاهر المحسوســة الملحوظة في الثقافة . كما ويؤكد الخشاب، الجانب التنظيمي التكاملي للثقافة كوسيلة لفهم واستيعاب النسق الثقافي[٢٣] .

أما الدكتور عاطف وصفي فيرى ان المعنى المبسط للثقافة يتجلى في طريقة معيشة مجتمــع ما ، سواء أكان ذلك المجتمع بدائيا أو متخلفــا أو ناميا أو متقدما . والثقافة مــن صــنع الإنســان ، وتخضــع لقــوانين التطور[٢٤] .

وهناك العديد من التعريفات المعطاة للثقافة ، فبعضهم يذهب إلــى اعتبارها مجرد سلوك مكتسب ونمط للحياة المادية وغير المادية ، والبعض الآخر يؤكد على الجانب التنظيمي للثقافة في حين يــذهب الــبعض إلــى اختزال الثقافة إلى مجرد رموز أو خبرات نفسية وأشكال للتفكيــر . فــي حين يذهب بعض الأنثروبولوجيين الأمريكان أبعد من ذلك ، فهم يركزون على الجانب العرقي والعنصري للثقافة .

أما بالنسبة لعلم الاجتماع الماركسي فهو يؤكد بــأن الثقافــة هــي المجموع الكلي المحدد تاريخيا للعادات والمعرفة والأفكار والأفعال لــدى الناس والمرتبطة عضويا بتطور الصراع الطبقي وبتطور العمل ووسائله

---

[٢٣] احمد الخشاب – دراســات انثروبولوجيــة ، ط ؟ ، دار المعــارف ، القــاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ٤١.

[٢٤] عاطف وصفي – الانثروبولوجيا الثقافية ، ط ؟ دار النهضة العربيــة ، القــاهرة ١٩٧١ ، ص ٢٦.

مع التركيز على الجانب المادي والتكنيكي الإبداعي وعلى وسائل الإنتاج كمستويات أساسية وجوهرية في الثقافة[٢٥] .

والثقافة كمفهوم ومصطلح واسع ومعقد ، وإن كثرت التعاريف حولها وتعددت بشكل هائل والتي تعكس مدى الاختلاف والتباين في دراستها والتناقضات التي تقوم عليها ، فإن بين معظم هذه التعاريف اتفاقا عاما على أسس وعناصر جوهرية مشتركة .

ومن بين هذه العناصر تأكيد الجانب الاجتماعي للثقافة نتيجة للتفاعل الاجتماعي بين الإنسان والمجتمع وتأكيد أسبقية وجود الإنسان على الثقافة واعتبار الإنسان بدونها نوعا معينا من الحيوان ذلك لأن السمة المميزة لمجموعة بشرية معينة هي الثقافة ، سواء كانت هذه المجموعة عرقية أو دينية أو قومية أو طبقية ، وانتقال هذه الخاصية المميزة من جيل إلى آخر عن طريق التعلم والتوارث الاجتماعي واكتساب للسلوك والخبرات والمعتقدات التي أقرتها الجماعة ، تشكل العنصر الأساسي في بقائها وتطورها كمجموعة بشرية اجتماعية متميزة .

مما تقدم يتضح بأن الثقافة ضمن الإطار الأنثروبولوجي ، هي سلوك مكتسب وتوارث اجتماعي وضرورة أساسية وجوهرية لكل إنسان عضو في جماعة بشرية ، فلا يمكن العيش ككائن اجتماعي بدونها ، مادامت تحدد نمط الحياة وأساليب إنتاج الحاجات الضرورية للحياة وديمومتها ، فالثقافة هنا كمفهوم اجتماعي ترتبط بجميع أفراد المجتمع واكتسابها شيء حتمي وإلاّ تحول الإنسان إلى نوع معين من الحيوان .

---

[٢٥] افرام داوود شبيرا – مصدر سبق ذكره ، ص ٢٩.

لذلك فإن الثقافة هنا ليست حكرا وخاصية مميزة لفئة معينة من الناس ، وهم أعضاء في مجتمعهم ، لكي نستطيع تسميتهم بالمثقفين ، بل هي خاصية أساسية وجوهرية لكل أفراد المجتمع الواحد سواء أكان مجتمعا قوميا أو طبقيا ، وبالتالي فإن دراسة الثقافة ضمن هذا الإطار لاتطرح مشكلة تحديد المثقف ولاتشكل تلك المادة الأساسية لنشاطه إلاّ بقدر كونه عضوا في الجماعة ومتوارثا لثقافتها ، مادامت هذه الثقافة تشكل العنصر الأساس للنشاط الاجتماعي للكل وليس للبعض الذين نسميهم – المثقفين – .

الثقافة في الإطار الأيديولوجي

لا شك في ان مفهوم الايديولوجيا من أكثر المفاهيم شيوعا وتداولا ولكن معناه من أكثر المعاني إثارة للجدل . ومن ثم هو أقل المفاهيم ثباتا . فهو عند بعضهم مفهوم علمي وعند آخرين مبهم ومبتذل بل يمكن حتى ان يكون سُبة[٢٦] .

استخدم مصطلح الايديولوجيا بدلالات متعددة كان من بينها استخدامه مرادفا لعلم الأفكار ولما كان التحليل هو المنهج الذي يعترف به العلم ويطبقه ، أصبحت الأيديولوجيا تعني تحليل الأفكار ، أي تحليل مصادرها ، باعتبار الأفكار مصادر للأيديولوجيا ، وعلى هذا الأساس اكتسبت الأيديولوجيا أي علم الأفكار وتحليل مصادرها معنى جديدا وهو نظام فكري معين[٢٧] .

---

[٢٦] عبد الغني عماد – مصدر سبق ذكره ، ص ٦٧.

[٢٧] انطونيو غرامشي – قضايا المادية التاريخية ، ترجمة – فواز طرابلسي ، ط ؟ ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٧٠.

وبين الفكر والإنسان ، كواقع موضوعي ، علاقة ترابط وتفاعل ، فعندما يكتسب الإنسان فكرا معينا عن طريق النظرية ومن ثم الممارسة كمرحلة لاحقة لتكامل النظرية عبر فلسفة الممارسة (البراكتس) ، القائمة على الترابط العضوي بين النظرية والممارسة وانبثاق النظرية من رحم الممارسة ، وعندما يتطور هذا الفكر من مجرد معرفة إلى الممارسة الواعية لتناقضات المجتمع والطبيعة ، وعندما يصبح الفكر أداة منهجية لتحليل القوى المتناقضة ، وعندما يرتبط بمصالح فئة أو طبقة من الطبقات الرئيسة في المجتمع ، عند ذلك يشكل هذا الفكر محتوى وجوهرا لبنية فكرية معينة ضمن هذه البنية تظهر تلك العلاقة المترابطة والمتفاعلة بين الفكر والإنسان والواقع الموضوعي(٢٨) .

وعندما يتحرك الفكر ضمن هذه البنية ليتفاعل مع الواقع فإنه لايملك حرية ذاتية في التحرك والتطور إلاّ ضمن الأطر المحددة لتلك البنية التي يشكل الفكر جوهرها . لذلك فإن آفاق الإمكان والاستحالة للفكر في التطور مقرر بتلك المعايير المحددة في البنية الفكرية ، معنى هذا أن تحرك الفكر في استكشافه الواقع ، لايخضع لإرادة الذات أو الفرد ، أي لإرادة الفكر بل للبنية الفكرية التي يتطور في إطارها(٢٩) .

ومما لاشك فيه أن لهذه البنية الفكرية طابعا اجتماعيا وتاريخيا يحدد وضعها في البنية الاجتماعية الشاملة ، أي بما معناه أن تحديد البنية الفكرية لايكون إلاّ في إطار البنية الاجتماعية الشاملة . ولما كانت

---

(٢٨) افرايم داوود شبيرا – مصدر سبق ذكره ، ص ٣١.

(٢٩) المصدر نفسه ، ص ٣١.

الأيديولوجيا هي نتاج حاجة وضرورة الإنسان لنظام فكري شامل ، فــإن الأيديولوجيا تكون أعم وأشمل من البنية الفكريــة التــي يشــكل الفكــر جوهرها . وعلى هذا الأساس ، فإن هذا الفكر ضمن هذه البنية الفكريــة ، وبصورة أعم وأشمل ضمن البنية الأيديولوجية يشكل المصــدر الأســاس والقاعدة الفكرية المنظمة للإنسان المفكر الذي اصــطلح علــى تســميته بالمثقف ، ذلك الإنسان الممتلك للموهبة والمقــدرة الفكريــة والإبداعيــة لاكتشاف الواقع وتناقضاته عبر نشــاطه الفكــري المقــرون بالممارســة الواعية ، ليصبح هذا النشاط الفكري مفهوما جديدا للثقافــة يختلــف عــن المفهوم الأنثروبولوجي ، فالثقافة هنا ، ليست مجرد طرائــق للســلوك أو الحياة ، كما اتفق على ذلك علماء الأنثروبولوجيا الثقافية بوجه خاص ، بل الثقافة على وفق هذا المفهوم تعبر عن فهم واعٍ للحياة ، واغتراف مستمر من المعارف والعلوم الفلسفية أو القــراءات الثــرة للتــاريخ والتــراث ، وللرواية والنثر وما إلى ذلك . . . والثقافة هنا هــي الإمكانيــة للإجابــة وطرح الحلول للتناقضات والمشكلات اليومية والتي تتطلب ذلك قدرة عالية من الوعي الناضج لايوفرها إلاّ المزيد من الإطلاع النظري ، أي ممارسة عملية التثقيف المستمر ، ومن خلال التطبيق العملي الميداني للأفكار .

فالثقافة بشكلها الفكري ضمن إطارها الأيديولوجي ليســت ملَكَــة عقلية ومقدرة لاكتساب المعرفة فقط وليست قدرة العقــل علــى الفهــم أو عمليات الفكر الراقي والنشاطات الذهنية ، ولا هي الدقة فــي التفكيــر أو التهذيب والتعلم الجيد والأخلاق الجيدة ، وتقدير نوع معين من الفن وتذوق موسيقى بتهوفن . كما إن الثقافة في هذا الجانب الذهني ليست ذلك المفهوم

الشعبي بمعنى التهذيب والقدرة على استيعاب بعض مظاهر الحضارة الجديدة . بل هي بالإضافة إلى ذلك تقوم على الجانب المادي أيضا الكامن في الواقع الموضوعي المرتبط بعلاقة تفاعل وترابط مع الفكر عبر الممارسة الواعية له . فالثقافة بهذا المعنى تقوم على جانبين:- جانب فكري وجانب مادي ، جانب نظري وجانب تطبيقي . وبمعنى آخر أنها تقوم على الفكر والممارسة ، فإذا كان الجانب الفكري يقصد به القدرة على استيعاب المعارف والدقة في التفكير فإن الممارسة تعني النشاطات والفعاليات التي يقوم بها الإنسان من أجل خلق شروط أفضل لوجود المجتمع وتطوره . واختزال مفهوم الثقافة للجانب الفكري فقط هو انحراف نحو المثالية والسلفية ، واقتصارها على الممارسة من دون فكر ونظرية ، يعني الوقوع في العفوية واللاإرادية[٣٠] .

فالثقافة بهذا المفهوم ، هي كما قال طيب تيزيني :- النشاط والإنتاج الفكري والروحي الذي ينجزه أناس متميزون بكونهم نشطين ومنتجين في هذا الحقل . إنهم المثقفون . هذا النشاط والإنتاج الفكري الذي لا يتم إنتاجه إلاّ عبر التفاعل والترابط بين المثقفين وما يمثلونه من مبادئ وأفكار سياسية واجتماعية واقتصادية وتقنية وبين الواقع الموضوعي الذي يشكل التربة الخصبة لنشوء هذه الأفكار والأساس المادي لها ، فالثقافة ليست تيارا قائما خارج المجتمع وحركته التطورية ، وإنما تنبثق من رحم الواقع من الأساس المادي للمجتمع معبرا في سياق تطوره ، عن مجمل

---

[٣٠] المصدر نفسه ، ص ٣٣.

الظروف المادية للمجتمع على هيئة مزيج من المعارف وعـادات العمـل والخبرات وأسلوب التفكير [٢١] .

والثقافة بهذا المعنى الأيديولوجي ظاهرة من ظواهر المجتمع ومن نتاج المجتمع وليست من نتاج خلق علوي وغيبي . وكما يقول ماو تسـي تونغ بهذا الصدد :- "إن الأفكار السديدة لا تنزل من السماء ولا هي فطرية في عقل الإنسان بل إنها تأتي من الممارسة الاجتماعية" .

ولما كانت الثقافة نابعة من الواقع عبر الممارسة الاجتماعية فإنها تهدف هذا الواقع أيضا ، إما تغييره أو في تكريسه طبقـا لطبيعـة الثقافـة الأيديولوجية ولنوعية الطبقة أو الفئة الاجتماعية وموقعها مـن السـلطة . وتغيير هذا الواقع أو تكريسه عبر الممارسة يتطلب الأساس فهم هذا الواقع وتناقضاته لتؤدي الثقافة فعلها المؤثر في المجتمع ، دون هذا الفهم للواقـع تصبح الثقافة قاصرة في فاعليتها وكذلك دون الممارسة الاجتماعية تبقـى الثقافة ضربا معينا من الفهم التجريدي النظري ، ونوعا معينا من الفكـر والمعرفة مخزونا في صندوق الدماغ . ولكي تؤدي الثقافة فعلها المـؤثر يجب أن تصاغ من إطار نظري أيديولوجي ، فالفكر والثقافة لايمكـن أن توجد كما سبق وأكدنا ، إلاّ ضمن بنية وأيديولوجية ، وعلى هذا الأسـاس فإن كل ثقافة معينة هي انعكـاس أيـديولوجي لسياسـة مجتمـع معـين واقتصاده ، وإن الثورة الثقافية هي انعكاس أيديولوجي للثـورة السياسـية والثورة الاقتصادية وهي تعمل على خدمتها ، وإن الصراع الثقافي ما هو

---

[٢١] طيب تيزيني – حول مشكلات الثورة الثقافيـة ، ط ؟ ، دار دمشـق ، دمشـق ، ١٩٧٣ ، ص ٢١٤.

إلاّ انعكاس للصراع السياسي والاقتصادي وإن هيمنة وسيادة ثقافة معينة يعني سيادة وهيمنة سياسة واقتصاد معينين لمجتمع أو فئة أو طبقة معينة .

وفق هذه المنطلقات يمكن القول عن هذه الثقافة ضمن إطارها الأيديولوجي بأنها النتاج والنشاط الفكري عبر الممارسة الواعية لمجموعة من الناس بهدف تغيير أو تكريس الواقع الاجتماعي ، فالثقافة التي نقصدها هنا هي الوعي المتطور لا بل الوعي المتطور دوما وعي الإنسان لنفسه وللعالم الذي يحيا ويعمل ويناضل فيه[٣٢] .

الثقافة في الإطار الاجتماعي/السياسي

لما كانت الثقافة في علاقة تفاعل وترابط مع الواقع الموضوعي للمجتمع من خلال تلك البنية الفكرية والأيديولوجية التي تحددها ، ولما كانت الأيديولوجيا تعبيرا فكريا عن نظام اجتماعي وسياسي معين ، فالثقافة هنا تعكس طبيعة هذا النظام بمجمل تناقضاته الاجتماعية والسياسية ليضفي عليها طابعا اجتماعيا سياسيا متناقضا يجعلها تستقر في وحدات اجتماعية تعكس فهما وأسلوبا معينا للثقافة تعبر عن مصالح وطموحات أعضاء هذه الوحدات الاجتماعية .

وعلى هذا الأساس يكون الوضع الثقافي في كل مجتمع غير متساو فليس هناك ثقافة متجانسة ، هناك ثقافتان ؛ ثقافة التقدم والمستقبل الساعية نحو التغيير والتطور المستمر ، وثقافة التخلف والعداء نحو التغيير والساعية نحو تكريس الواقع الاجتماعي فكل ثقافة هي تنافسية بل من

---

(٣٢) افرام داوود شبيرا – مصدر سبق ذكره ، ص ٣٤ و ٣٥.

الواجب أن تكون تنافسية وإن وحدتها التركيبية تنطوي في كل حالة على تنافس .

غير أن التناقض والتنافس بين ثقافتين في المجتمع الواحد لاينكر وجود إطار ثقافي عام لمجموع الأمة في المجتمعات الطبقية ووجود قيم إنسانية تسعى كل طبقة أو فئة لتحقيقها وفق أسلوبها الخاص ، إلاّ أن الثقافة بصورة عامة تبقى غير متجانسة مهما كان هذا الإطار وهذه القيم مؤثرة . كما وإن هذا التناقض والتنافس يؤكد فعالية الثقافة وديمومتها فبدونه تبقى الثقافة راكدة مشلولة غير قابلة للتطور والتأثير في الثقافات الأخرى كما كانت الحالة في ثقافة المجتمعات البدائية المشاعية .

ويختلف موقف الاتجاهات الفكرية من التركيب الاجتماعي السياسي للثقافة باختلاف معايير تقسيم المجتمع والصراع الاجتماعي . فبالنسبة للماركسية التي تفهم المجتمع وتناقضاته على أساس طبقي ، والتاريخ بالنسبة لها هو صراع بين الطبقات الاجتماعية ، سواء أكان هذا الصراع في ميادين السياسة أو الاقتصاد أو الفلسفة فهو تعبير عن الطبقات المالكة لوسائل الإنتاج والطبقات غير المالكة لها .

وقد أشار ماركس وانجلز بكل وضوح إلى أن التقسيم الفعلي للعمل ظهر عندما انقسم إلى عمل ذهني وعمل يدوي ، فهذا التقسيم كان أول مصدر لظهور الوعي وهو متحرر من الواقع ومرتبط بالأخلاق وبالنظرية وبالدين والفلسفة . وإذا كانت الماركسية تفهم الثقافة هنا كأيديولوجيا ضمن جملة ظواهر سياسية وقانونية وأخلاقية وجمالية ؛ أي ضمن ما يسمى بالبنية القومية ، فإن الثقافة ضمن هذا التقسيم للعمل ستقوم على صراع

طبقي بين جماعة تعمل وأخرى تفكر . لهذا يمكن القول بأن الثقافة مرتبطة بمرحلة تاريخية معينة وهي مرحلة التعارض بين العمل اليدوي والعمل الفكري . أي حينما وجد مجتمع اختصت فيه مجموعة من الناس تخطيط أموره السياسية والاقتصادية والثقافية ومجموعة أخرى اختصت بالإنتاج الفعلي والمادي ، وعلى هذا الأساس فإن انقسام المجتمع إلى طبقات متمايزة ومتناقضة هو الإطار الأول الذي تولدت وتبلورت فيه الثقافة[٣٣] .

ولما كانت هذه الثقافة مرتبطة بنشوء المجتمع الطبقي وبتقسيم العمل إلى يدوي وذهني فإنها تسعى دائما وأبدا إلى تكريس هذا الواقع الطبقي وجعله شيئا مرتبطا بطبيعة المجتمع يستوجب الاحترام والالتزام به فتصبح ثقافة الطبقة المسيطرة على القوى المادية ثقافة المجتمع بالدرجة الأولى وتسعى إلى إيهام الآخرين بأن ثقافتها هي ثقافة الكل من خلال إكسائها بصفة الشمولية .

إن هذا المفهوم الطبقي للثقافة القائم على انقسام العمل إلى ذهني وآخر عضلي لدى الماركسية لا يمكن تعميمه على كل المجتمعات البشرية ، كما إنه لا يمكن أن يكون مصدرا لنشوء الثقافة إلاّ بالنسبة للثقافة الطبقية وبصورة أصح مصدرا لإضفاء الصفة الطبقية للثقافة . فاعتبار للثقافة تاريخا معينا مرتبطا بنشوء الطبقات يعني أن الثقافة ظاهرة غير خالدة ، فإذا كان لها بداية فلابد أن يكون لها نهاية ولكن من البديهي أن لانهاية للثقافة مادامت ترتبط بالمجتمع الإنساني وإنما النهاية هي للثقافة الطبقية في مرحلة المجتمع اللاطبقي . ففي المجتمعات المشاعية التي لم

---

(٣٣) طيب تيزيني – مصدر سبق ذكره ، ص ٢١٨.

تعرف الطبقات بمفهوم المادية التاريخية كانت النشاطات الذهنية كموهبة الخطابة والقدرة على حسم المنازعات معايير يعتمد عليها في اختيار زعماء القبائل ، إلاّ أنهم لم يكوّنوا ثقافة منفصلة ومتميزة عن بقية أفراد التشكيلة الاجتماعية[٣٤] .

إن انتقال المجتمع إلى مرحلة العبودية جسد هذا الانقسام بين جماعات متميزة ، بين من يملك وآخر لايملك ، مما تولد عن ذلك نشوء ثقافة خاصة ، وأسلوب معين لفهم الحياة وممارستها ، بكل طبقة مع بقاء الإطار العام الثقافي لمجموع الشعب .

ولما كانت الثقافة وتطورها مرتبطة بمراحل تطور وسائل الإنتاج المادية والروحية وقواها . فمنذ انحلال المجتمع العبودي وتطور العلوم والإنتاج أصبح من الضروري للطبقات المستغلة أن تتقن بعض المعارف والخبرات الضرورية لعملية الإنتاج . ويظهر هذا الأمر بشكل جلي في المجتمعات الرأسمالية المتطورة حيث تتطلب العملية الإنتاجية التكنولوجية المعقدة امتلاك العمال والمستخدمين شتى أنواع المعارف والعلوم بما يخدم ربحية الرأسمالي والطبقات المستغلة . فالتصنيع والإنتاج الكبير دافع قوي لتعميم التعليم والثقافة للجميع بحيث يجعل التمييز بين من يفكر وبين من يعمل صعبا ، مادام أمر أداء أبسط عمل يدوي وإنتاجي يتطلب التفكير وإتقان المعرفة بخصوصه .

لذلك يمكن القول ، مما تقدم بأن انقسام العمل إلى عضلي وذهني لايمكن اعتباره مصدرا لنشوء الثقافة بل إنه أضفى عليها صفة طبقية وهو

---

(٣٤) افرام داوود شبيرا – مصدر سبق ذكره ، ص ٣٨.

تعرف الطبقات بمفهوم المادية التاريخية كانت النشاطات الذهنية كموهبة الخطابة والقدرة على حسم المنازعات معايير يعتمد عليها في اختيار زعماء القبائل ، إلاّ أنهم لم يكوّنوا ثقافة منفصلة ومتميزة عن بقية أفراد التشكيلة الاجتماعية[٣٤] .

إن انتقال المجتمع إلى مرحلة العبودية جسد هذا الانقسام بين جماعات متميزة ، بين من يملك وآخر لايملك ، مما تولد عن ذلك نشوء ثقافة خاصة ، وأسلوب معين لفهم الحياة وممارستها ، بكل طبقة مع بقاء الإطار العام الثقافي لمجموع الشعب .

ولما كانت الثقافة وتطورها مرتبطة بمراحل تطور وسائل الإنتاج المادية والروحية وقواها . فمنذ انحلال المجتمع العبودي وتطور العلوم والإنتاج أصبح من الضروري للطبقات المستغلة أن تتقن بعض المعارف والخبرات الضرورية لعملية الإنتاج . ويظهر هذا الأمر بشكل جلي في المجتمعات الرأسمالية المتطورة حيث تتطلب العملية الإنتاجية التكنولوجية المعقدة امتلاك العمال والمستخدمين شتى أنواع المعارف والعلوم بما يخدم ربحية الرأسمالي والطبقات المستغلة . فالتصنيع والإنتاج الكبير دافع قوي لتعميم التعليم والثقافة للجميع بحيث يجعل التمييز بين من يفكر وبين من يعمل صعبا ، مادام أمر أداء أبسط عمل يدوي وإنتاجي يتطلب التفكير وإتقان المعرفة بخصوصه .

لذلك يمكن القول ، مما تقدم بأن انقسام العمل إلى عضلي وذهني لايمكن اعتباره مصدرا لنشوء الثقافة بل إنه أضفى عليها صفة طبقية وهو

---

[٣٤] افرام داوود شبيرا – مصدر سبق ذكره ، ص ٣٨.

لم يخلق الثقافة بمفهومها العام بل أضاف إليها تراكمات جديدة وتجارب جديدة مرتبطة بمرحلة تطور وسائل وقوى الإنتاج المادية والروحية .

أما بالنسبة للكتّاب الغربيين ، فإن كان بعضهم يقر بانقسام الثقافة وتعددها وفقا لانقسام المجتمع إلى طبقات ، إلاّ أن مفهومهم عن الطبقة وعن الثقافة يختلف كليا عن المفهوم الماركسي . فإذا كان هذا الاتجاه الأخير يقر بأن ثقافة الطبقات المستغلة هي ثقافة ثورية تقوم على عناصر ديمقراطية ، اشتراكية ، فإن ثقافة الطبقة الدنيا بالنسبة للكتّاب الغربيين هي ثقافة منحطة ومنحرفة لاتعير أي أهمية للقواعد والقوانين السائدة في المجتمع ، وهي ثقافة ذات فرص محدودة للتطور إن لم تكن غير قابلة على ذلك . فهم يرون بان ثقافة الطبقة الدنيا هي ثقافة عقيمة مصدرها طرقات الأحياء الحقيرة . لهذا يسمونها ثقافة الشارع . وليس لهذه الثقافة أي مصلحة في المجتمع ولا في السياسة أو في المستقبل لكونها ثقافة غير سياسية بالأساس وبدون أي تأثير على النشاطات السياسية ، حتى إذا كانت ثقافة الطبقة الدنيا متكاملة في تركيب أيديولوجي، سوف يكون من الصعب قبول المنطق الذي تعتمد عليه لتنفذ تماما إلى عالم السياسة[٣٥] .

إن البنية الفكرية التي تلف آراء هؤلاء الكتّاب وغيرهم لاتسمح بتجاوز واقع المجتمع الرأسمالي والتعمق في ثقافته المهيمنة التي لاتمنح فرص التزود بالمعرفة والعلم إلاّ للأقلية الحاكمة ، وإن منحت هذه الفرص فأنها تكون محدودة وتخدم الثقافة المهيمنة وإنتاجها المادي .

---

[٣٥] المصدر نفسه ، ص ٣٩ و ٤٠.

فثقافة الطبقات الدنيا لم تنشأ بتصميم وإرادة ذاتية بل هي نتاج الثقافة الاستغلالية والربحية التي تسود مقدمة المفاهيم الرأسمالية بحيث احتوت وامتصت عناصر الديمقراطية والإنسانية لثقافة الطبقات الدنيا وجعلتها مجردة من أي فرص للتقدم والتطور . ومع هذا فثقافة هذه الطبقات تصر على البقاء والتشبث بالتقدم والتطور وفقا للعلم والمعرفة التي فرضتها العملية الإنتاجية التكنولوجية رغم ندرتها .

أما بالنسبة للعالم الاجتماعي الألماني كارل مانهايم الذي كان له أثره الكبير في كثير من السوسيولوجيين ولاسيما في حقل سوسيولوجية المعرفة والثقافة ، فهو يذهب إلى اعتبار الفن والدين والفلسفة وغيرها من العلوم الاجتماعية علوما ثقافية أو علوما ضمن حقل الثقافة . فعندما يبحث في طبيعة الثقافة الاجتماعية السياسية فإنه يتخذ من النظام السياسي والفئة القابضة على السلطة ومن يمثلونهم من النخبات المختارة معيارا لتصنيف الثقافة اجتماعيا وسياسيا . فالديمقراطية بالنسبة له ليست قدرا محتوما في السياسة فقط بل في الحياة الثقافية والفكرية أيضا ، ومشكلة الديمقراطية تتجسد في الصراع الدائر بين الأرستقراطيين والديمقراطيين مما ينعكس هذا الصراع على الثقافة وتصبح مشكلة الديمقراطية ظاهره ثقافية عامة[٣٦] .

ولما كانت الاتجاهات والمناهج والنظريات التاريخية والسوسيولوجية التي هي من ضمن حقل الثقافة تأتي دائما إلى الوجود وهي مرتبطة بصلة وثيقة بالمواقف الاجتماعية المحددة والمصالح الفكرية

---

[٣٦] المصدر نفسه ، ص ٤٠ و ٤١ .

والثقافية للجماعة أو الطبقة الاجتماعية ، ولما كانت إجراءات صنع القرار السياسي خاضعة بدرجة أقل أو أكثر للنخبات الثقافية التي تعبر عن مصالح الجماعات والطبقات المختلفة ، لذلك تحاول هذه النخبات إبراز الصفات المميزة لثقافة كل طبقة أو فئة اجتماعية أو سياسية لتلك التي تعمل لصالحها ، ضمن حقول الفن والفلسفة والدين . وإذا كانت مشكلة الديمقراطية تتمثل في الصراع بين الأرستقراطيين والديمقراطيين ، فإن هذا يحتم اشتداد الصراع والتنافس بين الثقافة الديمقراطية والثقافة الأرستقراطية فيحول دون ظهور ديمقراطية الثقافة بسبب هذا الصراع من جهة وبسبب كون الثقافة سهلة المنال فقط للنخبات من جهة أخرى واستخدامها لأغراض غير موضوعية تتنافى مع طبيعة العلم والثقافة القائمة على الموضوعية والحيادية ، لهذا فإن ارتباط الثقافة بالسياسة والمصالح الطبقية يؤدي إلى انعكاس الأزمات السياسية على الثقافية وبالتالي نكون إزاء أزمة ثقافية .

ومما يتضح أيضا إنه على الرغم من أن مانهايم يقرّ بالتناقض وعدم التجانس في ثقافة أمة من الأمم إلاّ أنه يرى في ذلك حالة غير ديمقراطية فهذه الأخيرة لاتتحقق عنده إلاّ عندما تعطي الثقافة للجميع دون أي تميز أو تورط في المصالح الطبقية والسياسية خدمة للموضوعية العلمية والثقافية ، إلاّ أن هذه الدعوة لاتعدو أن تكون إلاّ خدعة ليبرالية تحاول دمج القوى الاجتماعية والسياسية المتناقضة في لعبة الديمقراطية ولاتعدو أن تكون سوى دعوة للتعايش الطبقي ضمن ثقافة ديمقراطية في مجتمع رأسمالي قائم أساسا على تناقض طبقي حاد ، في حين أن المنطق

لايقبل بمثل هذه الدعوات لأن الثقافة لاتتخذ اتجاها موضوعيا إلاّ عندما ترتبط بطبيعة المجتمع وتناقضاته وتعبر عنها .

أسلمنا إلى القول فيما سبق بأن الثقافة ترتبط بطبيعة المجتمع وتناقضاته وتعبر عنها ، حيث أن اختلاف الواقع الاجتماعي والسياسي في بلدان العالم الثالث وتعدد تناقضاتها ينعكس بصورة مباشرة على الثقافة وتتخذ طابعا متميزا بخاصية هذه المجتمعات .

ولما كان التناقض بين الاستعمار والشعوب المستعمرة هو أكبر تناقض تاريخي عرفته القرون الأخيرة وأكبر طغيان على الوجود الإنساني ، ولم يعد هناك تناقض أكبر وأعمق من التناقض بين العالم الثالث وبين الإمبريالية ، لذلك فالثورة القومية ضد الاستعمار تصبح إذن هي الأساس لأن الاستعمار في الشعوب المستعمرة هو التحدي الأساس هو الفعل الذي لابد له من رد فعل . وكل ما يتبع ذلك من تحولات اقتصادية واجتماعية وما ينشأ عنها من صراعات هي جزء من المعركة الأساسية[٣٧] .

فالاستعمار عدوان قومي بالدرجة الأولى والتحدي له يتخذ في مختلف مناحي الحياة طابعا قوميا ثوريا ذا مضمون اجتماعي مرتبط بطبيعة النضال ضد الاستعمار فيضفي على هذا الطابع القومي طابعا طبقيا نتيجة لما أفرزه الاستعمار من شرائح اجتماعية طفيلية على المجتمع ونتيجة للتراكمات البدائية والقيود الاستغلالية المتمثلة في الإقطاع

---

[٣٧] منيف الرزاز – فلسفة الحركة القومية ، ط؟ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٧ ، ص ١٣٧.

والبرجوازية والشرائح الاستغلالية المركبة الأخرى . لذلك فالتناقض الخارجي مع الاستعمار وملازمته للتناقض الداخلي مع الإقطاع والبرجوازية يترك أثره البارز على طبيعة ثقافة هذه الشعوب التي تشكل أكثريتها الساحقة ، طبقات مسحوقة مما يدفعنا للتعامل مع شعوب مستغِلة وأخرى مستغَلة .

ولما كان الاستعمار احتلالا ثقافيا تقطع فيه صلات الشعب المستعمَر بثقافته وحضارته وتراثه يخلع من جذوره ثم لايصل إلى هذا الشعب من الثقافة الغربية إلاّ ما يصل إلى النخبة التي يحتاج إلى جهدها الاستعمار لتخدمه مشوبة بكثير من التبشير الديني والتبشير للقيم التي يقوم عليها الاستعمار ، فإن هذا يترك أثره المباشر أيضا على ثقافة هذه الشعوب ليعطيها مضمونا نضاليا وتقدميا ذات دلالات اجتماعية معينة مرتبطة بطبيعة كل قطر وبمسار تطور ثورته القومية .

هذه الطبيعة الاجتماعية المميزة للثقافة نجدها لدى معظم مثقفي حركات التحرر الوطنية في العالم الثالث وزعمائها . فبالنسبة إلى فرانز فانون تتخذ الثقافة طابعا نضاليا قوميا من كون السيطرة الاستعمارية سيطرة شاملة وكلية ولاتكتفي بأن تلغي ثقافة الشعوب المستعمَرة من الوجود بل تحمل المستعمَر على الاعتراف بتخلف ثقافته وتبنّي تلك الثقافة التي تخدم أهداف الهيمنة . ففي ظل هذه الهيمنة ، لايمكن تصور حياة ثقافية قومية أو ابتكارات وتبدلات قومية . كما وإن الكفاح في سبيل الثقافة القومية إنما هو كفاح في سبيل الحرية القومية وإن احتقار الشعب واضطهاد الأمة ومنع الثقافة شيء واحد ، لذلك فإن الثقافة القومية تولد من

خضم النضال القومي في المعارك والسجون وأمام المقصلة وفي المراكز العسكرية .

ويرى فانون ، أن الكفاح المنظم الواعي الذي يخوضه شعب من الشعوب لاسترداد سيادة الأمة هو أكمل مظهر ثقافي ممكن وليس نجاح الكفاح وحده الذي يهب للثقافة قيمة وصدقا وقوة بل إن معارك الكفاح نفسها تنمي في أثناء انطلاقها مختلف الاتجاهات الثقافية وتخلق اتجاهات ثقافية جديدة ، فالكفاح لاينمي الثقافة أثناء اندفاعه وكفاح التحرير لايرد إلى الثقافة الوطنية قيمتها القديمة وأطرها القديمة ولايمكن مادام يهدف إلى إعادة تنظيم العلاقات بين البشر ، إلاّ أن يبدل الأشكال والمضامين الثقافية للشعب . ويضيف فانون بقوله -- إن مستقبل الثقافة وغنى الثقافة القومية متوقفان أيضا على القيم التي لازمت معركة التحرير . لذلك فالثقافة تجعل من الوعي القومي أرقى شكل من أشكال الثقافة وتصبح تعبيرا صادقا عن ضمير الأمة وعن حركتها ووعيها لطبيعة المجتمع ومسار تطوره وأداة من أكثر الأدوات خطورة في عملية النضال القومي وهدفا من أسمى أهداف النضال(٣٨) .

من خلال ما تقدم . . يتضح بأن الثقافة ليست ذات طبيعة متجانسة ومتساوية نتيجة لارتباطها بتطور المجتمع البشري وتناقضاته . فالثقافة بهذه الطبيعة غير المتجانسة يمكن تصنيفها وفقا للأطر الفكرية الرئيسة

---

(٣٨) فرانتز فانون – معذبو الارض ، ط؟ ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٦ ، ص ٢٢٠.

والثانوية التي تحتويها لتعطيها مضمونا اجتماعيا وسياسيا معينـا . لـذلك يمكن فهم الثقافة بالصور الرئيسة التالية :-

١- **الثقافة القومية** :- وهي الثقافة الخاصة بكل أمة التي تميزهـا عـن غيرها من الأمم وتعد تعبيرا عن أسلوب حياتها ومراحل تطورها في مختلف مجالات الحياة ، وعلى الرغم من وجود تناقضـات وتنـوع المصالح داخل الأمة الواحدة إلاّ أنها تبدو ثانوية بالنسبة إلـى هـذه الثقافة في مرحلة سيادتها وارتباطها بالجماهير لتغدو ثقافتها وثقافـة الأمة كلها .

٢- **الثقافة الطبقية** :- وهي ثقافة تولد فـي الثقافـة القوميـة المكتملـة الجوانب وتعبر عن مجمل مصالح الطبقة المعينة . فثقافـة الطبقـة المهيمنة على زمام الأمور هي الثقافة السائدة ، واختلاف اتجاهـات وغايات الثقافات الطبقية لايعني انفصال بعضها عـن الـبعض بـل تجمعها خلفية قومية مشتركة تكمن في تلك العناصر الثقافية القوميـة والتي تعبر عنها كل طبقة وفق أسلوبها وفهمها الخاص .

وفضلا عن هذين الشكلين الرئيسين للثقافة هناك صـور أخـرى ثانوية للثقافة إلاّ أن تأثيرها في الحياة العملية في العصر الراهن لم يعد له قوة تذكر إلاّ إذا ارتبطت بالثقافة القومية أو الثقافة الطبقية وأصبحت مـن مصادرها الأساسية ومن هذه الثقافات الثقافة الإنسانية والثقافـة العرقيـة والثقافة الدينية وغيرها .

غير أن وضع الثقافة ضمن هذه الأطر ليس المقصود منه عـزل بعضها عن بعضها الآخر أو أن لكل منها خصوصيتها المغلقة الضيقة بل

الغرض من ذلك هو تحديد الرئيسي والثانوي ، العام والخاص ، وبيان تأثير كل واحد منهم في الآخر والتفاعل والترابط الجدلي الذي يفعل فعله في كل ثقافة عبر التطور التاريخي للمجتمع ، فقد يبدو الرئيسي في مرحلة معينة ثانوي والثانوي رئيسي في مرحلة أخرى وفقا لظروف ومراحل تطور المجتمع . فمن خلال هذا التفاعل بين الرئيسي والثانوي ، بين العام والخاص ، ومن خلال وضع الثقافة في إطارها الاجتماعي المحدد يمكن تحديد دور المثقف في المجتمع وبيان اتجاهه وتفسيراته حول المجتمع والتحولات الاجتماعية . فمن خلال هذه الأطر ومن خلال طبيعة الثقافة يتحدد نشاط المثقف وغاياته ومن خلال النشاط الفكري المقرون بالممارسة يتحدد اتجاهه في التغيير أو التكوين .

الثقافة في الإطار الديني

يمثل الدين ثقافة كاملة لشعب أو أمة أو حضارة ليس في كونه مجموعة نصوص وتعاليم وقيم فحسب ، بل هو كيان مجسد اجتماعيا ومبلور بالممارسة في أنماط وتقاليد وأفعال ، أي من حيث صيرورته نظاما من الممارسات فضلا عن كونه نظاما من التصورات بغض النظر عن طريقة أستيعابه وطرق التعبير عنه من طرف المؤمنين به .

الدين ثقافة كاملة ، فهو يعبر عن رؤية للعالم ، للطبيعة والوجود والانسان ، وهو كذلك أيضا لأنه يقدم تصورا لبناء الاجتماع الانساني على نحو يغطي أحيانا أدق تفاصيل هذا الاجتماع أقتصادا وسياسة وأخلاقا وأحوالا شخصية . ليس يهم أن سعت العقيدة الدينية الى بناء أمة روحية – شأن المسيحية – أو الى بناء أمة أجتماعية وروحية – شأن الأسلام ، بل

الأهم انها قامت على تعاليم رسمت للمنتسبين اليها تخوم الجائز وتخوم الممنوع ، وقذفت في روعهم الجمعي مبادئ تحولت الى قواعد صارمة للفكر والسلوك ، وأفكارا تحولت الى عقائد راسخة لا تقبل المراجعة في جانبها اللاهوتي ، حتى وإن كانت تقبل بعض التغيير في الجوانب المتصلة بميدان الاجتماع المدني[٣٩] .

ينطلق الدين إذنْ من قبول نماذج روحانية محددة لينتقل مباشرة بعدها الى فرض نماذج اخلاقية وقيمية محددة ، فيصبح بذلك شبكة متكاملة من النماذج الفكرية والمسلكية تؤطر حياة من ينضوي تحت لوائه . الدين هنا يمثل ثقافة بوصفه نمطا من المعرفة بالوجود الطبيعي والاجتماعي ؛ وهو بذلك يختلف عن سواه من أنماط المعرفة كالعلم والفلسفة والأسطورة وسواها ، فله مسلماته التي لا يقوم الايمان بغير الاقرار بها ، وله طريقته الخاصة في بناء أحكامه ، وهي لا تفهم بغير ربطها بنمط الاستدلال فيه . أنه يفرض على مؤمنيه الذين يعتبرهم رعية سلسلة من المعتقدات ذات الطابع الروحاني ، يفترض بها أن تؤدي دور الموجه بالنسبة الى أعمال الفرد في الأطار الإجتماعي والإنساني . أنه ينطلق من فرضيات مسبقة هي فرضيات الايمان ، وعلى من يقبل بها ان يعمد الى تبني سلسلة من الفرائض تقيد مسلكه الاجتماعي ، أنه ثقافة بوصفه نمطا مغلقا من القيم والعادات والطقوس والشعائر ، أي طريقة ثابتة الملامح في ممارسة الحياة وفي بناء الاجتماع واعادة إنتاجه . وهو يمثل في الحالتين بنية عقلية كاملة للمجتمع بالمعنى الانثروبولوجي الكامل للكلمة ، أي نمطا من التفكير

---

[٣٩] عبد الغني عماد - مصدر سبق ذكره ، ص ١٣٨.

والسلوك يكتسب منطقا ذاتيا خاصا يمتنع فهمه أو تعديله بمعزل عن شبكة المعاني والدلالات الخاصة به[٤٠] .

وبقدر ما يقوم الدين بتشكيل الثقافة وتعبئتها يقوم أيضا بشحنها بالرموز والمضامين والقيم ، بل يسهم في تشكيل حقلها الخاص داخل الاجتماع المدني ، الذي ليس بالضرورة ان يكون دينيا خالصا بل هو في الواقع الموضوعي يتكون بالتفاعل مع الحقل الاجتماعي بما يحمله من ضغوط وتحديات واستجابات تقضي الى تعبئة المخيال الاجتماعي برموز وقيم وعادات وتقاليد من شأن استثمارها في الحقل الثقافي ان يعيد التوازن الى الذات ويشحنها بالتالي على الأداء الأفضل والأمثل . وهذا يفسر كيف يلعب الدين دورا محوريا في الأزمات الكبرى ، وكيف يجري استدعاؤه والاحتماء بنماذجه في التحديات التي تهدد التوازن الشخصي أو الاجتماعي ، في هذه الحالة يمثل الدين طاقة تعبوية هائلة لشحن العقل الثقافي ، وهو يمتلك نماذج لها قدرة استنهاضية فعالة في مجال الصراعات وفي توفير المناعة والصمود والصبر[٤١] .

إذَنْ ثمة حالتان يمثل الدين في الأولى نسقا كاملا يمد المؤمنين بأنماط متكاملة في ما يتعلق بالقيم وأدراك الوجود ، ويمثل في الثانية عنصرا فاعلا وقدرة دينامية داخل نسق اشمل يتمثل في الاجتماع المدني بأبعاده السياسية والوطنية والقومية والانسانية . وأدراك الفارق بين الحالتين لا يعني ان هناك أنقطاعا بينهما أو أنفصالا منهجيا في آلية

---

[٤٠] المصدر نفسه ، ص ١٣٨ و ١٣٩ .

[٤١] المصدر نفسه ، ص ١٣٩.

اشتغالهما ، لكن يعني ان فهم المجال الحقلي لكل منها ضـــروري لأدراك حركة الثقافة وديناميتها موضوعيا . ففي الحالة الأولى نحتاج الى تحليـــل معرفي ديني ، فيما نحتاج في الحالة الثانية لفهم الواقع تحليلا سوســـيو – ثقافيا يكشف آليات اشتغال الثقافة الدينية في البنية الاجتماعية واســـتثمارها بالتالي للحقل الديني في عملية بناء الثقافة وحركتهـــا والأفعـــال الناتجـــة عنها[٤٢] .

ما يتعلق بالباحثين الغربيين فان بعضهم يرى علاقة الثقافة بالدين بالشكل الآتي :- إن الثقافة ليست إلاّ تجسيما للدين ، وإنها عنـــد بعضـــهم الآخر أشمل من الدين ، وهنا يجب أن نلاحظ أن الفكر الغربي عامة ينظر إلى الدين على أنه قضية ميتافيزيقية تخص الفلسفة ، كما يعد الدين ظاهرة اجتماعية ويعالجه كما يعالج أي ظاهرة أخـــرى مـــن ظـــواهر المجتمـــع ومؤسساته ، ولايرى مانعا إن لم يجد ذلك ضروريا من إخضاع الدين من حيث كونه قضية فلسفية للمفاهيم الفكرية الجديـــدة الناشـــئة مـــن تطـــور الدراسات الفلسفية غير آبه لما ينجم عن ذلك من انهيار العقيدة ودمار القيم وضعف سلطان الوازع الديني على النفوس وأوضاع الحياة . كما يحرص هذا الفكر الغربي نفسه على أن يفصل الدين عن المجتمع وما يتصل به من نظم وأوضاع ويحصره بالأمور الروحية فحسب ، وعلى هذا فإن تفســـير الباحثين الغربيين للثقافة وتحديد علاقتها بالمجتمع من حيث كونه عنصرا من عناصر تراثه أو عاملا من عوامل التغيير فيه ، لايضع الدين حيـــث يجب أن يكون من حياة الإنسان باعتباره السلطان النازع الـــوازع الـــذي

---

[٤٢] المصدر نفسه ، ص ١٣٩.

يضمن تماسك المجتمع واستقرار نظامه والتئام أسباب الراحة والطمأنينة فيه ، ويكون خير ضمان لقيام التعامل بين الناس على قواعد العدالة والتعاون المثمر الخير ، ولاينظر هذا الفكر الغربي – الذي – سيطرت عليه المادية – إلى الدين من زاوية حقيقته الأصيلة التي تقرر أنه فطرة إنسانية كما إنه ضرورة اجتماعية ، فهو الذي يؤكد الأيمان بقيمة الفضيلة وكرامة الإنسانية ، وليست تداني سلطانه على النفس أي سلطة أو قوة أو نظام[٤٣] .

ومن هنا نجد الثقافة الإسلامية ترتبط ارتباطا وثيقا بالدين القيّم ، ذلك أن الثقافة الحقة هي تلك التي تعبر تعبيرا حيا عن القيم الأساسية التي تعطي المجتمع ملامحه الصحيحة وتضبط حركته السديدة وترسم له وجهته الرشيدة ، فإذا انعزلت الثقافة عن القيم ووقع الفصل التام بينهما فإن نتائج ذلك إنما تنعكس على الثقافة والقيم والمجتمع معا ، فلا مناص للثقافة بسبب ذلك من الضمور ، وللقيم من الخمود ، وللمجتمع من الانحطاط ، إذ لايتصور أن تنمو الثقافة من غير رفد يغذوها أو تحيا القيم إذا لم تجد مجالها في التطبيق والواقع ، أما المجتمع فلابد أن تتفاقم مشكلاته وتشتد أزماته ويصبح عاجزا عن التحرك السجدي والإنتاج المثمر حتى تفترسه العلل وتعصف به الإحداث ويمزقه الضياع[٤٤] .

---

[٤٣] سعد محمد الشيخ المرصفي – مصدر سبق ذكره.

[٤٤] المصدر نفسه.

الثقافة في الإطار الإسلامي

الثقافة الإسلامية علم يبحث مقومات الأمة الإسلامية العامة المتعلقة بماضيها وحاضرها التي تتكون من الدين الإسلامي واللغة العربية والتاريخ والتراث والأرض والحكم ، والحضارة وأنماط السلوك ، وأساليب الحياة المشتركة والمتنوعة . وبالمعنى الخاص إنها علم يبحث في مقومات الدين الإسلامي وآثار تلك المقومات في الماضي والحاضر ، والمصادر التي استقيت منها هذه المقومات بصورة إجمالية مركزة . وبالمعنى العام إنها علم يبحث في المتغيرات والمستجدات ، والشبهات الماضية والحاضرة التي تتعلق بمقومات الأمة الإسلامية عامة ، أو مقومات الدين الإسلامي خاصة بصورة مقنعة موجهة[٤٥] .

مما لاشك فيه أن الثقافة الإسلامية شهدت نهضة مجيدة وعهدا من الازدهار ، وكان لها من القوة ما يلهم الرجال جلائل الأعمال وأنواع التضحية . ولقد غيرت معالم الشعوب وخلقت دولا جديدة ثم سكنت وركدت وأصبحت كلمة جوفاء ، وها نحن اليوم نشهد انحطاطها التام وانحلالها ، ولكن هل هذا كل ما في الأمر؟

إذا كنا نعتقد أن الإسلام ليس مدنية من المدنيات الأُخر وليس نتاجا بسيطا لآراء البشر وجهودهم بل هو شرع سنة الله لتعمل به الشعوب في كل زمان ومكان فإن الموقف يتبدل تماما .

---

[٤٥] المصدر نفسه.

وإذا كانت الثقافة الإسلامية في اعتقادنا نتيجة لأتباعنا شرعا مُنزلا ، فإننا حينئذ لانستطيع أبدا أن نقول – إنها كسائر الثقافات خاضعة لمرور الزمن ومقيدة بقوانين الحياة العضوية .

ثم إن ما يظهر انحلالا ليس إلاّ موتا وخلاء يحلان في قلوبنا التي بلغ من خمولها وكسلها أنها لاتستمع إلى الصوت الأزلي ، ثم ليس ثمة علامة ظاهرة تدل على أن الإنسانية مع نموها الحاضر قد استطاعت أن تشب عن الإسلام ، إنها لم تستطع أن تبني فكرة الإخاء الإنساني على أساس عملي ، كما استطاع الإسلام أن يفعل حينما أتى بفكرة القومية العليا – الأمة –[٤٦] .

إنها لم تستطع أن تشيد صرحا اجتماعيا يتضاءل التصادم والاحتكاك بين أهله فعلا على مثال ما تم في النظام الاجتماعي الإسلامي ، وإنها لم تستطع أن ترفع قدر الإنسان ولا أن تزيد في شعوره بالأمن ولا في رجائه الروحي وسعادته ، ففي جميع هذهِ الأمور نرى الجنس البشري في كل ما وصل إليه مقصرا كثيرا عما تضمنه المنهج الإسلامي ، فأين ما يبرر القول بان الإسلام قد ذهبت أيامه ؟

أذلك لأن أسسه دينية خاصة والاتجاه الديني زيٌّ غير شائع اليوم ؟ ولكن إذا رأينا نظاما بُني على الدين قد استطاع أن يقدم منهاجا عمليا للحياة أتم وأمتن وأصلح للمزاج النفسي في الإنسان من كل شيء آخر يمكن العقل البشري أن يأتي به عن طريق الإصلاح والاقتراح ، أفلا يكون هذا في نفسه حجة بالغة في ميدان الاستشراف الديني ؟

---

[٤٦] المصدر نفسه.

لقد تأيد الإسلام بما وصل إليه الإنسان من أنواع الإنتاج الإنساني ، لأن الإسلام كشف عنها وأشار إليها على أنها مستحبة قبل أن يصل إليها الناس بزمن طويل ، ولقد تأيد أيضا على السواء بما وقع في أثناء التطور الإنساني من قصور وإخفاء وعثرات لأنه كان قد رفع الصوت عاليا واضحا بالتحذير منها من قبل أن تتحقق البشرية أن هذه أخطاء .

وإذا صرفنا النظر عن الاعتقاد الديني نجد من وجهة نظر عقلية محض كل تشويق إلى أن نتبع الهدى الإسلامي بصورة علمية وبثقة تامة ، ونحن لانحتاج إلى فرض إصلاح على الإسلام – كما يظن بعض المسلمين – لأن الإسلام كامل بنفسه من قبل ، أما الذي نحتاج إليه فعلا فهو أصلاح موقفنا من الدين بمعالجة كسلنا وغرورنا وقصر نظرنا ، وبكلمة واحدة ، معالجة مساوئنا .

إن الإسلام كمؤسسة روحية واجتماعية غني عن التحسين وإن كل تغيير في مثل هذه الحال يطرأ على مدركاته وعلى تنظيمه الاجتماعي باقتثات من ثقافة أجنبية ولو بإشراق ضئيل سيكون مدعاة إلى الأسف الشديد وسترجع الخسارة حتما علينا نحن[٤٧] .

إن الخسارة لن ترجع علينا وحدنا – مع فداحة الأمر – ولكنها سترجع على البشرية كلها ، بتشويه وتحريف المصدر الوحيد الفريد الباقي من هداية الله ، وتكدير أو تسميم المورد الوحيد الذي يمكن أن تستقي منه البشرية الهدى الرباني الخالص .

---

[٤٧] المصدر نفسه.

وسترجع على البشرية كلها بحرمانها هذه المثابة المستقرة في الأرض المرجوجة التي تمور بالأهواء والتي ظهر فيها الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ، ولم تعد لها منجاةٌ إلاّ في هذه المثابة الثابتة الآمنة المستقرة ، الموصولة بالله .

الحضارة في اللغة والاصطلاح

أصل المعنى اللغوي لكلمة حضارة – الإقامة في الحضر[٤٨] . وهي مفهوم واضح مقابل البداوة ، وحياة الحضر هي حياة الإنسان الذي يستعمل فكره وقدراته لترقية ذاته وأمور حياته وترقية البيئة التي يعيش فيها ولايمكن تعريفها بأحسن من ذكر مظاهرها .

ويمكن أن نقول حضارة أو تحضر بالمعنى المتقدم ، وان نقول مدنية أو تمدن بمعنى الحياة في مدينة يشيدها الإنسان ويهيئ فيها لنفسه مظاهر التحضر . واللفظ الأوربي الذي يقابل لفظ مدنية مشتق أيضا من اللفظ الذي تسمى به المدينة[٤٩] .

وإذا كان بعض المحدثين يعرف الحضارة بمعناها الواسع كما فعل الأنثروبولوجي الإنكليزي تيلور بأنها ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والاعتقاد والفن والأخلاق والقوانين والأعراف وكل القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع ، فإن أبن خلدون قبل ذلك يذكر عبارة الاجتماع الإنساني ويقول – إنه عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات

---

[٤٨] أبن منظور – لسان العرب ، مادة (حضر).

[٤٩] سعد محمد الشيخ المرصفي – مصدر سبق ذكره.

وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث من ذلك في العمران بطبيعته من الأحوال .

فهي بمعناها العام ، ثمرة التفاعل بين الإنسان والكون والحياة ، أي ثمرة الجهود المبذولة من قبل الفكر الإنساني للاستفادة من الأجهزة الكونية المتناثرة حولنا ، وهي الجانب الآخر غير المادي في حياة المجتمع ، وهي العلم والتصورات والأفكار والسلوك والآداب وكل المعاني التي تدخل في الجانب المادي .

وقد عرفها بعضهم بأنها نمط من الحياة المستقرة ينشئ القرى والأمصار ويضفي على حياة أصحابه فنونا منتظمة من العيش والعمل والاجتماع والعلم والصناعة وإدارة شؤون الحكم وترتيب وسائل الراحة وأسباب الرفاهية ، وهذا تعريف للحضارة وآثارها العامة وليس تعريفا دقيقا يحدد معناها .

ومن العلماء من عرفها بأنها كل ما ينشئه الإنسان في كل ما يتصل بمختلف جوانب نشاطه ومعانيه ، عقلا وخلقا ، الفكري والمادي ، أو باصطلاح آخر: الروحي والمادي .

وبعض الباحثين يرى أن الحضارة الحقة هي التي تطلب إلى الإنسان في مظاهر الحياة كافة أن يتذكر الله ، ويتذكر فطرته هو بحيث يستطيع أداء دور خليفة الله ، وهو الدور الذي وجد فيه على هذه الأرض ، وربما كان معناها العام أيضا طريقة الإنسان في الحياة أو مجموعة أفكاره

عنها ، وأعني بالحياة الأعمال اليومية التي يمارسها الإنسان في معيشته ، ففكرته عنها ونظرته إليها يكيف سلوكه فيها ويحدد طريقة تصرفه في أعماله .

الحضارة ، يمكن القول :- فكرة وتعبير وتأمل في المعلوم والمجهول وهي تحقيق للذات ومعنى للحياة وجواب عن سؤال متجدد أبدا - ما الحياة وما السر في أن نحيا ؟ الحضارة صوت الصمت المعبر الناطق فيما يتركه الإنسان المتحضر من آثار صامتة ناطقة ، والإنسان يفكر في ذاته ويقلق على نفسه ويسأل عن معنى حياته وموته . فالتأمل والاتجاه إلى الذات ووعي الذات هو فلسفة ، لذلك لايمكن الفصل بين الفلسفة والحضارة ، فبمجرد ما يحاول المرء أن يكتشف عن السمات المميزة للحضارة يكون قد عرف الفلسفة ذاتها ، ولايكفي أن نقول بدون الفلسفة لايمكن أن تقوم حضارة بل علينا أن نضيف أن الحضارات تختلف فيما بينها بسبب منظوراتها الفلسفية ، فالشعور بالتعجب والرغبة في الإطلاع والخروج عن الذات المعبر عنها بالفن والشعر والأدب والبناء هي فلسفة . ففي الفلسفة نتلمس عدم اليقين بالذات وعدم الوصول إلى معرفة قاطعة وهذه القيمة للفلسفة ذات جدوى حضارية . فالفلسفة إذا كانت عاجزة أن تهدينا على وجه اليقين الكامل إلى الجواب الصحيح ، فإننا نقترب بالتعبير من الجواب الصحيح . فالحضارة اقتراب ومحاولة اقتراب ومعرفة الكون والوجود وسر الحياة . لذا يمكن القول أن الفلسفة أم الحضارات ، بل إن الحضارة فلسفة ولا حضارة بدون فلسفة ، بدون

رؤية . وتعدد الرؤى مساهمة إنسانية مشتركة لإعطاء معنى وصور للحياة والعالم ، وفي ذلك إغناء للإنسان والإنسانية[٥٠] .

الحضارة من كل ما تقدم ، هي العطاء الكلي لإنجاز المجتمع المتمثل في الجانب المعنوي الذي يمثل القيم والأهداف والعادات والتقاليد فضلا عن الحصيلة الفكرية من أدب وعلم وفن وفلسفة ودين وغير ذلك ، وفي الجانب المادي الذي يمثل الأدوات ووسائل العمل والأبنية والهياكل والجسور والقنوات والسدود وغير ذلك . وليست الحضارة ساكنة لاتتغير بل إن أبرز صفة في الحضارة المستمرة هي الاتصال بحضارات أخرى سواء كان الاتصال بالطرق السلمية عن طريق النقل والتفاعل والاحتكاك أو بالطرق الحربية عن طريق الغزو والاستيطان .

إن مقياس تقدم الحضارة هو قدرتها على الإنجاز والابتكار والأصالة والعطاء وتأثيرها المستمر على الحضارات الأخرى ، وإن مقياس قوة الحضارة وشدة زخمها هو قدرتها على تمثيل الحضارات أو الثقافات الداخلة فيها سواء كانت وسيلة الدخول فيها عن طريق احتضانها بالحرب أو بالسلم .

ولابد لنا أن نميز كذلك بين أنواع الحضارات ، بين حضارة اندثرت ولم يبق منها غير الآثار والأطلال وبعض الأدوات والأسلحة مع بعض النصوص الكتابية التي تشهد على الثقافة فيها ، وبين حضارة انقطع تأثيرها من الزمن ثم ما لبثت أن عادت إلى الحياة من جديد ، وبين

---

(٥٠) منذر الشاوي – الحضارة موقف وحوار ، جريدة القادسية (بغداد) ، العدد الصادر يوم ٢٤ / ١٢ / ١٩٩٦.

حضارة مستمرة لم تنقطع بل أصابها الجمود في بعض مراحل التاريخ ثم استعادت نشاطها من جديد في الأخذ والعطاء . فالحضارة البابلية والسومرية من الأمثلة على النوع الأول ، والحضارة اليونانية بالنسبة لأوربا والحضارة العبرية من الأمثلة على النوع الثاني ، والحضارة العربية الإسلامية من الأمثلة على النوع الثالث .

وإذا استمرت الحضارة بالنمو والتطور من دون أن يصيبها التدهور وتحل فيها عوامل الانهيار فإنها تميل من دون أدنى شك إلى أن تصبح مدنية ، وذلك نتيجة تعقد الحياة وتطور الأساس الاقتصادي واستحداث أدوات إنتاجية جديدة ، ونشاط الحركة التجارية وظهور المدن الكبيرة .

ومن المفيد أن نشير إلى كلمة المدنية التي هي البناء العام لإنجاز المجتمع بعد اجتيازه سلسلة من التطورات الاجتماعية والاقتصادية والصناعية والسياسية حيث تتميز بتطور صناعي وتكنولوجي وعلاقات إنتاجية جديدة قائمة على أساس طبقي وذات نظام سياسي يقوم على المركزية والسلطة وتوزيع العمل والمسؤولية والتخصص .

إن أساس الاختلاف بين الحضارة والمدنية هو سيادة الوحدة في الروابط والمشاعر والتجاذب الروحي بين أفراد المجتمع وسيادة التقنيات والعلم والصناعة والمركزية والسلطة في المجتمع المدني مع ضعف واضح في الروابط والمشاعر والروح العامة نتيجة لاهتمامات الفرد بالعوامل المادية ، ولكن ذلك لايعني مطلقا أن المجتمعات المدنية خالية من الحضارة والمظاهر الحضارية . فالمدنية تحتفظ بمظاهر حضارية متعددة ، وإن شيوع ظاهرة التحضر والتحولات السريعة في حياة الفرد

والمجتمع قد خلق أنماطا جديدة من السلوك والقيم والمواقف والعادات ، كما أضافت الإبداعات الفنية والأدبية والاتجاهات الفلسفية والحركات الدينية والثورية اشكالات جديدة من الثقافات ، كما أدت اكتشافات الإنسان لحقائق الكون والإنسان ، واستحداث الأجهزة العلمية المعقدة وزيادة المعرفة بكثير من القوانين ذات الصلة بالظواهر الطبيعية والحياتية إلى نشوء نظرة جديدة شاملة للكون اعتمدت نتائج العلوم والخيال العلمي والفلسفي مع طموح الإنسان إلى فهم مصيره ومصير الكون . فإذا بشكل جديد من أشكال الحضارة امتداد لحضارات سابقة من جهة ومظهر جديد متداخل في البناء العام للمدنية من جهة أخرى أتسم بخصائص العصر الآلية وصفات الحياة الاجتماعية الجديدة .

نستنتج مما تقدم عدة حقائق قائمة على ضرورة التمييز بين الثقافة والحضارة المدنية منها :- إن الثقافة تمثل الجانب الفكري ، العلمي والإنساني ، وإن درجة اختلافها وتنوعها مرتبطة بالتطور الحضاري وتقدم الحضارة وقوتها ، وإن الحضارة لاتقتصر على الجوانب الفكرية فحسب بل تتجاوز ذلك إلى جميع الأوجه التي تعبر عن حيوية الإنسان في تحويل معتقداته وأفكاره ومواقفه من الكون والإنسان والمجتمع إلى ممارسات عملية يشترك فيها أفراد المجتمع فتخلق عندهم مواقف موحدة وشعورا مشتركا وتجاذبا روحيا ، وإن المدنية لاتخلو من مظاهر حضارية بل تشير إلى نمط حضاري جديد تسود فيه قيم وأهداف المجتمع الآلي وما يرتبط بالتقدم التكنولوجي من تغييرات سريعة في حياة الإنسان تدفعه من جديد إلى البحث عن ذاته وعن مصيره ومصير غيره والإنسانية والكون .

نرى من كل ما تقدم . . . أن معنى الحضارة قائم عند المفكـرين لكنهم يختلفون في توسيع معناه أو في ضيقه ، وبعبارة أخرى هو غائم عند بعضهم غير محدد ، فمنهم من جعله يشمل الأفكار والعقائد وما ينتج عنها من نتائج مادية .

الحضارة والمدنية

لمزيد من تحديد معنى الحضارة يجب الوقوف عند بعض المفاهيم التي تقترب منها وتتداخل معها ، وأولها مفهوم المدنية ، وعلى تحديـدها يمكن أن نقترب أكثر من إدراك فكرة الحضارة . وإذا كانت اللغة تعبيـرا عن واقع وأحاسيس وتصورات إنسانية فإنها يمكن أن تسعف فـي تحديـد معني بعض المصطلحات أو المفاهيم . إلاّ أنها في بعض الأحيان لاتسعف إذا كانت المفاهيم حديثة العهد فيتوجب عندها تحديد المعنى الاصـطلاحي لهذه المفاهيم . ومن هذا المنطلق نقول إن لكل شعب بل لكل إنسان طريقة في الحياة أي طريقة في العيش ، فعلاقة الإنسان بالإنسان وعلاقة الإنسان بالأشياء تفرض عليه أن يحدد موقفا أو سلوكا من هذا وذاك وبالتـالي أن يحدد أسلوبه في الحياة ولكن هل الأسلوب في الحياة أي طريقة الحيـاة ، هي حضارة ؟

إن الحضارة لاتبدأ إلاّ حين يحدد الإنسان موقفا من الكون والحياة والمنشأ والمصير وبالتالي يعبر عن هذا الموقف بشتي أنواع التعابير ، إلاّ أن العيش في المدينة يفرض على الإنسان أسلوبا معينا في الحيـاة ، وقـد يكون لهذا الأسلوب تأثير في تحديد موقفه من العالم والحياة والكون ، فتنشأ حضارة المدنية . ومن هنا نشأت الكلمة الأجنبية Civilisation التي تجـد

في اللغة العربية من حَضر . أما المدنية فهي من مَدن ، أي أتى إلى المدينة وأقام فيها ونخلق بأخلاق المدن وعوائد أهلها . لذلك فليس هناك ارتباط أساس بين الحضارة والمدنية بحيث أن الحضارة بالمعنى الذي حددناه يمكن أن تكون في البداوة وبالتالي يمكن أن تكون هناك حضارة بدوية ، كذلك يجب الوقوف عند كلمة أو مصطلح الثقافة .

وأساس الثقافة هو التعلم لكن قد يكون الإنسان متعلما إلاّ أنه غير مثقف ، فالثقافة هي وعي الإبداع الإنساني في شتى المجالات . فالثقافة وإن كان أساسها التعليم فإن كل متَعلم ليس مثقفا إلاّ أن كل مثقف هو متعلم على الأقل في الحضارات الحديثة . لكن السؤال الذي يطرح هو هل إن الثقافة والسلوك متلازمان ؟

إن الأمر يجب أن يكون كذلك طالما أن الثقافة هي إدراك الجميل والمبدع ، فالثقافة رؤية في الداخل وفي الخارج ومحاكاة النفس الدائمة في انسجامها مع الذات والذوات الأخر . وإذا كانت الحضارة موقف الإنسان من الحياة والكون وهي إضفاء شكل على المفردات الحياتية وأسلوب ورؤية ، فالإنسان يسهم إذن في بناء الحضارة ومدى إسهامه يتوقف على مدى وعيه وثقافته . بهذا المعنى تكون الحضارة عملا أو إنجازا جماعيا أسهمت النخبة في بنائها من دون شك . فالحضارة منجز مادي ومعنوي والإنسان المثقف يعي ويسهم في الحضارة بحيث أن من ينتمي إلى حضارة يجب أن يدرك قيمها وأبعادها .

بناء عليه ، يمكن القول أن قطبي أو طرفي المعادلة الإنسانية هما المدنية والحضارة وبينهما تقع الثقافة . فالمدنية تتعلق بالسلوك والتصرف في المدينة وقد يكون المتمدن هو المثقف الواعي لذاته وذات الآخرين ، إلاّ أن المتحضر هو الواعي لقيم وأسلوب التصرف والتفكير التي تفرضها رؤية معينة للحياة ، بناء عليه قد يبقى الإنسان متمدنا من دون أن يكون مثقفا ، وقد يكون متمدنا ومثقفا من دون أن يكون متحضرا . فالمدنية هي غير الحضارة والحضارة هي غير المدنية . فالحضارة يمكن أن تكون حضارة غير مدنية كما يمكن أن تكون حضارة مدنية وهي في الأغلب كذلك . وبالنظر للتقدم المادي والتقني في الأزمنة المعاصرة ، فأنه من الضروري التركيز بل الإلحاح على التمييز بين المدنية والحضارة . وإذا كانت الحضارة تمثل الأفكار والمفاهيم التي يحملها الإنسان عنه وعن الكون والحياة التي تبنى عليها حياته في كل مجالاتها ، فهذا يعني أن الحضارة هي ما نحن ، أما المدنية فهي ما نستعمل ، لذا يمكن القول أن المدنية هي ذات طبيعة عقلية عامة لاتحدد بصفة محلية بل تعبر المكان والزمان .

بناء عليه فإن الثورة التقنية هي من المدينة وليست من الحضارة ما لم تتوفر في المدنية متطلبات الحضارة . والحضارة تدرك بأثرها ، فهي عمل جماعي وأثرها نتيجة لهذا العمل الجماعي الذي يكون للنخبة الفكرية الدور الأساس فيه . ولذلك فإن الحضارة لاتنسب إلى فرد ، وإن ما ينسب إلى الفرد هو المدنية ، فالحضارة بناء إنساني لاصفة لإنسان . صحيح أن الحضارة انعكاس لتصورات ومعتقدات وإرهاصات شعب أو أمة لكن من يعبر عن كل ذلك هم نخبة الأفراد وهم بناة الحضارة .

النطاق اللغوي لدلالة الثقافة والحضارة

يعمد بعض الباحثين إلى إيجاد فواصل بين مدلول كلمتي ثقافة وحضارة بحيث يجعل الأولى خاصة بالأمور المعنوية والثانية بالأمور المادية . وقد يكون لهذا ما يبرره من حيث اللغة ، غير أن الإلحاح على مثل هذه الفواصل في مدلول كل من الكلمتين إنما يعود من حيث الأصل إلى ما يحيط بهما من لبس وغموض في النطاق اللغوي ، وجاءت الاستعمالات الدارجة لهما عاملا يزيد في هذه التفرقة ويعمق هذه الفواصل .

وإذا كانت الثقافة بوجه عام هي العلوم والمعارف والفنون التي يُطلب الحذق بها – كما أسلفنا – فإن العلوم تكثر كما يقول ابن خلدون ، حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة ، والسبب في ذلك أن تعليم العلم من جملة الصنائع والصنائع إنما تكثر في الأمصار ، وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلة والحضارة والترف تكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة ، لأنه أمر زائد على المعاش ، فمتى فضلت أعمال أهل العمران عن معاشهم انصرفت إلى ما وراء المعاش من التصرف في خاصية الإنسان وهي العلوم والصنائع ، ومن تشوف بفطرته إلى العلم مما نشأ في القرى والأمصار غير المتمدنة فلايجد فيها التعليم الذي هو صناعي لفقدان الصنائع في أهل البدو ، ولابد له من الرحلة في طلبه إلى الأمصار المستبجرة شأن الصنائع كلها .

وإذا كانت الحضارة تطلق الآن اصطلاحا على كل ما ينشئه الإنسان في كل ما يتصل بمختلف جوانبه ونواحيه ، عقلا وخلقا ، مادةً وروحا ، دينا ودنيا ، فهي في إطلاقها وعمومها قصة الإنسان في كل ما

أنجزه على اختلاف العصور وتقلب الأزمان وما صورت به علائقه بالكون وما وراءه – وهي في تخصيصها بجماعة عن الجماعات أو أمة من الأمم – تراث هذه الأمة أو الجماعة على وجه الخصوص الذي يميزها عن غيرها من الجماعات والأمم . وهي بهذا المعنى الاصطلاحي نظير المدنية التي هي في أصل الاستعمال سكنى المدن والتي تقابل الكلمة الإنكليزية Civilization والفرنسية Civilisation . والحضارة بهذا المعنى أعم من الثقافة التي تطلق على الجانب الروحي أو الفكري من الحضارة في حين تشمل الحضارة الجانبين – الروحي والمادي ، أو الفكري والصناعي ، وكأنما لوحظ فيها أن النشاط البشري في مختلف جوانبه ومواهبه يكون في أرقى حالاته في الحواضر والمدن .

ولقد أسقط كثير من الباحثين من ناحية أخرى هذا الخط النظري الفاصل بين الحضارة والثقافة في معرض الكلام عن إحداهما من حيث الدراسة التطبيقية الهادفة لا الدراسة النظرية في المصطلحات ، وقد جاءت هذه الأوصاف التي أطلقت على الحضارة لديهم صالحة لأن تطلق كذلك على الثقافة .

وفي ضوء الربط الوثيق بين الثقافة والحضارة يقول مالك بن نبي :– . . . فالثقافة إذن تتعرف بصورة عملية على أنها مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يلقاها الفرد منذ ولادته كرأسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه والثقافة على هذا هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته[٥١] .

---

[٥١] مالك بني نبي – شروط النهضة ، ترجمة – كامل مسقاي وعبد الصبور شاهين ، ط ؟ ، دار الفكر ، دمشق ، ٢٠٠٠.

وهذا التعريف الشامل للثقافة هو الذي يحدد مفهومها ، فهو المحيط الذي يعكس حضارة معينة والذي يتحرك في نطاقه الإنسان المتحضر . وهكذا نرى أن هذا التعريف يضم بين دفتيه فلسفة الإنسان وفلسفة الجماعة ، أي معطيات الإنسان ومعطيات المجتمع مع أخذنا في الاعتبار ضرورة انسجام هذه المعطيات في كيان واحد ، تُحدِثه عملية التركيب التي تجريها الشرارة الروحية عندما يؤذِّن فجر إحدى الحضارات ، ولكن لاسبيل لعودة الثقافة إلى وظيفتها الحضارية إلاّ بعد تنظيف الموضوع من الحشو أو الانحراف الذي أحدثه عدم فهمنا لمفهوم ثقافة .

والحضارة الإنسانية تلك التي في صدد التوجيه واحتواء الحضارة الصالحة الخيرة للجانب الثقافي هي:- مجموع المعارف العلمية والتشريعات والنظم والعادات والآداب التي تمثل الحالة الفكرية والاقتصادية والخلقية والسياسية والفنية وسائر مظاهر الحياة المادية والمعنوية في مرحلة من مراحل التاريخ وفي بقعة من بقاع الأرض سواء شملت شعبا أم أكثر .

لا شك في أن المناقشة التي دارت حول الثقافة والحضارة آلت الى تشتت الأفكار في الغرب خلال الثلاثين سنة الأولى من القرن العشرين ، بقي خلالها الاستخدام الفرنسي لكلمة حضارة Civilisation يشمل مختلف ابعاد التقدم ، فكرية اكانت أم مادية ، مقابل النزعة الالمانية التي نحت نحو التمييز بين الثقافة بمعناها الروحي والفكري والعلمي وبين الحضارة بمعناها المادي .

وقد فرق ألفريد فيبر بين الحضارة و الثقافة ، على أنها جملة المعارف النظرية والتطبيقية غير الشخصية وبالتالي تلك التي يعترف انسانيا بصلاحياتها ويمكن تناقلها، وبين الثقافة ، على أنها جملة من العناصر الروحية والمشاعر والمثل المشتركة التي ترتبط في خصوصيتها بمجموعة وزمن معينيين .

على العموم ، لم يمر علماء الانثروبولوجيا والاجتماع أي اهتمام لهذا التمييز الذي بدأ لهم تمييزا وهميا وموصوما بصورة خاصة بثنائية غامضة مستوحاة من المعارضة الخاطئة بين الروح والمادة ، بين الاحساس والعقلنة ، بين الأفكار والأشياء . أن الغالبية العظمى من علماء الاجتماع والانثروبولوجيات تتجنب استعمال مصطلح حضارة أو تستخدم مصطلح ثقافة بمعنى حضارة ، وتعتبر الاثنتين ثقافة وحضارة من الممكن ان تحل أحداهما محل الأخرى . وهكذا فان الاثنولوجي الفرنسي كلود ليفي شتراوس يتحدث عن الحضارات البدائية متبعا في ذلك مثل تيلور الذي على الرغم من اعطائه أحيانا للأصطلاحين معاني مختلفة ، الا أنه كان يستعمل التعريف الواحد نفسه للثقافة والحضارة .

ومع ذلك قد نجد عند بعض علماء الاجتماع والانثروبولوجيا المعاصرين التمييز الآتي :- فبعضهم يستخدم مصطلح حضارة لكي يشير الى مجموعة من الثقافات الخاصة التي بينها تتشابه أو أصول مشتركة ، وبهذا المعنى يتحدث بعضهم عن الحضارة الغربية التي تنضوي تحتها الثقافات الفرنسية والأنكليزية والألمانية والايطالية والأمريكية . . . . أو حين يتحدث بعضهم عن الحضارة الأمريكية والتي انتشر نمط الحياة بها

في ثقافات الشعوب الأخرى . وكذلك حين الحديث عن الحضارة العربية في أطارها ثقافة عراقية ومصرية ولبنانية ومغاربية . . . وهكذا نرى ان مفهوم الثقافة يرتبط وفق هذا الاستعمال بمجتمع معين ومحدد الهوية ، في حين ان مصطلح حضارة يستخدم ليشير الى مجموعات أكثر اتساعا وأكثر شمولا في المكان والزمان .

أما بعضهم الآخر فيستخدم مصطلح حضارة للدلالة على المجتمعات التي بلغت درجة عالية من التطور ، وتتصف بالتقدم العلمي والتقني والتنظيم المدني والتعقيد في التنظيم الاجتماعي ، وهذا الاستعمال يعود بنا الى أصل الكلمة بمعنى حضر أو تحضر في مواجهة البداوة والترحل . وهكذا يؤدي هذا الاستخدام الى مفهوم تطوري وهو يتضمن بالوقت نفسه شحنة من الأحكام التقويمية التي حملها معه مفهوم الحضارة فترة زمنية طويلة . لذلك نلجأ في العلوم الاجتماعية الآن الى تعبيرات مثل: التصنيع والنمو والتحديث والثقافة . وعليه فأن هذا الأتجاه يفيد ان كل حضارة ثقافة بمعنى ما . ولكن ليست محل كل ثقافة حضارة .

إن غاية الحضارة الارتفاع بالحياة الإنسانية ، والحياة الإنسانية معقدة كثيرة الجوانب . فإن فيها حياة فكرية عقلية وحياة مادية عملية معاشية وحياة نفسية خلقية وحياة اجتماعية إلى جانب الحياة الفردية . والحضارة الصالحة الخيرة هي التي ترتفع بهذه الجوانب كلها وتعدل بينها ، فلا يظلم حانب منها جانبا آخر ولاينمو واحد ويضمر آخر . ولايأتي هذا إلاّ في ظل الحضارة الإسلامية .

ورأينا كلمة Culture تستعمل حديثا في الدلالة على الجانب الروحي والمعنوي من الحضارة . وكلمة Civilization تستعمل دالة على الجانب المادي ، لكن من غير توسيع الهوة بين الناحيتين ، لأن كل مظاهر الحضارة المادية ووسائلها وأدواتها ترتكز على مقومات وتصورات عقلية وعلى معارف نظرية مجردة .

وكما جرى الاستعمال لكلمة ثقافة وتثقيف في اللغة العربية حديثا للدلالة على جملة التراث الإنساني وعلى تكوين الإنسان الناشئ وتنمية مواهبه بعناصر المعرفة النظرية والعملية التي يحتاج إليها ، فكذلك جرى استعمال كلمة Culture في الدلالة على جملة الحضارة ، وعلى ترقية ملكات الإنسان والسمو بها عن طريق التربية والتدريب .

وصارت دراسة ثقافة الأمة من حيث أصول هذه الثقافة وعناصرها الرئيسة وتطورها وارتقاؤها ومكانها بين الثقافات الأخرى من أهم الدراسات العلمية ، كما صارت تكوين أفراد المجتمع على أحسن نموذج يجمع بين التقدير لتراث الماضي والإدراك لمقتضيات الحاضر وتطويره لتحقيق آمال المستقبل أهم واجب تنهض به الجماعة ممثلة في هيئاتها ومعاهدها الثقافية ، وذلك لأن كل أمة لها ثقافتها التي هي عنوان عبقريتها وثمرة اجتهادها ، وهي المعبرة عن روحها وشخصيتها والعلامة الكبرى المميزة لها بين الأمم ، والدالة على الدور الذي لعبته وعلى النصيب الذي أسهمت به في تاريخ الحضارة الإنسانية .

والمادة ليست محتقرة في المجتمع الإسلامي ، لا في صورة النظرية باعتبارها هي التي يتألف منها هذا الكون الذي نعيش فيه ونؤثر

فيه أيضا ، ولا في صورة الإنتاج المادي . فالإنتاج المادي من مقومات الحياة ولكنه فقط لايعتبرها هي القيمة العليا التي تهدر في سبيلها خصائص الإنسان ومقوماته ، وتهدر من أجلها حرية الفرد وكرامته ، وتهدر فيها قاعدة الأسرة ومقوماتها ، وتهدر فيها أخلاق المجتمع وحرماته . إلى آخر ما تهدره المجتمعات التي طغت عليها المادة من القيم العليا والفضائل والحرمات لتحقيق الوفرة في الإنتاج المادي .

وحين تكون القيم الإنسانية والأخلاق الإنسانية التي تقوم عليها هي السائدة في مجتمع ، يكون هذا المجتمع متحضرا ، والقيم الإنسانية والأخلاق الإنسانية ليست مسألة غامضة وليست كذلك قيما متطورة متغيرة متبدلة ، لاتستقر على حال ولاترجع إلى الأصل ، كما يزعم التفسير المادي للتاريخ ، وكما تزعم الاشتراكية العلمية .

إنها القيم والأخلاق التي تُنمي في الإنسان الخصائص التي يتفرد بها دون الحيوان ، والتي تغلّبُ فيه هذا الجانب الذي يميزه ويعزوه عن الحيوان ، وليست هي تلك الخصائص التي تُنمي فيه وتغلّب الجوانب التي يشترك فيها مع الحيوان .

وحين توضع المسألة هذا الوضع يبرز فيها خط فاصل وحاسم وثابت لايقبل عملية التمييع المستمرة التي يحاولها التطوريون والاشتراكيون العلميون .

والإسلام لايحتقر الإبداع المادي إنما يجعل هذا اللون من التقدم – في ظل منهج الله – نعمة من نعم الله على عباده يبشرهم به جزاءا على طاعته ، يقول الله تعالى :– ((فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا . يُرسل

السماء عليكم مدرارا . ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جناتٍ ويجعل لكم أنهارا / نوح)) . ((ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض / الأعراف)) .

هذه البركات ألوان شتى ، وأطياف شتى . تصور الفيض الهابط من كل مكان ، النابع من كل مكان ، بلاتحديد ولاتفصيل ولابيان ، والذين يتصورون الأيمان بالله مسألة تعبدية بحتة لا صلة لها بواقع الناس في الأرض ، لايعرفون الأيمان ولايعرفون الحياة في رحاب الأيمان ، وما أحراهم أن يستقرئوا التاريخ يوم كان أسلافنا مؤمنين حقا ، فقد دانت لهم الدنيا وفاضت عليهم بركات من السماء والأرض .

وحكاية أن الثقافة تراث إنساني لاوطن له ولاجنس ولادين ، هي حكاية صحيحة عندما تتعلق بالعلوم البحتة وتطبيقاتها العلمية من دون أن تجاوز هذه المنطقة إلى التفسيرات الفلسفية الميتافيزيقية لنتائج هذه العلوم ولا إلى التفسيرات الفلسفية لنفس الإنسان ونشاطه وتاريخه ولا إلى الفن والأدب والتعبيرات الشعورية جميعا . ولكنها وفيما وراء ذلك أحدى المصائد التي يهمها تمييع الحواجز كلها بما في ذلك بل في أول ذلك ، حواجز العقيدة والتصور .

والإسلام يعتبر فيما وراء العلوم البحتة وتطبيقاتها العلمية نوعين من الثقافة:- الثقافة الإسلامية القائمة على قواعد التصور الإسلامي ، والثقافة المادية البحتة القائمة على مناهج شتى ترجع كلها إلى قاعدة واحدة ، قاعدة إقامة الفكر البشري إلها لايرجع إلى الله في ميزانه .

والثقافة الإسلامية شاملة لكل حقول النشاط الفكري والواقعي الإنساني وفيها من القواعد والمناهج والخصائص ما يكفل نمو هذا النشاط وحيويته دائما[٥٢] .

الشخصية الحضارية

إن الظروف التي واجهتها الفئات الاجتماعية ثم القبائل ليست متماثلة قطعا ، وإن نشأة هذه الفئات والشعوب حددتها ظروف كثيرة أثرت بدون شك في نشأة لغاتها وعاداتها وتقاليدها عبر آلاف السنين ، ومن هنا ظهرت حضارات متنوعة وكل حضارة تحمل طابعها عقيدة وتاريخا وعادات وتقاليد واستجابات جابهتها من خلال مسيرتها عبر الزمان والمكان . لذلك فإن لكل حضارة شخصيتها المميزة وهذه الشخصية المميزة تظهر في مجموعة المفاهيم والرؤى للأمة أو الشعب حيال الكون والحياة والإنسان . وللعقيدة أو الأيمان دور مهم في بناء الحضارة ، إلاّ أن علم النفس يرى أن قدرة الميل الفردي والجمعي عند أبناء مجتمع واحد لاتحدد وحدها صفة الحضارة لأن القدرة كمية غير متجهة ، لذا فإن أثر التربية والإرشاد والتوجيه والظروف البيئية المحيطة هي التي ترسم اتجاه كتلة التفكير .

بناء عليه فإن هناك حضارات مختلفة الصيغة ، حضارة عسكرية ، حضارة قانونية ، حضارة اقتصادية ، حضارة سياسية ، حضارة دينية . فالبلد المحاط بالأعداء ومطلوب الاحتلال يؤدي إلى

---

[٥٢] سعد محمد الشيخ المرصفي – مصدر سبق ذكره .

ضرورة قيام حضارة عسكرية لمواجهة الخطر . وبلد فقير محدود الموارد يؤدي إلى ضرورة قيام تفكير اقتصادي وحضارة اقتصادية . كما إن ثقافة البحر هي غير ثقافة الصحراء وثقافة الجبل هي غير ثقافة المستنقعات . ومن هنا قيل تدخل الجغرافية صانعا للاختلاف الحضاري . فالجغرافية تشترك في صنع التاريخ ولكن دور التاريخ في صنع الجغرافية دور ضئيل لايستحق الذكر .

ونعتقد أن هذه الرؤية غير نافذة ، لأن الحضارة لاتتميز بصفة واحدة ، بمعنى أن المزية أو الصفة الواحدة لاتستبعد الصفات الحضارية الأخرى ، فالشخصية الحضارية هي شخصية متكاملة تشمل بل تشع على كل أجزاء الجسم الحضاري إن صح التعبير ، لذلك لايمكن القول أن حضارة ما هي عسكرية أو اقتصادية أو قانونية فقط . وعلى سبيل المثال فإن حضارة الرومان كانت حضارة عسكرية كما كانت حضارة إدارة وحضارة قانون وحضارة أدب وعمارة . والحال كذلك بالنسبة لحضارات أخرى . فالصفة الواحدة للحضارة لا تستبعد الصفات الأخرى . وإذا لم توجد صفات أخرى حضارية مكتملة ، فلسنا أذن بصدد حضارة وبالتالي فإن من التعسف القول بأن هناك حضارة واحدة الصفة . ويصح هذا القول على المدنية وليس على الحضارة . فيمكن أن توجد مدنية تقنيات وليست حضارة تقنيات . أما القول بأن الجغرافية تصنع أو تشترك في صنع التاريخ فهو قول مبالغ فيه وأحادي النظرة . نعم إن الجغرافية تلعب دورا في البناء الحضاري إلاّ أنها لا تتحكم في نوعية الحضارة حتما . وإذا كان الأمر غير ذلك فكيف نفسر أن ثقافة أو حضارة العرب الصحراوية أدت

في أقل من قرن إلى بناء حضارة فريدة . فالجغرافية لها دور في صنع التاريخ لا يتناسب مع دور النخبة في صنعه . فالتاريخ وتاريخ الحضارات بالذات ، الذي تصنعه النخبة يعني أن الإنسان أساس الحضارة وبانيها وهو يتفاعل مع بيئة ولكن لا يكون عبدا لها . وإذا كان الأمر كذلك ، فالحضارات الجغرافية ليست حضارات بقدر ما هي مدنيات جغرافية إن صح التعبير(٥٣) .

حوار الحضارات

إن الشعوب والأمم التي تقيم الحضارات لا تقيمها بمعزل عن الحضارات الأخرى . فالحضارة بناء إنساني والإنسانية واحدة ، لذا فإن الحضارات سلسلة متواصلة من الجهد الإنساني لإدراك معنى الحياة والكون ، وهي وإن اختلفت لظروف مادية أو معنوية تعرض لها شعب معين فإنها استندت في الأصل إلى حضارة أو حضارات سبقتها . فالحضارة لا تأتي من الفراغ وإنما هي تكامل إنساني . لذلك فإن الحضارة الإنسانية هي حلقات متواصلة واقتباسات مستمرة وزيادات إرادية وغير إرادية ، بحيث كتب كل شعب بنى حضارة صفحة أو صفحات في سجل الحضارة الإنسانية . ورغم ذلك فقد تعددت المسارات الحضارية عبر الزمان والمكان . لأن كل حضارة وإن اقتبست من حضارة أو حضارات أخرى فإنها تضفي على بنائها الحضاري روح وشخصية الشعب الذي أقامها . وتعدد المسارات الحضارية عبر المكان يطرح مسألة في غاية

---

(٥٣) منذر الشاوي ، مصدر سبق ذكره.

الأهمية ، ألا وهي ضرورة حوار الحضارة مع الحضـــارات الأخـــرى . فالإنسان واحد والإنسانية واحدة ، وقد تختلف الرؤى الحضارية ولكن تبقى هذه الوحدة ، لذلك في الحوار نفهم الغير/الآخر ومن خلال فهم الغير نفهم ذاتنا . ففي كل حضارة رؤى ومفاهيم قد يغتني بها الآخر كما يغني هـذا بعطائه الغير ، فالحوار الحضاري عمل إنساني بـل ضـرورة إنســانية تفرضها وحدة الإنسانية ووحدة المصير الإنساني . لذا فإن التفاعـل بـين الحضارات هو في مصلحة الإنسان والإنسانية ، وبالتالي فـإن التكامـل الحضاري ضرورة إنسانية . لكن كيف نفهم هـذا التفاعـل أو التكامـل الحضاري . وبقدر تعلق الأمر بحضارتنا العربية الإسلامية فإن المـنهج الصحيح يقضي أن نعرف ونفهم معطيات وأبعاد هذه الحضارة . أن نعرف حضارتنا السالفة في جوهرها في ذاتها لا أن نعرفها من خلال تضادها أو في مواجهة الحضارة الأخرى ، الحضارة الغربية . صحيح أن الحضـارة الغربية هي الطاغية اليوم وخطرهـا محـدق وتأثيرهـا أكبـر ، إلاّ أن ذلك لايمنعنا من النظر في ذاتنا قبل المواجهة الحضـارية مـع الغيـر . ولكن كيف ؟

إن المسلمين لو عادوا إلى أنفسهم وفهمـوا مـذهبيتهم الإسـلامية الحضارية المحددة الواضحة في مسلماتها وقيمها وغاياتها ووسائلها فـي ظل المرحلة الحضارية التي تمر بعالمنا المعاصر لاستطاعوا أن يخـدموا أنفسهم ويفيدوا غيرهم من أجل إنقاذ الحضارة من المادية المتوغلة ، والقيام بدور عالمي لإنقاذ البشرية . ولانرى في هذا الطـرح حـوارا وتفـاعلا حضاريا بل عملية إنقاذ أو رسالة إنقاذ للحضارة المادية الغربية . إلاّ أنـه

ليس من الدقة بمكان أن نوسم الحضارة الغربيـة بالماديـة ، فالجوانـب الروحية والأخلاقية موجودة . كما يجب التمييز بين الحضـارة الأوربيـة والمدنية الأمريكية المادية . صحيح أن الإنسان واحد في الغرب والشـرق وأن حضارة ما يمكن أو يجب أن تمتد إليه ، لكن ليس من موقـف يتسـم بالمقاومة للحضارة الغربية . فالحوار الحضاري لايكون بالرفض ونعـت الغير بالمادية ، علينا وفق مقتضيات المنهج الصحيح ، أن نتفهمها لأنهـا رغم كل ما قيل تحمل جذور حضـارة إنسـانية عريقـة – اليونانيـة / الرومانية – لذا فإن فهم الغير يساعد على فهم الذات والأنا ، أما رفـض الآخر فيؤدي إلى أن نجمد الذات دون نعرفها .

قد يقال أن التفاعل إسلاميا وإنسانيا ضـروري ، لأن الغـرب يفقـد الغايات ونحن نفقد الوسائل . فتبادل ما عند الآخر لابد أن يوصل البشرية إلى حالة تكاملية متوازنة ، وعليه فإن الحوار الحضاري سـيكون علـى النحو التالي : – من عندنا الروح ، أي الشحنة الإيمانية والروحية ومـنكم العلم والتقنية ، منكم الوسائل ومنا الغايات . لكن كيـف تمتـزج الطاقـة الروحية والطاقة المادية في حضارتين لتنجب حضـارة واحـدة إنسـانية روحية عقلانية علمية متكاملة . وهذا البعد العـالمي للحضـارة العربيـة الإسلامية ولإسعاد الإنسانية ليس إلاّ نظرة أمل تهمل الواقع في شـطريها الغربي والشرقي تقول غير ذلك . فقـد قـال الإمـام محمـد عبـده :– " فوجدت الإسلام في أوربة ولم أجد المسلمين وأجد المسلمين في عالمنـا ولا أجد الإسلام" .

بناءا عليه ، فالمنهج العلمي يقضي بأن لانرفض الآخر وأن لانمجد الذات من دون أن نعرفها ونعرف واقعها . حوار الحضارات ضروري إلاّ أن الحوار يتضمن أو يفترض التعاطف لا الرفض والاستنكار ، وإلاّ وقعنا في خلل منهجي أكيد ، وإذا كانت الحضارة بناءً إنسانيا فلا يمكن تصور وجود صراع حضاري أو صراع بين الحضارات . فالصراع بين الشعوب هو صراع البربرية لا صراع الحضارة . أما الحضارات فبينهما حوار وبينها تكامل لا صراع . وإذا كانت هناك شعوب تريد السيطرة على شعوب أخرى ، فالشعب الذي يبغي السيطرة حتى إذا كان متمكنا علميا (وتكنيكيا) هو شعب متمدن في أحسن الأحوال ، فالصراع يمكن أن يكون بين شعوب متمدنة أو بين شعوب متمدنة ومتحضرة لكن لا صراع بين الحضارات . وقد يكون الصراع ماديا وعند ذاك نكون أمام البربرية لا الحضارة . وقد يكون الصراع دفاعا عن النفس وعندها نكون أمام البربرية ضد الحضارة . وقد يكون الصراع في النظرة والتقييم إلى الحضارات الأخرى ، وهذا ليس صراعا دائما محاولة فهم الحضارات الأخرى وبالتالي فإن المسألة قيم ومعتقدات لها قواعدها التي تحكمها في النشأة والتكوين[٥٤] .

كيف نفهم سقوط الحضارة ؟

الحضارة بوصفها بناءً إنسانيا هل تتعرض إلى الهرم والسقوط ، وهل يمكن الكلام عن أُفول أو سقوط الحضارة ؟

---

[٥٤] المصدر نفسه.

تعتقد المدرسة السلوكية النفسية أن أية حضارة هي مجمع عادات وكل عادة يحكمها زمن عندما يتقدم الزمن تشيخ العادة فتهدم الحضارة ويعاب على هذا الرأي أن الحضارة هي أعقد وأكبر من أن تكون مجمع عادات ، فالحضارة هي الحياة بالشكل الذي يريده أو يتصوره الأنسان ، وهذه الرؤية قد تعقبها عادات معينة ، لكن العادات ولو بمجموعها ليست الحضارة ، إلاّ أن السؤال الذي يجب الوقوف عنده والتأمل طويلا فيه هو :- هل الحضارة تحمل مقتلها ؟

لقد قدم غوستاف لوبون تفسيرا لأفول الحضارة يمكن أن يندرج في هذا الاتجاه ، فهو يرى أن كل الحضارات السابقة خضعت لنفس الآلية في انحلالها . . وهي أن الحضارة حين تصل إلى درجة من القوة بحيث تثق من أن لا خطر عليها من جيرانها ، يبدأ الشعب بالتمتع بخيرات السلام والثروة وعندها تفقد الفضيلة العسكرية . والأوج الحضاري يخلق حاجات جديدة فتتطور الأنانية . وعند ذلك يجتاح الجيران البربر أو نصف البربر الذين لهم حاجات محدودة ومُثل قوية ، الشعب المتحضر . وهكذا كان حال روما .

وليس الذكاء هو الذي افتقده الشعب المجتاح لكن العزم ، فالرومان القدماء كانت لهم حاجات محدودة ومثل أعلى قوي جدا . وهذا المثل الأعلى – عظمة روما – كان يسيطر على النفوس وكان كل مواطن مستعدا لأن يضحي بعائلته وثروته وحياته من أجله ، إلاّ أن هذا التحليل يضعنا أمام ما يمكن أن نسميه معضلة أو حيرة الحضارة ، كلما تقدمت الحضارة وتحضر البشر كلما قرب أو أذن سقوط الحضارة . بعبارة أخرى

عندما تقدم حضارة ما رخاءا وترفا ماديا وفكريا إلى أجيالهـا فـإن هـذه الأجيال تميل إلى الكسل والاسترخاء وفقد الحماس للاستمرار فـي البنـاء والدفاع فتتدهور الحضارة . إلاّ أن هذا القانون أو هذه المفارقة الحضارية يجب أن لا تؤخذ بهذه البساطة . فالحضارة بناء إنساني وفكـري يصـل بالإنسان إلى مرحلة متقدمة من الإنسانية بحيث توسع الآفـاق وتفلسـف الحياة وتزيد النظرة النسبية وتقلل من المطلق والتعصبات الفكرية . والبناء الفكري والفني يحتاج إلى زمن ، فالمبدعون من كانوا أسياد الزمن ولـيس عبيده بل إن الزمن لا حساب له بالنسبة لهم . والرخاء حين يولد حضارة رائعة ، أتدق عندها ساعة موتها أم إنها في هذا الطور تصل إلى أوجها ؟ وعندها أليس سقوط الحضارة هو نتيجة لهجوم أو غزو شـعوب بربريـة عدوة الحضارة بالتعريف . ويعترف غوستاف لوبون أن روما في عهـد الأباطرة ملكت أعظم العقول والفنانين والأدباء والعلماء . أليست هذه هي الحضارة ؟ وبعد سقوط بغداد كان الفكر والحضارة في ازدهـار ، فكـان المتنبي والمعري . وكانت المستنصرية تقف شامخة أمام الغزو المغولي ، فلولا البربر والمغول ما سقطت روما وبغداد وأعمت شمس حضـارتهما عيون فاتحيها . وتطرح عندها معضلة أو حيرة الحضارة بصيغة جديدة . كيف ندافع عن الحضارة ، وكيف نفهم أفولها ؟ تلك هـي المسـألة كـل المسألة(٥٥) .

---

(٥٥) المصدر نفسه.

حضارية الانسان

يعتقد بعضهم أن الحضارة اليوم في أزمــة ويطرحــون الســؤال الآتي :- هل غيرت الحضارة الإنسان؟ وقد لايكون السؤال بهذا الشــكل صحيحا . فالحضارة تعبير لإرادة الإنسان الواعية وغير الواعية في رسم صورة وإعطاء معنى الحياة . بناء عليه فإن السؤال الواجب الطرح هو:- هل هذا المعنى الإنساني وهذا الشكل الحضاري يغير من طبيعة الإنســان وهل استطاعت الحضارة الانتصار على الإنسان في عيوبه ؟

لاشك في أن الحضارات في صعود ونزول ، فقد تخفف حضــارة من عدوانية الإنسان ولكن ذلك قد يكون سببا في أفولها ، كما إن تطــور حساسية الإنسان بالحضارة جعلته أكثر انطوائية في خصوصيتها ، ولكــن هذا ليس عيبا بل ميزة ، فقد ردت الحضارة الإنسان إلى ذاته والى الحوار معها ، والعودة إلى الذات ليست عيبا حضاريا . ويسأل الــبعض – هــل ألغت الحضارة ميول الإنسان إلى الحسد والضغينة والكره ، وانتصــرت على ميول الطمع ومبدأ اللذة والمتعة ؟ ونجيب: نعم و لا . فقد أضــعفت بعض الحضارات ذات النزعة الروحية هذه الميول ، وعززتها حضارات أو بعبارة أدق مدنيات أخرى . ولم تنجح إلى الآن حضارة فــي القضــاء على الأسس أو الأسباب التي ولدت هذه الميول المعيبة عند الإنسان . ومع هذا يبقى الإنسان محل رهان إذ طالما راهنت حضارات علــى الإنســان وستراهن .

إن تضخم الحضارة المعاصرة – وأفول المدنيــة – بالمعطيــات العقلية إضعاف الجانب الوجداني والروحي ، ومع هذا فهي حضارة وقــد

تكون مدانة . والإنسان عقل ووجدان وعلى التوازن بينهما تقوم الحضارة ، كل حضارة ، ومع هذا فقد أفزعت المدنية المعاصرة بعض المفكرين فأدانوها بشدة .

إن حضارة اليوم ستؤدي إن لم تكن قد أدت إلى فقدان التآلف أي التوافق والانسجام عند الإنسان مع الشيء ، فيصبح الإنسان تسارعيا رغائبيا كثير المغادرة لانتماءاته ، بدءً من البيت والوطن والصديق . سيغادر الفرد وطنه بسهولة وينشئ تاريخه وسيغرب عنصر الوفاء وتصبح (ميكانيكية) العلاقات محكومة بالمصالح لا المبادئ ، وسيعيش الإنسان رهينة لزمنه ويتحول إلى آلة تحكمها الساعات وسيكون آلة في المعمل والحقل ولن يجد فرصة للتأمل والرجوع إلى الذات ، وستسود حضارة الذكاء الصناعي وسيقوم عصر الإنسان الآلي وسيتحول الناس إلى مشاهدين لأداء نائب الفاعل كل أعمال الفاعل الأول . واللوحة قاتمة ، جدا قاتمة . وتبقى المدنية المعاصرة ولا أقول الحضارة متهمة أو في قفص الاتهام ، حيث أن مظاهر الهروب من الواقع . . . توجيه اتهامات . . . ضد الحضارة مع دعوة للعودة إلى الحياة البدائية أو حالة الطبيعة . إن عداء الحضارة هو عداء مع الحياة أو خفض لها إلى أدنى مستوى ، وفي هذا الاتجاه نجد أن بعض المعتقدات المستنكفة عن الحياة تعتبر مغذيا لمثل هذا الاتهام . . وليس حقا أن الاختراعات لم تقلل من آلامنا ومتاعبنا ولم يفطن أعداء التقنيات والتقدم أن السبب ليس في هذه الاختراعات بل في النظام الاجتماعي البشري نفسه ، أي في العلاقات البشرية نفسها وطريقة استخدام هذه الآلات والتقدم المادي .

تكون مدانة . والإنسان عقل ووجـدان وعلـى التـوازن بينهمـا تقـوم الحضارة ، كل حضارة ، ومع هذا فقد أفزعت المدنية المعاصرة بعـض المفكرين فأدانوها بشدة .

إن حضارة اليوم ستؤدي إن لم تكن قد أدت إلى فقدان التـآلف أي التوافق والانسجام عند الإنسان مع الشيء ، فيصـبح الإنسـان تسـارعيا رغائبيا كثير المغادرة لانتماءاته ، بدءً من البيـت والـوطن والصـديق . سيغادر الفرد وطنه بسهولة وينشئ تاريخه وسيغرب عنصر الوفاء وتصبح (ميكانيكية) العلاقات محكومة بالمصالح لا المبادئ ، وسـيعيش الإنسـان رهينة لزمنه ويتحول إلى آلة تحكمها الساعات وسيكون آلة فـي المعمـل والحقل ولن يجد فرصة للتأمل والرجوع إلى الذات ، وستسـود حضـارة الذكاء الصناعي وسيقوم عصر الإنسان الآلـي وسـيتحول النـاس إلـى مشاهدين لأداء نائب الفاعل كل أعمال الفاعل الأول . واللوحة قاتمة ، جدا قاتمة . وتبقى المدنية المعاصرة ولا أقول الحضارة متهمة أو فـي قفـص الاتهام ، حيث أن مظاهر الهروب من الواقع . . . توجيه اتهامـات . . . ضد الحضارة مع دعوة للعودة إلى الحياة البدائية أو حالـة الطبيعـة . إن عداء الحضارة هو عداء مع الحياة أو خفض لها إلى أدنى مستوى ، وفـي هذا الاتجاه نجد أن بعض المعتقدات المستخفة عن الحياة تعتبر مغذيا لمثل هذا الاتهام . . وليس حقا أن الاختراعات لم تقلل من آلامنا ومتاعبنا ولـم يفطن أعداء التقنيات والتقدم أن السبب ليس في هذه الاختراعات بل فـي النظام الاجتماعي البشري نفسه ، أي في العلاقات البشرية نفسها وطريقة استخدام هذه الآلات والتقدم المادي .

ومن الجدير بالملاحظة ، أن الدعوة إلى العودة إلى الطبيعة قد تهدف إلى إعادة التوازن في معادلة الحضارة بين الطاقة الروحية والطاقة المادية . وجدير بنا أن نقرّ أن رفض حضارة الغرب المادية وعدم الرغبة في الحوار ، له من الأنصار المستنكفين وغير المستنكفين عن الحياة ، إلاّ أن هذا الرفض لا يجد سببا له في النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي ابتدع المدنية التكنولوجية التي كيفت الإنسان لمتطلبات التكنولوجية وأشغلت وجوده وزمنه عبثا ، بدلا من أن تكون مصدر تحريره ليجد ذاته المستلبة . وإذا كان الأمر كذلك عندها يطرح السؤال التالي:- ألا نحتاج إلى ثورة للإنسان على الإنسان وعلى ذات الإنسان من أجل الإنسان ؟ هذا ما تفرضه معطيات العصر الحاضر كما نعتقد .

أين نحن كأمة عربية من الحضارة ؟

إن الواقع الحضاري لأمتنا لا يدعو إلى التفاؤل . فلو سألنا:- ما دور الفكر والفلسفة والحكمة المعاشة في حياتنا وثقافتنا ومدرستنا ، وما نصيب الحرية واحترام الإنسان والعقل والتعاطف الإنساني المستفهم والأفكار العظيمة التي تحدد الرؤية المصيرية المتكاملة والمشروع الحضاري ؟

الواقع ، لا نجد إلاّ أجوبة تقف خجولة أمام التخلف الحضاري في مجتمعنا العربي اليوم ، ولعل هذا ما دفع الدكتور زكي نجيب محمود إلى أن يعود إلى الماضي ليقول:- أية إضافة عظيمة تستطيع الثقافة العربية الأصيلة أن تضيفها إلى حضارة هذا العصر لو أنها جسدت قيمتها في أبنائها أولا فاستطاعت بذلك أن تعطي للعالم المعاصر معاني إنسانية في

مقابل ما تأخذه من علوم وتقنيات . كان من بين ما أوحى إلي بهذه النظرة إلى الأسماء الحسنى وهي النظرة التي تجعل منها قيما للسلوك البشري ، كتاب صغير عميق ملهم هو كتاب الإمام الغزالي ((المقصد الأسنى في أسماء الله الحسنى)) . فلو استطعنا نحن أن نقدم للعالم مجموعة متسقة الأجزاء من القيم الهادية للإنسان على طريق الحياة ، كان هذا دورنا في بناء الحضارة . إلاّ أن الأمنيات والسعي وراء ما يجب أن يكون ، لا تخرجنا من التخلف الحضاري الذي يعاني منه المجتمع العربي .

حقيقة أن الحضارة العربية الإسلامية التي وجدت مكانها البارز بين حضارات العالم ، وكذلك الحضارات العربية القديمة يمكن أن تكون لنا خلفية حضارية كبيرة . إلاّ أننا كنا ورثة حضارات تبقى في ذاكرة الإنسان والتاريخ ، فهذا لا يعني أننا اليوم نعيش في حضارة ، ولكن هل الحضارات القديمة يمكن أن تكون حافزا لنهضة حضارية جديدة ؟

إن الانقطاع الحضاري ولنقلها بصراحة ، أبعدنا عن الحضارة وأوغلنا في التخلف ، فلا يمكننا أن نكون ورثة هذه الحضارات الباهرة ما لم نعِ هذه الحضارات . وهذا الوعي يتطلب ويفترض وعي الذات ، فمجرد الانتماء التاريخي لايكفي على ما نعتقد ، لكن ألا يملك الشعب العربي ذاتا حضارية قد لاتملكها بعض الشعوب . وهل الذات الحضارية يمكن أن تكون كامنة تتحرك بعد تحقق الكل الحضاري ، فالحضارة تعبير من قبل النخبة عن روح الشعب والأمة ، ولكل شعب نضجه الحضاري . ونضج الشعب العربي الحضاري الكامل لايكون إلاّ باكتمال وحدته . وعليه فإن الوحدة العربية ضرورة حضارية . فالتكامل الحضاري يكون بين أجزاء

الأمة العربية ، فلا حضارة عربية ما لم يتكامل الشعب العربي بوحدته ، وعند ذاك يعي ذاته ويعي شخصيته الحضارية . وهذه الشخصية الحضارية لاتولد ما لم تتحقق وحدة الشعب العربي ، لذلك فإن النضال الوحدوي هو عمل حضاري وأن الوحدة ضرورة حياتية وحضارية . فلا حضارة لأمة مجزأة ، والأمة بدون حضارية لاوجود إنسانياً لها . فهل ندرك كل هذا ؟ وأين نحن من الوحدة والحضارة ؟

التغذية العلاجية في التراث الطبي العربي والإسلامي

الدكتور محمود الحاج قاسم محمد
طبيب أطفال -- الموصل

الدكتور عامر عزيز جواد
اختصاص / فسيولوجيا التدريب الرياضي
معهد إعداد المعلمين - الانبار - العراق

الملخص :

يقصد بالتغذية العلاجية في الطب الحديث حصول المريض من خلال الغذاء على ما يحتاجه الجسم من مواد غذائية بنسب معينة تبعا للحالة المرضية . وعلم الأغذية عند الأطباء العرب والمسلمين علم قائم بذاته ، أكثروا فيه التأليف والتصنيف .

كان تناولنا لموضوع التغذية العلاجية في التراث العربي والإسلامي في محورين :-

المحور الأول : الأمور المتعلقة بالإنسان الذي يتناول الغذاء : -

القسم الأول/ الحاجة إلى الغذاء وتنظيمه :

القسم الثاني / أوقات مرات الأكل وعددها :

القسم الثالث / نوع الطعام وتقدير كميته بحسب السن والمهنة :

القسم الرابع / شرب الماء :

القسم الخامس / الحالة النفسية للمتغذي :

المحور الثاني : الأمور المتعلقة بالغذاء نفسه : --

القسم الأول / أفضلية حليب الأم في تغذية الأطفال :

القسم الثاني / أنواع الأغذية التي يتغذى بها الإنسان (الغذاء الوقائي) :

القسم الثالث / معالجة الأمراض بالغذاء (الغذاء العلاجي)

- معالجة السمنة بالغذاء - معالجة الهزال بالغذاء

- معالجة مرض السكر بالغذاء - العلاج الغذائي للوقاية من السرطان

- علاج مرض السل بالغذاء

القسم الرابع / أشهر كتب العرب والمسلمين ومؤلفاتهم في الغذاء والتغذية العلاجية

استنتاجات البحث :

- كان كتاب الله والسنة النبوية الشريفة المرجعين الرئيسين لمنهجهم العلمي ، وهما يعدان الركائز السليمة والصحيحة للرعاية الصحية والطبية الشمولية .
- إعتمد الأطباء العرب والمسلمون مبدأ الاعتدال والوسطية في عملية التغذية .
- شخص الأطباء العرب قسما كبيرا من الأمراض التي تصيب الإنسان بسبب سوء التغذية ، والأمراض الباطنية الأخرى ، ووصفوا لها العلاج المناسب مستعينين بالغذاء قبل الدواء .
- كان لمؤلفات الأطباء والعلماء العرب والمسلمين الكثيرة في الغذاء والتغذية العلاجية الأثر الأكبر في إرساء القواعد التي قام عليها تقدم الطب العلاجي والوقائي في الوقت الحاضر ، وقد تم إستعراض تلك المؤلفات وما حوته من الأفكار حول ذلك .

المقدمة وأهمية البحث :

مما لا شك فيه أن الغذاء يحتوي على العناصر المختلفة الضرورية للحياة وإمداد الفرد بالطاقة اللازمة لنمو جسمه و أنشطته ووقايته من الإصابة بالأمراض . واليوم أصبح تنظيم الغذاء كيفا وكما إحدى الوسائل الرئيسة لحفظ الصحة والوقاية من الأمراض ، بل إن العديد من المختصين قد دعوا أخيرا إلى استخدام التغذية النوعية علاجا ناجحا للعديد من اعتلال الصحة ، وباختصار يقصد بالتغذية العلاجية في الطب الحديث حصول المريض من خلال الغذاء على ما يحتاج اليه الجسم من مواد غذائية بنسب معينة تبعا للحالة المرضية ، وقد يتطلب هذا تجنب أو تقليل بعض أنواع الأغذية التي تضر بصحة المريض ، ليستطيع الجسم مقاومة المرض والتغلب على العوامل المسببة وإصلاح ما تهدم من أنسجته .

يقول العلامة ابن خلدون في " مقدمته " في فصل " صناعة الطب " هذه الصناعة ضرورية في المدن والأمصار لما عرف من فائدتها ، فإن ثمرتها حفظ الصحة للأصحاء ، ودفع المرض بالمداواة ،حتى يحصل لهم البراءة من أمراضهم ، واعلم أن أصل الأمراض كلها إنما هو من الأغذية [١] .

والتغذية (Nutrition) هي علم دراسة مكونات ما يتطلبه جسم الإنسان من المواد الغذائية اللازمة ، ومدى الاستفادة منها طبقا للعديد من الظروف الجوية (الطقس) والحالة الاقتصادية والحالة الاجتماعية وطبيعة العمل الذي يؤديه الإنسان ووظيفته ، والحالة (البايلوجية) والصحية للجسم

---

[١] ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي ؛ مقدمة ابن خلدون ، ج١، ط٥ (١٤٠٤هـ /١٩٨٤ م) ص٤ .

وبنائه ، وأهمية التوازن الكمي والكيفي من العناصر الغذائية والعلاقة بينها . والعمليات الحيوية من التفاعلات الطبيعية الضرورية التي تعمل على استمرار أداء الجسم لوظائفه (البايلوجية) لبناء الأنسجة وتجديدها ، وأدائها لوظائفها من توليد الطاقة التي تظهر في صور حرارية أو تيار كهربائي أو نشاط جسمي [٢]

ولقد ساعدت البيئة العربية الصافية ذات الأعشاب الطبية وبعض المناطق الرعوية بشبه الجزيرة العربية على إقامة الطب عند العرب ، على أساس تجربة بعض النباتات والأعشاب في العلاج ، ولهذا فقد كان من ابرز خصائص الطب عند العرب قبل ظهور الإسلام اهتمامهم بالتجربة ، ولاسيما تجربة هذه الأعشاب والنباتات الصحراوية واستخدامها في علاج بعض أمراض البيئة الصحراوية في شبه الجزيرة العربية[٣].

يقول الأستاذ عباس العقاد ((يبدو لنا أن اشتغال العرب الطويل برعي الماشية قد باعد بينهم وبين طب الكهانة والخرافة ، وقارب بينهم وبين طب التجارب العلمية ، لأنهم راقبوا الحمل والولادة والنمو وما يتمثل به من الأطوار الحيوية ، وشرحوا الأجسام فعرفوا مواقع الأعضاء منها وعرفوا

---

[٢] كمال عبد الحميد إسماعيل (وآخرون) ؛ التغذية للرياضيين ، ط٢ (القاهرة ، مركز الكتاب للنشر ، ٢٠٠٩) ص٩

[٣] ابن أبي اصيبعة ، موفق الدين ابن العباس ؛ عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق ودراسة عامر النجار ، ج١ ، ط١ (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٩٦) ص٢٩ .

عمل هذه الأعضاء في بيئة الحيوان ، ونحو من المعرفة السليمة فـاقتربوا من الإصابة في تحليل المرض والشـفاء))[٤] .

وهناك الكثير من الأسس العلمية المبنية على معرفة الإسلام في القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة وعلى الخبرة والتجربة والحكمة عند العرب في مجالات الزراعة لإنتاج الغـذاء والصـناعات الغذائيـة ، وأسـاليب وممارسات في سلامة الغذاء ومراقبته وفي مجال التغذية والصحة والطب وعلم الاجتماع التغذوي ، التي أخذها الغرب المظلم عندما كان يعيش فـي ظلمائه الحالكة ، فأنارت أماكن وزوايا كثيرة مظلمة في مجتمعاتـه بنـي عليها وطورها . وكان في هذه الأسس العلمية الفوائد العظيمـة والجمـة للمجتمعات الإنسانية القديمة والحديثة[٥].

ولما كان الإسلام في غايته الأساسية حفظ حياة المسلم والعناية بصحته الجسمانية والنفسية ، فقد اعتبر المسلمون مهنة الطب من فروض الكفاية ، التي إن لم يقم بها احد من أهل بلد مسلم ، آثم أهل البلد جميعـا ، ونظـم الإسلام مهنة الطب ، ووضع قواعد الممارسة الطبية التي يجب أن يلتـزم بها كل من الطبيب ومريضه ، من اجل إصلاح البدن وسلامة الفرد[٦].

---

[٤] العقاد ، عباس محمود ؛ اثر العرب في الحضارة الأوربية ، ص٢٦ .

[٥] حامد التكروري و خضر المصري ؛ دور التراث العربي والإسلامي في مجال الغذاء والتغذية في المنجزات العلمية الغربية ، (عمان ، دار حنين للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٤) ص٧ .

[٦] أسماء يوسف احمد ذياب ؛ الرعاية الصحية والطبية في القرن الأول الهجري ، رسالة ماجستير(الشارقة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية ، ٢٠١١م) . ص١٢

وعلم الأغذية عند الأطباء العرب والمسلمين علم قائم بذاته ، أكثروا فيه التأليف والتصنيف ، فبحثوا في الأغذية واكتشفوا أن كثيرا من الأغذية فيها شفاء كثير من الأمراض ، واتخذوا من قول "أبقراط" ((ليكن غذاؤك دواءك)) حكمة ساروا عليها في الطب العربي .

يقول "الرازي"(٨٦٥ – ٩٢٥ م) ((ما قدرت أن تعالج بالأغذية ، فلا تعالج بالأدوية ، والماهر بطبائع الأغذية متسع))[٧] .

ويقول "المجوسي" (ت٣٦٤ هـ) ((إن أمكنك أن تعالج العليل بالغذاء فلا تعطه شيئا من الدواء ، وإن أمكنك أن تعالج بدواء مفرد ، فلا تعالج بدواء مركب))[٨] .

ويقول "الزهراوي" (٩٣٦ – ١٠١٣ م)((ثم داوم جهدك أن تجعل علاجك للمرضى بالأغذية دون الأدوية فهو الأقرب إلى السلامة وأبعد من المكروه وأحمد في العاقبة))[٩] .

ويمكن أن نوجز هنا المنهج العلمي الذي استخدمه علماء العرب والمسلمين في مجال الغذاء والتغذية بما يأتي[١٠] :-

---

(٧) الرازي ، أبو بكر محمد بن زكريا ؛ المرشد أو الفصول ، تحقيق الدكتور ألبير زكي إسكندر ، ج١ ، المجلد ٧ ، (مجلة معهد المخطوطات العربية ، ١٩٩١) ص ٩٣

(٨) المجوسي ، على بن العباس ؛ كامل الصناعة في الطب ، ج١ ، ص ١٧٨ (القاهرة ، المطبعة الكبرى بالديار المصرية ؛ ١٢٩٤هـ) .

(٩) الزهراوي ، أبو القاسم خلف بن العباس ؛ التصريف لمن عجز عن التأليف ، المقالة السادسة (الهند ، مطبعة لكنو ،١٩٠٨) ص ٣٣ .

(١٠) حامد التكروري وخضر المصري ؛ مصدر سبق ذكره ، (٢٠٠٤) ص١٠ .

١- كان كتاب الله والسنة النبوية الشريفة هي المرجعين الرئيسيين لهذا المنهج العلمي .

٢- اعتمدوا مبدأ الاعتدال والوسطية في عملية التغذية .

٣- استندوا في أبحاثهم ودراساتهم العلمية البحثية الى أن المشاهدة والتجربة والبرهان هي أساس في اعتماد ما تعززه أعمالهم واكتشافاتهم .

٤- نبذ العلماء العرب والمسلمون أفكار الشعوذة والسحر والتنجيم واستخدامها في مجال الغذاء والتغذية .

٥- استخدم العلماء العرب والمسلمون نظرية (الأخلاط الأربعة) في أبحاث الغذاء والتغذية والطب والصحة التي كانت مرتبطة ومتداخلة فيما بينها آنذاك والتي تستند الى ربط كل من التغذية والغذاء والأمراض التغذوية والتداوي الصيدلاني والغذائي مع بعضهما ، وهذا المبدأ العلمي المعتمد حاليا في هذا المجال .

ولقد كان ((الطب)) خلال القرون الأولى بعد الهجرة النبوية ، جزءً لا يتجزأ من الثقافة العربية الإسلامية العامة . وظهرت مؤلفات عربية طبية ، وقام الأطباء المسلمون بدور فعال في تقدم العلوم الطبية لدى الغرب . ولقد سبق المسلمون إلى الطب الوقائي الذي كان معروفا (بعلم الصحة) ، وهو علم يبحث الوقاية من الأمراض قبل حدوثها .

وتكمن أهمية البحث ، في تعريف القارئ الكريم ، وجميع طلاب الكليات العلمية والإنسانية في بلدنا العزيز والعالم العربي والإسلامي والذين غاب عنهم تراثنا الضخم الذي خلفه تأريخنا العربي والإسلامي

المجيد ، وأورثتنا إياه حضارتنا العظيمة الخالدة .وعلى هذا الأساس سيكون تناولنا موضوع التغذية العلاجية في التراث العربي والإسلامي في محورين وهما كالأتي :-

المحور الأول : الأمور المتعلقة بالإنسان الذي يتناول الغذاء : وهي كما يأتي :-

القسم الأول/ الحاجة إلى الغذاء وتنظيمه :

إن الاحتياجات الغذائية هي ، اقل كمية من العناصر الغذائية التي يتناولها الفرد ، والتي يتمكن الإنسان بواسطتها المحافظة على وظائف جسمه الطبيعية .

ويحتوي الغذاء على العناصر الغذائية التي تكون الأساس في حياة الإنسان (لا يستطيع الإنسان العيش والبقاء من غير الطعام في أسابيع قليلة) . ويبقى في كل العصور أن الغذاء الحاجة الأولى دائما ، الأمر الذي يؤكد انه من الضروري تزويد الفرد بالعناصر الغذائية التي تمد الجسم بالطاقة اللازمة (للدفء ، والحركة ، والنشاط العقلي والذهني ، وحركات العضلات ، والنشاط الحيوي ، كالقلب ، والرئتين ، ونشاط الغدد الصماء ، وإمداده بمستلزمات النمو والتكاثر والبناء والوقاية ومقاومة الإمراض)[١١] .

إن كل العناصر الغذائية التي تمثل الحاجة الأساسية لجسم الإنسان موجودة في الغذاء الذي نتناوله يوميا ، وان عدد كبير من الأغذية المختلفة

---

[١١] احمد عسكر ومحمد حافظ صفوت ؛ الغذاء بين المرض وتلوث البيئة (القاهرة ، الدار العربية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٨) ص١٣ .

توفر للجسم ما يحتاجه من هذه العناصر الغذائية ، ســواء لبنــاء العظــام والأنسجة والخلايا أو لتزويد الطاقة وتنظيم العمليات الحيوية المختلفة ولكن لا يمكن لأية مادة منفردة واحدة أن تسد جميع احتياجات الجسم من المواد الغذائية (١٢) .

وان تغذية الإنسان هي الأساس الأول للعناية بصحته واســتمرار حياته ، منذ أن يكون جنينا في رحم أمه حتى ولادته وبلوغه ثم شيخوخته ومفارقته للحياة . إن التغذية تتم بشكل منتظم يومي وبمعدل ثلاث وجبات غذائية . إن للوجبة الغذائية علاقة بالدخل الاقتصادي للأسرة (مدى رفاهية الأسرة) وكذلك المستوى الثقافي والاجتماعي والعادات في التغذيــة بــين الريف والحضر ، ونجد من الأهمية التعرف على أسس التغذيــة الســليمة وعلاقتها بالصحة العامة (١٣).

ونظرة الإسلام إلى الطعام والشراب أي ، الغذاء الذي هو عصب حياة الإنسان هي كذلك الوسطية والاعتدال ، فلا إفراط ولا تفــريط .. ولا إسراف ولا تقصير .. وأفردت آيات القران الكريم مساحة خاصة للغذاء ، والى ضرورة ترشيد استعماله وعدم الإفراط به إذ قال عز وجل (يَا بَنِــي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّــهُ لا يُحِــبُّ الْمُسْرِفِينَ) (لأعراف:٣١) .

---

(١٢) علي حسين السلطان ؛ الطريق إلى تغذية صحية أفضل (بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ٢٠٠٤) ص٣٢ .

(١٣) فريال عبد العزيز إسماعيل ؛ الغذاء والتغذية (الكويت ، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ، ١٩٨٨) ص٥ .

وقد ورد في السنة النبوية بالأدلة الموجهة إلى النهي عن الإكثار والإفراط في تناول الطعام والشراب . فقد قال (صلى الله عليه وسلم) [ما ملأ ادمي وعاء شر من بطنه ، بحسب ابن ادم لقيمات يقمن أوده ، فان كـان لابـد فاعل فثلث لطعامه وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه][14] .

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال (لو أن الناس قصدوا في الطعام لاعتدلـت أبدانهم) . وقال أيضا (لا تجلس على الطعام إلا وأنت جائع ، ولا تقم عن الطعام إلا وأنـت تشـتهيه ، وجّـود المضغ ، وإذا نمت فاعرض نفسك على الخلاء ، فـإذا اسـتعملت هـذا استغنيت عن الطب) [15] .

ومراتب الغذاء ثلاثة مرتبة الحاجة ، مرتبـة الكفايـة ، مرتبـة الفضلة . فاخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) انه يكفيه لقيمات يقمن صلبه ، فلا تسقط قوته ولا تضعف معها . فان البطن إذا امتلأت مـن الطعـام ، ضاقت عن الشراب ، فإذا ورد عليه الشراب ، ضاق النفس ، وعرض له الكرب والتعب . وصار محمله بمنزلة حامل الحمل الثقيل . هذا إلى مـا يلزم ذلك من فساد القلب وكل الجوارح عن الطاعـات ، وتحركهـا فـي الشهوات التي يستلزمها الشبع[16].

---

[14] رواه الترمذي وحسنه ، ج٤ ، كتاب الزهد ، ص٥٩٠ – والنسائي – وابن ماجه .

[15] البرقي ، أبو جعفر احمد بن محمد خالد ؛ المحاسن ، (النجف الأشرف ، ٣٨٠ هـ) ص٤٣٨ .

[16] ابن قيم الجوزية : الطب النبوي ، تحقيق عبد الغني عبد الخالق ، ط١ (بيروت ، دار العلوم الحديث ، ١٩٨٣) ص١٣ .

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) [فكلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير مخيلة ، ولا سرف فان الله يحب أن يرى نعمته على عبده][17] . كما روي عن" أبي هريرة " رضي الله عنه قال ،قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) [يأكل المسلم في معي واحدة ، والكافر يأكل في سبعة أمعاء][18] .

وقد ذكر "ابن حجر العسقلاني" في شرحه هنا الحديث النبوي قال ، معنى المؤمن يأكل في معي واحد ، أي يزهد في الدنيا فلا يتناول منها إلى قليلا ، والكافر في سبعة ، أي يرغب فيها فيستكثر منها . وقيل المراد حض المؤمن على قلة الأكل إذا علم أن كثرة الأكل صفة الكافر ، ويدل على أن كثرة الأكل من صفة الكافر قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ) (محمد:١٢) . وقيل أن من شان المؤمن التقليل من الأكل للاستعانة بأسباب العبادة ، ولعلمه بأنه مقصد المسلمين من الأكل ما يسد الجوع ويمسك الرمق ويعين على العبادة[19].

وعن أمير المؤمنين عمر (رضى الله عنه) قال(إياكم والبطنة من الطعام ، فإنها مكسلة عن الصلاة ، مفسدة للجسم ، مورثة للسقم) وقد أثبتت

---

[17] ابن حجر العسقلاني ؛ فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، (القاهرة ، مكتبة القاهرة) كتاب الأطعمة.

[18] ابن حجر العسقلاني ؛ نفس المصدر السابق ، ج٢ ص ٢٣٢-٢٣٦ - صحيح مسلم ج٣ ص١٦٣١ .

[19] ابن حجر العسقلاني ؛ نفس المصدر السابق ، ص٢٣٤-٢٣٥

الدراسات الحديثة ، حقا أن المعدة بيت الداء ، وان البطنة (أي : التخمة) تذهب الفطنة ، وتبعث على الخمول والكسل)[٢٠] .

وقد ذكر "ابن قيم الجوزية" عن أضرار الإكثار من الطعام وإدخال الطعام ما يأتي :-

الأمراض نوعان ، أمراض مادية تكون عن زيادة مادة أفرطت في البدن حتى أضرت بأفعاله الطبيعية . وهي من الأمراض الأكثرية ، وسببها إدخال الطعام على البدن قبل هضم الأول ، والزيادة في القدر الذي يحتاج إليه البدن ، وتناول الأغذية قليلة النفع البطيئة الهضم ، والإكثار من الأغذية المختلفة التراكيب المتنوعة . فإذا ملأ الآدمي بطنه من هذه الأغذية واعتاد ذلك أورثه أمراضاً متنوعة ، منها بطيء الزوال وسريعة . فإذا توسط في الغذاء وتناول منه قدر الحاجة وكان معتدلا في كميته وكيفيته ، كان انتفاع البدن به أكثر من انتفاعه بالغذاء الكثير . ويشير إلى قول "الحارث بن كلدة" الذي يقول ((أن المعدة بيت الداء وهي محل للهضم الأول ، وفيها ينضج الغذاء ، وينحدر منها بعد ذلك إلى الكبد والأمعاء ، ويتخلف منه فيها فضلات عجزت القوة الهاضمة عن إتمام هضمها ، إما لكثرة الغذاء أو لرداءته أو لسوء ترتيب استعماله أو لمجموع ذلك . وهذه الأشياء لا يتخلص منها الإنسان غالبا . فتكون المعدة بيت الداء ، كأنه

---

[٢٠] علي بن حسام الدين ؛ كنز العمال (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٩) ، ٧٣١/١٤ .

يشير بذلك إلى الحث على تقليل الغذاء ، ومنع النفس من إتباع الشهوات والتحرز من الفضلات[21].

يقول "البلخي" (٨٤٩ – ٨٤٣ م) ((أنه لا سبيل للإنسان ولا لغيره من سائر الحيوان إلى بقاء في هذا العالم بغير إغتذاء ، فمتى عدم الحي الغذاء البتة ، هلك وانحل التركيب ، ومتى إغتذى بغذاء غير موافق له في طبيعته ومزاج بدنه سقم وكثيرا ما يؤديه سقمه للتلف . . ومتى جرى تدبيره على الصواب في أمر غذائه ولم يمنع بدنه منه الكفاية ولم يزد عليها سلم من أكثر العلل والأعراض مدة حياته بإذن الله ومشيئته))[22] والمعروف اليوم إن تنظيم الغذاء وتقنينه من القواعد الأساسية في الطب الحديث لوقاية الإنسان من الإصابة ببعض الأمراض .

القسم الثاني / أوقات وعدد مرات الأكل :

قال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز (فَلْيَنْظُرِ الإنسان إِلَى طَعَامِهِ) (عبس:٢٤) وقال تعالى (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) (الإسراء:٨٢) ، وقال سبحانه (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) (الشعراء:٨٠)

---

[21] ابن قيم الجوزية ؛ زاد الميعاد في هدي العباد ، ج٣ (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٦) ص٦٨ .

[22] البلخي ، أبي زيد أحمد بن سهل ؛ مصالح الأبدان والأنفس ، تحقيق محمود مصري (القاهرة ، ٢٠٠٥) ص ٣٧٩ .

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) [ما انزل الله داء ، إلى انــزل لــه دواء][23]. وقال (صلى الله عليه وسلم) [أن الله عز وجل لــم ينــزل داء إلا انزل له شفاء ، علمه من علمه ، وجهله من جهله][24]. وقال (صــلى الله عليه وسلم) [تداووا عباد الله فإن الله سبحانه وتعالى ، لم يضع داء إلى وضع معه الشفاء ، إلا الهرم][25].

تناول الطعام بين الوجبات : وهو السبب في زيادة مخزون الشحوم أيضاً وإرباك لنظام الجهاز الهضمي الذي صمم على أســاس الوجبــات الأساسية ، وقد ورد عن الأمام الصادق (عليه السلام) (تغد وتعشــى ولا تأكلن شيئاً بينهما ، فإن فيه فساد البدن)[26] .

ويجب أن يكون معلوماً أن مفهوم الصحة ليس كما قد يفهم بعض الناس انه مجرد خلو الجسم من بعض الأمراض والعاهات ، ولكن المفهوم يتسع لأكثر من هذا ، إذ أن الصحة تعني (حالة اكتمال لياقــة الإنســان الجسمية والبدنية والفكريــة العقليــة والنفســية العاطفيــة والاجتماعيــة والمعيشية ، وليست مجرد خلوه من الأمراض والعاهات ، والإسلام يهدف ضمن ما يهدف إلى هذا المفهوم الشامل للصحة[27].

---

[23] رواه الترمذي ؛ كتاب الطب ، باب ما جاء في الرق والأدوية ، ج٤ ، ص٣٩٩ .

[24] ابن مسعود ؛ في المسند ، أخرجه النسائي ، ابن ماجه ، الحاكم ، وابن حيان في صحيحيهما .

[25] سنن ابن ماجه – سنن الترمذي ، أبواب الطب ، باب ما جاء في الدواء (٢١٠٩) .

[26] البرقي ؛ مصدر سبق ذكره ، (٣٨٠ هـ) ص٤٣٩ .

[27] كمال عبد الحميد عثمان ؛ الوسطية في الغذاء والتغذية ، (موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة) www.55a.net ، ص٣ .

ولا نظن أن هناك دينا من الأديان قد أسهب في الحديث عن الغذاء المناسب لصحة أتباعه كما فعل الإسلام ، فقد حرص الدين الإسلامي الحكيم على نوع الغذاء وكميته وطرقة تناوله مما يمثل في مجمله قانوناً غذائياً عاماً للمسلمين . ومن أقوال "الحارث بن كلدة " ((من أراد البقاء ولا بقاء [أي ولا خلود في الدنيا في الحقيقة] ، فليجَود بالغذاء وليأكل على نقاء [أي لا يدخل الطعام على طعام] ، وليقل من شرب الماء ، ويتمشى بعد العشاء ، ولا يبيت حتى يعرض نفسه على الخلاء))[٢٨] .

وقد اتفق الأطباء على انه متى أمكن التداوي بالغذاء لا يعدل إلى الدواء ، ومتى أمكن بالبسيط لا يعدل إلى المركب . والأدوية من جنس الأغذية ، والأمة أو الطائفة التي غالب أغذيتها المفردات فأمراضها قليلة جدا، وطبها بالمفردات . وأهل المدن الذي غلبت عليهم الأغذية المركبة يحتاجون إلى الأدوية المركبة . وسبب ذلك أن أمراضهم في الغالب مركبة ، فالأدوية المركبة انفع لهم . وأمراض أهل البوادي والصحاري مفردة ، فيكفي في مداواتها الأدوية المفردة[٢٩].

وعن أوقات تناول الغذاء يقول "الرازي"((وأما وقت تناول الغذاء فينبغي أن يكون بعد أن تتحرك الشهوة حركة مستلذة مستبانة ، وينصرف الطعام الأول ، وتهش النفس للطعام الثاني . . لأنه إن وقع تناول الغذاء

---

[٢٨] ابن قيم الجوزية ؛ زاد المعاد في هدي العباد ، مصدر سبق ذكره (١٩٩٦) ، ص٣١ .

[٢٩] ابن قيم الجوزية ؛ زاد المعاد في هدي العباد ، نفس المصدر السابق ، (١٩٨٦) ص٦٥ .

قبل هذا الوقت فسد الهضم بمقدار الحاجة إلى تأخيره . . . وإن تأخر عن هذا الوقت فسد الهضم أيضا بمقدار الحاجة إلى تقديم وقت الطعام)) وعن عدد مرات الغذاء يقول ((وأما عدد مرات الغذاء فينبغي أن يكون بحسب العادة وحسب الاحتمال ، وحال المعدة . . فإن من كانت عادته جارية بأن يأكل في النهار مرة إلى أن يأكل مرتين على غير تدريج طويل إلى ذلك ، ساء هضمه . فمن جرت عادته بالأكل مرتين ، إن هو أكل مرة واحدة ضعف بدنه ونهك وعرضت له أمراض))[٣٠].

ويقول "البلخي" في ذلك ((والسنة العامية في الأكل أن تكون مرتين في اليوم والليلة غدوا وعشيا وهذا تدبير يصلح للعامة . . فأما الملوك وأهل النعمة فالأصلح لهم أن يجعلوا طعامهم أكلة واحدة))[٣١].

إن القواعد الصحية التي أشار إليها "الرازي" و"البلخي" بالنسبة لأوقات تناول الطعام صحيحة تماما ،وما زال يوصي بها الأطباء اليوم ، فالطعام ينبغي أن يكون عند الحاجة إليه ، وحاجة الجسم هي التي تقرر متى يأكل الإنسان[٣٢]. وكذلك ما ذكروه حول الحاجة إلى وجبتين في اليوم عند الناس عامة يوصي به اليوم كثير من خبراء التغذية[٣٣].

---

[٣٠] الرازي ، أبو بكر محمد بن زكريا ؛ منافع الأغذية ودفع مضارها (بيروت ، دار إحياء العلوم ،١٩٨٢) ص ٢٦٣

[٣١] البلخي ؛ مصدر سبق ذكره ، (٢٠٠٥) ص ٤٠٣ .

[٣٢] الحلبي ، محيي الدين طاهر ؛ الطب الإسلامي ، ط١ (بيروت ، دار ابن كثير ، ١٩٩٢) ص ١٨٨ .

[٣٣] جميل ، ألبير ؛ الموسوعة الطبية الشاملة (بيروت ، دار إحياء التراث العربي) ص ٧١ .

يقول سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) (البقرة: ١٧٦)

يقول "ابن خلدون" في مقدمته ((صناعة الطب تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح ، فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية))[٣٤].

إن التخطيط الغذائي في كل مرحلة من مراحل العمر ، وكل قطاع يعد من أهم واجبات الدولة ، ولضمان جو صحي للفرد والأسرة والمجتمع . وان استبعاد سوء التغذية عن أفراد المجتمع مهمة كبيرة ولاسيما أننا نجد أن ثلثي سكان العالم يعانون سوء التغذية ، ومنها أمراض التغذية التي أهمها (الأنيميا مرض فقر الدم) والتهاب الجلد ، والكساح (لين العظام) ، وأمراض العين ، وتضخم الغدة الدرقية ، والإسقربوط ، وأمراض الحساسية ، وعشرات بل مئات من الأمراض التي سببها سوء التغذية . وتدل الإحصائيات أن (٦٥٪) من الأطفال الذين يموتون قبل بلوغ السن الخامس من العمر في الدول الفقيرة ، وباقي الأحياء (٧٠٪) يعانون من سوء التغذية المزمن[٣٥].

والغذاء المتوازن هو الغذاء الذي يحتوي على الكميات الكافية من (الكاربوهيدرات والدهون والفيتامينات والبروتينات والأملاح المعدنية

---

[٣٤] ابن خلدون ؛ مصدر سبق ذكره ، (١٩٨٤) ص٨ .

[٣٥] علي حسين السلطان ؛ مصدر سبق ذكره (٢٠٠٤) ص١٤٤

والماء) وبالنسب الضرورية للنمو والصحة الحيوية والنشاط والتكاثر .
ويمكن أن نجمع الأطعمة التي نتناولها في مجموعات أساسية هي الأتي[٣٦] :-

١- مجموعة أطعمة النمو والبناء :- اللبن ومشتقاته ، اللحوم ، الطيور ، الأسماك ، وبعض البقول

٢- مجموعة أطعمة الطاقة والمجهود :- السكريات ، النشويات ، الدهون ، الزيوت ، الحبوب .

٣- مجموعة أطعمة الوقاية الطبيعية :- الخضروات والفواكه الطازجة ، الخضروات المطبوخة

عن الطعام بحسب السن والمهنة يقول "الرازي" ((وقد تختلف موافقة الطعام أيضاً بحسب الأسنان . فإن الطعام الأرطب والأرق أوفق لسن الصبيان ، والمتين القوي الغذاء للشباب ، والفواكه والحار والرطب باعتدال السريع الإغذاء لسن المشايخ . وبحسب المهنة ، فيكون الغليظ اللزج الكثير الإغذاء أوفق لأصحاب التعب ولمتخلخلي الأبدان ، واللطيف اليسير الغذاء أوفق لمدمني البطالة ، ومن لا يتحلل من بدنه شيء))[٣٧].

إن علم التغذية اليوم يبحث في توفير الغذاء الصالح والنوعيات المناسبة للأفراد والجماعات على وفق حاجاتهم ويراعى في الغذاء توفر الحاجات الغذائية حسب طبيعة الفرد (طفل ، شاب ، كهل ، حامل ، مرضع) وعن مقدار الطعام يقول "الرازي"((والمقدار يمكن أن يستولي

---

[٣٦] كمال عبد الحميد عثمان ؛ مصدر سبق ذكره ، ص: .

[٣٧] الرازي ؛ منافع الأغذية ، مصدر سبق ذكره ، (١٩٨٢) ص ٢٧١ .

عليه الهضم هو أن يدع الإنسان طعامه قبل أن يشبعه ويكرهه)) ويقول ((وبالضد فإن النقصان في هذا المقدار ينقص ما ذكرنا ، ويضعف وينهك عليه البدن ، ويمكن ذلك مع سن الصبي والشباب ، وما دام الكهل قوي الاستمراء))[٣٨].

ويقول "ابن هبل" (المتوفي ٦١٠ هـ)((وأضر شيء على الأبدان إدخال طعام على طعام لم ينهضم والشبع المفرط عقيب جوع مفرط))[٣٩].

ويقول "البلخي" في ذلك ((وكان الأقوال من الأطباء وغيرهم قد اتفقت على حمد قلة الأكل ، وتصدير ذلك سببا لدوام الصحة ؛ وأمنا من الأمراض الحادثة ، حتى حكموا بأن الحمية أصل الطب ، وأن قلة الأكل هو أفضل علاج ، وهذا حكم لا يجوز أن يطلق في كل وقت وحال وسن وطبيعة . .وإذا كان كذلك فالذي يلحق من نقصان الغذاء ، وإعدام البدن منه ما يحتاج إليه – شبيه بالذي يلحق من الزيادة فيه إعطاء البدن منه ما لا يحتاج إليه في إضرار كل منهما بالإنسان وتوليده العلل والأمراض))[٤٠].

---

(٣٨) الرازي ؛ نفس المصدر السابق ، (١٩٨٢) ص ٢٦٠ – ٢٦١ .

(٣٩) ابن هبل ، مهذب الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن علي ؛المختارات في الطب ، ط١، ج١ (الهند ، حيدر أباد الدكن ، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٢٣ هـ) ص ٢١٣ .

(٤٠) البلخي ؛ مصدر سبق ذكره ، (٢٠٠٥) ، ص ٤٠٦ .

وهذا أمر تؤكده القواعد الصحية الحديثة ، إذ يؤدي قلة الغذاء إلى حدوث فقر الدم ، وانهيار قوى البدن فضلا عن الأمراض الخاصة التي يسببها نقص كل عنصر على حدة .

القسم الرابع / شرب الماء :

قال سبحانه وتعالى (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ) (الأنبياء:٣٠) ، وقال تعالى (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ) (السجدة:٢٧) ، وقال تعالى (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (فصلت:٣٩) وقال تعالى (أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ) (الواقعة:٦٨) ، وقال تعالى (أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا) (عبس:٢٥)

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) [لا تشربوا في نفس واحد : كشرب البعير ولكن ، اشربوا مثنى وثلاث ، وسموا إذا انتم شربتم ، واحمدوا إذا انتم فرغتم][٤١]. وقال (صلى الله عليه وسلم) [يتنفس في الشراب ثلاثاً ويقول انه أروى وامرأ وابرأ][٤٢].

إن الماء مادة أساسية للإنسان ، وهو العنصر الأساسي اليومي لحياة الإنسان الذي لا يمكنه الاستغناء عنه . فهو المكون الأساسي لجميع

---

[٤١] سنن الترمذي ، أبواب الأشربة ، باب التنفس في الإناء (١٩٤٧) .

[٤٢] أخرجه البخاري وأبو داود وابن ماجه – سنن الترمذي ، أبواب الاشربة ، باب التنفس في الإناء (١٩٤٥) .

الخلايا الحية للأنسجة ، إذ يعد وسط التفاعل الأساسي داخل الخلية وخارجها ، إذ تتم عنده التفاعلات الإنزيمية . كذلك يدخل في جميع إفرازات الجسم . وهو مكون أساسي لسوائل الجسم ذات الوظيفة الحيوية مثل (اللعاب ، الغدد ، الدموع ، الإفرازات المخاطية والبول) ويعد الماء أيضاً الأساس في تنظيم درجة حرارة الجسم عن طريق إفراز العرق خلال الغدد العرقية في الجلد . ويحفظ اتزان الخلايا عن طريق قدرته على الحركة من داخل إلى خارج الخلايا وبالعكس ، ولقدرته على التأين فيعدل درجة الحموضة القلوية[٤٣].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) [الحمى فوح من النار ، فأبردوها بالماء][٤٤].

وقال "ابن القيم" الماء البارد رطب : يقمع الحرارة ، ويحفظ على البدن رطوبته الأصلية ، ويرد عليه بدل ما تحلل منها ، ويرقق وينفذه في العروق . وقالوا رأينا العطشان إذا حصل له الري بالماء البارد تراجعت إليه قواه ونشاطه وحركته ، وصبر عن الطعام . وانتفع بالقدر اليسير منه . ورأينا العطشان لا ينتفع بالقدر الكثير من الطعام ولا يجد به القوة والأغتذاء ، ونحن لا ننكر أن الماء ينفذ الغذاء إلى أجزاء البدن ، والى جميع الأعضاء . وانه لا يتم الغذاء إلا به[٤٥].

---

[٤٣] علي حسين السلطان ؛ مصدر سبق ذكره (٢٠٠٤) ص٤٠ .

[٤٤] سنن الترمذي ؛ كتاب الطب ، باب ما جاء في تبريد الحمى بالماء ، ج٤ ، ص٤٠٤ (٤٠٥، ٤١٢) .

[٤٥] ابن القيم الجوزية ؛ الطب النبوي ، مصدر سبق ذكره ، (١٩٨٣) ص ١٧٦/١٨٠ .

وعن شرب الماء على الطعام يقول "الرازي" ((وأما شرب المـــاء علـــى الطعام فينبغي أن يكون أقل المقدار الذي يمكن ما دام يأكل ، وبعد أن يدع الأكل بساعة . ولا يستوفي بل يجرع الماء جرعا . وأما قلة الشرب على المائدة فمحمود ، إن لم يكن معه عطش وكان الأكل لا يحتمل ذلــك بعــد شربه . فإنه إن فعل الآكل ذلك نشط الطعام في المعدة واســتوي وفســد ، وهاج منه الجشأ))[46].

القسم الخامس / الحالة النفسية للمتغذي :

وقال تعالى في محكم كتابه الكريم (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا) (الشمس:٧) وقال تعالى (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَــامَ رَبِّــهِ وَنَهَــى الــنَّفْسَ عَــنِ الْهَــوَى) (النازعــات:٤٠) .

يقول المصطفى(صلى الله عليه وسلم) [من أصبح منكم أمناً في ســربه ، معافى في جسده ، عنــده قــوت يومــه ، فكأنمــا حيــزت لــه الــدنيا بحذافيرها][47]. وقال (صلى الله عليه وسلم) [لا تكرهوا مرضاكم علــى الطعام والشراب فإن الله يطعمهم ويسقيهم][48].

وتأريخ الطب عند المسلمين الأوائل ، الذين استقوا من نبع القرآن والسنة المحمدية ، مليء باللمحات المضيئة في التصدي لعلاج الــنفس .

---

[46] الرازي ؛ منافع الأغذية ، مصدر سبق ذكره ، (١٩٨٢) ، ص ٢٦٤ .

[47] سنن الترمذي ، أبواب الطب ، باب لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب (٢١١٢) .

[48] سنن ابن ماجه ؛ كتاب الطب ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ج٢ ، (٣٤٤٤) ، ص ١٣٩ .

والجسد كوحدة واحدة متصلة الأطراف . هذا التلاحم في علاج الجسد والنفس ، مع بساطة الوسائل في تلك الفترة ، هو ما يفتقده الطب الحديث ، على الرغم من التقدم التقني الذي أحرزه . ((والطب لغة علاج الجسم والنفس ، ومن علم الطب ، والطبيب من حرفته الطب أو الطبابة ، وهو الذي يعالج المرضى ونحوهم ، والطبيب : الحاذق الماهر والجمع أطبه وأطباء))[٤٩] .

من الأمور التي يوصي بها علماء التغذية اليوم ضرورة أن يكون الإنسان بوضع نفسي ممتاز عند الطعام ؛ لأن الأكل في حال القلق والغم والخوف يؤدي إلى عسر في الهضم . وقد أدرك الأطباء العرب والمسلمون أهمية الحالة النفسية للإنسان عند الأكل . والإنسان في حاجة الى الطعام والشراب ليستطيع التحرك والتفكير وممارسة حياته بصفة طبيعية ، أما إن أصابه المرض ففي أحيان كثيرة يجد أن نفسه قد عافت الطعام والشراب ، بل أن مذاق الطعام في فمه قد يصبح مختلفاً ، فلا يستسيغه .وقد عرف الطب الحديث أن امتناع المريض عن الطعام في أثناء مرضه يكون أحياناً من عوامل الشفاء .

ويقول "أبن القيم" ((وقد علم أن الأرواح متى قويت النفس والطبيعة على رفع الداء وقهره)) وقال ((كل طبيب لا يداوي العليل بتفقد قلبه وصلاحه ؛ وتقوية روحه وقوته ، بالصدق ، وفعل الخير ،

---

[٤٩] الطبراني ، أبو القاسم سليمان بن احمد ؛ المعجم الوسيط ، ج٢ ، تحقيق : طارق عوض وعبد المحسن إبراهيم (القاهرة ، دار الحرمين ، ١٩٧٣) ص٥٠ .

والإحسان ، والإقبال على الله والدار الآخرة ، فليس بطبيب ، بل متطبب قاصر))[٥٠].

واهتم "الرازي" اهتماماً بالغاً في تدوين الملاحظات السريرة بمرضاه ، فاهتم بمعرفة سير المرض ودراسة أحوال مريضه في نومه وحياته وصحيانه ومزاجه وعمره وصناعته ، والإمراض الوراثية في عائلته وأحوال أسرته الاجتماعية والاقتصادية ، وعادات المريض في الأكل وأنواع الأطعمة التي يتناولها باستمرار ، وكان يقول (استخرج سبب الوجع من التدبير والسن والزمان والمزاج) .وكان "الرازي" من الأطباء الذين يهتمون بالحالة النفسية للمريض ، بل انه كان يرى أن بعض أمراض الجهاز الهضمي نتيجة لأسباب نفسية بالدرجة الأولى (قد يكون لسوء الهضم أسباب بخلاف رداءة الكبد والطحال منها حال الهواء والاستحمام ونقصان الشرب وكثرة إخراج الدم والجماع والهموم النفسية)[٥١].

ويقول "الرازي" ((ينبغي للطبيب أن يوهم المريض أبداً بالصحة ، ويرجيه بها ، وان كان غير واثق بذلك ، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس))[٥٢].

---

[٥٠] ابن قيم الجوزية ؛ زاد المعاد في هدي العباد ، مصدر سبق ذكره ، (١٩٨٦) ص ٤/١٠/١١ .

[٥١] الرازي ، أبو بكر محمد ابن زكريا ؛ الحاوي في الطب ، ط١ ، ج٣ (الهند ، مطبعة دار المعارف العثمانية ، ١٩٦٢) ص ٢٧٩ .

[٥٢] الرازي ، أبو بكر محمد بن زكريا ؛ المنصوري في الطب ، تحقيق حازم البكري ، ط١ (الكويت ، منشورات معهد المخطوطات العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٨٧) ص ٧٦ .

وقول "الرازي" أيضاً ((مزاج الجسم تابع لأخلاق النفس .. لا تعالج بالدواء إذا استطعت أن تعالج بالغذاء وحده ولا تعطي دواءً مركباً إذا استطعت بدواء بسيط)) ((ومريض الجسد كثيراً ما يعني من اضطراب النفس ، وفي علاج واحد منها علاج للآخر ، والأمر قبل وبعد بيد الله))[٥٣].

ويقول "الرازي" ((والغم أيضا إذا حدث بعد الطعام أفسد الهضم بإكمانه الحرارة الغريزية ، ومنعه من استيفاء التنفس والنوم ، وكذلك الخوف))[٥٤].

يقول "البلخي" ((ومن مصالح البدن في باب الطعم أن يجتنب الإنسان بجهده الأكل على حال قلق من غضب أو غم أو خوف شديد يتمكن منه وما أشبه ذلك من الأعراض النفسانية ، فإنه لا يكاد يستمرئ مع تسلط بعض الأعراض عليه شيئا يأكله ، ولا يكاد ينتفع به)) ((ويجتهد مع ذلك أن يسر بمحادثة المواكلين ، ومؤانسة المنادمين فإن ذلك مما يعين على نجوع الغذاء في البدن وجودة انهضامه))[٥٥].

المحور الثاني : الأمور المتعلقة بالغذاء نفسه :وهي كما يأتي :-

قال تعالى في كتابه العزيز (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) (البقرة :١٧٢) .

---

[٥٣] احمد توفيق حجازي ؛ الموسوعة الصحية ، ط١ (الأردن ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، ١٩٩٩) ص١٥ .

[٥٤] الرازي ؛ منافع الأغذية ، مصدر سبق ذكره (١٩٨٢) ص ٢٦٨ .

[٥٥] البلخي ؛ مصدر سبق ذكره (٢٠٠٥) ، ص ٤١١ .

التغذية مفردة من مفردات حياة الإنسان المسلم ، غايتها التقوى على طاعة الله والاستعانة بالغذاء في توفير الطاقة اللازمة للجسم ، وللمحافظة على صحته بما يضمن بقاءه واستمراره على تأدية الواجبات والقيام بحقوق العبودية لله عز وجل ، وأعمار الأرض على وفق منهج الله . وأيضاً ورد في السنة النبوية التحذير من بعض الأطعمة التي لها آثار سلبية على الصحة البدنية والنفسية ، وهي ما تسمى بالأطعمة المحرمة ، ومنها الخمر، إذ قال الله عز وجل بشأنها (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (المائدة:٩٠) وقال تعالى(إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) (المائدة:٩١) .

ويقول النبي (صلى الله عليه وسلم) عن الخمر [كل شراب اسكر فهو حرام][٥٦] . ويقول (صلى الله عليه وسلم) أيضاً [ما اسكر كثيره ، فقليله حرام][٥٧]. وقد أثبتت الأبحاث العلمية أن شرب الخمر يؤدي إلى التهاب في الأمعاء وزيادة نوبات مرض النقرس ، والتخلف العقلي ، والتشوهات الخلقية للأطفال الذين يولدون من أمهات مدمنات ، وغيرها من الأمراض[٥٨]. لذا أطلق على الخمر أم الخبائث ، لأنها تذهب

---

[٥٦] ابن حجر العسقلاني ؛ فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، كتاب الاشربة - صحيح مسلم ، كتاب الاشربة (٢٠٠١) .

[٥٧] سنن الترمذي ؛ أبواب الاشربة ، (١٩٢٧) -- سنن النسائي ، كتاب الاشربة .

[٥٨] فارس ، معز الإسلام عزت ؛ التغذية في الإسلام ؛ من موقع
(www. Tagthia / islam.htm)

العقل وتدفع الإنسان لارتكاب المحرمات . وحرم أيضاً لحم الخنزير فهو حيوان قذر يعيش على الأوساخ والقاذورات ، وهو ما تأباه النفس السوية ، وتعافه وترفض تناوله ، لما فيه من إخلال بطبع الإنسان ومزاجه السوي الذي خلقه الله عز وجل فيه . ((وأن أكل لحمه يسبب الإصابة ببعض أنواع الديدان الشريطية وأكل دهنه يؤدي إلى الإصابة بأنواع مختلفة من السرطانات))[٥٩] كما اثبت العلم الحديث ذلك . لذا حُرم على المسلمين . وحَرم أيضاً الدين الإسلامي الدم ، والموقوذة والمنخنقة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلى ما ذكي لحمه[٦٠]، كما ورد في الآية الكريمة (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (النحل:١١٥) .

القسم الأول / افضلية حليب الأم في تغذية الأطفال :

قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (البقرة:٢٣٣) وقال تعالى (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ) (لقمان:١٤) .

---

[٥٩] محمود الحاج قاسم ، الطب الوقائي النبوي ، ٢٠٠١ ، ص ٨٠ .

[٦٠] أسماء يوسف احمد ؛ مصدر سبق ذكره ، (٢٠١١) ؛ ص٨ .

ومن الأمور التي أمر بها الإسلام ، للمحافظة على صحة الأم والطفل الرضاعة الطبيعية ، فمن مظاهر عناية الله عز وجل بخلقه ولاسيما الإنسان ، توفير السبل التي تحفظ للجنين حياته ، حتى يحين موعد ولادته ، ثم توفير الغذاء المناسب له بعد ولادته ، بإدرار اللبن من (ثدي أمه) يكون له طعاما وشراباً . وقد اتفق الفقهاء على أن الرضاعة واجب على الأم ديانة[61]. وقد شجع الإسلام على الرضاعة أي تشجيع ، بل أمر الوالدات أمرا واجبا بان يرضعن أولادهن ، ولا يجوز أن تترك إرضاع وليدها ، تأنفا من الرضاعة ، أو ترفا . وذكر الإمام " ابن حزم " في " المحلى " وجوب إرضاع الأم لولدها أحبت أم كرهت ولو كانت بنت خليفة ، وتجبر على ذلك إلا أن يكون لها عذر من مرض أو طلاق . فان كانت مطلقة لم تجبر على ذلك إلا أن تشاء هي ذلك ، فان أرادت طفلها لم يستطع أن يمنعها احد من ذلك[62]. وتتأثر صحة الجنين وحالته بغذاء الأم . وتبدأ تغذية الأطفال قبل ولادتهم ، ويتأثر شكل الطفل المولود وحالته الصحية والبدنية ، بحالة الأم وتغذيتها في أثناء مدة الحمل . فإذا حسنت تغذية الأم في أثناء مدة الحمل فانه من المتوقع أن تكون حياة الطفل جيدة . ففترة الحمل تتطلب من الأم تناول وجبة لفردين بدل فرد واحد (مؤكدين نوعية الوجبة وليس كميتها) وتحسين غذائها ولاسيما أطعمة الوقاية ،

---

[61] محمد أبو زهرة ؛ الأحوال الشخصية (حقوق الأولاد والأقارب) ، ص٤٧٠-٤٧٣ .

[62] أبو علي ، محمد ابن حزم ؛ المحلى (بيروت ، دار الفكر العربي ، ١٠ / ٢٣٥) ص٢٧٩ .

وكلما كانت الوجبة الغذائية تحوي جميع العناصر الغذائية الضرورية تحسنت صحة الجنين وزادت فرصة الولادة الطبيعية الخالية من المشاكل ، وتقلل من احتمال الولادة المبكرة كما تحافظ على صحة الأم بعد الولادة[٦٣]. وقد لوحظ أن الأطفال الذين يتناولون الألياف الصناعية ، يكونون أكثر عرضة لإمراض سوء التغذية والإسهال المصحوب بالجفاف . إذ أن لبن الأم يحتوي على المواد الغذائية اللازمة للطفل وبنسب معينة ، تلائم حاجة الطفل في مختلف مراحل فترة رضاعته . ولهذا سمى العلماء لبن الأم (الدم الأبيض) لأنه يحتوي على جميع مكونات الدم الذي يجري في عروق الإنسان[٦٤]. والطفل الرضيع في أول ولادته ينمو عنده الدماغ والجهاز العصبي ، وينضج الجهاز الهضمي والجهاز العصبي والكليتان والكبد وأعضاء الجسم ، ويتطور وينمو الطفل خلال هذه الفترة ويحتاج إلى تغذية جيدة ، ويجب أن توفر له جميع العناصر الغذائية الضرورية ، لذلك تكون الرضاعة الطبيعية (Breast Feeding) الغذاء الأمثل إذ تعد الرضاعة الطبيعية عن طريق (ثدي الأم) الطريقة المثلى والمناسبة لتغذية الرضع ، إذ يكون حليب الأم غذاء جاهزا من ناحية مكوناته من العناصر الغذائية المناسبة ، فضلاً عن انه لا يحتوي على الملوثات الخارجية ، وتكون درجة حرارته مثلى ، كما انه لا يحتاج إلى تحضير أو تعديل في تركيبه . وفي انكلترا(١٩٨٠) وجد نحو (٦٥٪) من

---

[٦٣] علي حسين السلطان ؛ مصدر سبق ذكره ، (٢٠٠٤) ، ص١٦٩ .

[٦٤] عبد الحكيم عبد الله ؛ إعجاز الطب النبوي ، ط١ (القاهرة ، دار الأفاق العربية ، ١٩٩٨) ، ص٢٥ .

الرضع وضعوا تحت الرضاعة الطبيعية عند ولادتهم ، وان (٤٪) من الأطفال استمرت هذه الرضاعة لديهم (٦ أسابيع) وان نحو(٢٦٪) أستمرت رضاعتهم الطبيعية لمدة (٤اشهر) . ولقد وجد أن هذه العملية مرتبطة بثقافة الأم التغذوية ومدى معرفتها بفوائد عملية الرضاعة الطبيعية ، وفي الولايات المتحدة زاد عدد النساء اللواتي اعتدن الرضاعة الطبيعية عن (٥٠٪) في الآونة الأخيرة[٦٥].

ولقد أجمع الأطباء العرب على أن حليب الأم هو أفضل أنواع الحليب تماما كما نؤكده اليوم .

يقول "المجوسي" عن حليب الأم ((لأنه أوفق الألبان لطبعه . وإذا قل لبنها أو انعدم لأسباب شتى ، فعليها أن تختر المرضعة))[٦٦].

يقول "البلدي" ((فالأخلق بلبن الأم أن يكون أوفق الألبان كلها لسائر الأطفال إن لم يكن لها علة أو سبب يفسد اللبن فضلا عن الطفل ...)) ثم يقول ((وقد نجد الطبيعة لم تقتصر على أن أعدت هذا الغذاء للطفل ولكنها غرست في الأطفال مع ذلك منذ أول الأمر قوى غريزية في استعماله)) إلى أن يقول((وفي سلامة لبن الأم للطفل نفع له ونفع لها في الرضاع منها وحفظ لصحتها وصحته))[٦٧].

---

[٦٥] مصطفى كمال مصطفى ؛ الأطعمة ودورها في التغذية والجداول الغذائية (القاهرة ، الدار العربية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٨) ص ١٧٢ .

[٦٦] الجوسي ، مصدر سبق ذكره (١٢٩٤هـ)

[٦٧] البلدي ، أحمد بن محمد ؛ تدبير الحبالى والأطفال والصبيان ، تحقيق الدكتور محمود الحاج قاسم ، ط (بغداد ، الثقافية ، ١٩٨٧)، ص ١٨٦ .

ويقول "بن سينا" ((فيجب أن يرضع ما أمكن بلبن أمه فإنه أشبه الأغذية بجوهر ما سلف من غذائه في الرحم أعني طمث أمه فإنه بعينه المستحيل لبنا وهو أقبل لذلك وآلف له حتى أنه قد صح بالتجربة أن إلقامه حلمة أمه عظيم النفع جدا في دفع ما يؤذيه))[٦٨].

((نجد في قول "لبلدي" السابق وقول "بن سينا" أن حليب الأم عظيم النفع للطفل في دفع ما يؤذيه ، تأكيدا للحقيقة العلمية التي لا جدال فيها ، ألا وهي أن حليب الأم هو أفضل الوسائل لتغذية الطفل .... في الأقل في الأشهر الأولى وذلك لأن حليب الأم هو الغذاء الطبيعي للمولود .... وأنه لا يحتاج إلى تعقيم أو غلي ثم تبريد .... كما أنه يوفر الكثير من الجهد والمال أيضا ، فضلا عن ذلك أن الإسراع بإعطاء الأم ثديها لوليدها في الساعات الأولى من العمر : يكسب الطفل مناعة ضد الأمراض لاحتواء الحليب على بعض عناصر المناعة من الأمراض ، وأخيرا هناك الفائدة العظيمة ، ففي رضاعة حليب الأم إعطاء للطفل فرصة الإحساس بحنان الأم وعطفها ، ومثل هذا الشعور ضروري للطفل لأنه يقيه العثرات والاختلاطات النفسية والعصبية فيشب متمالكا توازنه النفسي لا تتملكه نوازع الخوف والقلق والاضطراب .

كما نجد في قول "لبلدي" سبقا لأطباء اليوم في إثبات فائدة الرضاعة من الثدي بالنسبة للأم المرضعة حيث ثبت علميا بأن الرضاعة من الثدي

---

(٦٨) ابن سينا ، أبو علي الحسين ؛ القانون في الطب ،ج١ (بغداد ، مكتبة المثنى ، مطبعة الاوفست) ص ١٥١ .

تساعد على انقباض الرحم في فترة ما بعد الولادة ، وتقي الأم من إصابتها بسرطان الثدي)) [٦٩].

القسم الثاني / أنواع الأغذية التي يتغذى بها الإنسان (الغذاء الوقائي) :

قال الله سبحانه وتعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} (البقرة:١٧٢) وقال تعالى {وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} (الرعد:٤) .

إن علماء التغذية اجمعوا على تسميات الأغذية وتقسيماتها من اجل غذاء صحيح دائم ، وهي ضمن ما يأتي[٧٠]:-

١/ مجموعة أغذية بناء الأنسجة في أعضاء الجسم :- مواد غذائية تمد الإنسان بما يلزم لبناء أنسجة جسمه وحفظها وتجديدها ، وهي تعمل على تزويد الجسم بمواد البناء بما في ذلك نمو العظام وبناء الأنسجة والعضلات والخلايا والدم ونموه بشكل عام . وتحتوي هذه المجموعة على مختلف أنواع اللحوم كما تحتوي على البيض والحليب ومشتقاته ، ويمكن أن تضاف البقوليات لهذه المجموعة .

٢/ مجموعة أغذية الطاقة :- مواد تمد الجسم بالحرارة ، وتزوده بالطاقة الضرورية المتنوعة (الطاقة الحركية والطاقة الحرارية

---

[٦٩] محمود الحاج قاسم ، تاريخ طب الأطفال عند العرب ، ط ٣ ، ٧٧ .

[٧٠] محمد ممتاز الجندي : الغذاء والتغذية ، ج١ (القاهرة ، ١٩٧٦) ، ص١٤٠ .

ويقول "بن سينا" ((فيجب أن يرضع ما أمكن بلبن أمه فإنه أشبه الأغذية بجوهر ما سلف من غذائه في الرحم أعني طمث أمه فإنه بعينه المستحيل لبنا وهو أقبل لذلك وآلف له حتى أنه قد صح بالتجربة أن إلقامه حلمة أمه عظيم النفع جدا في دفع ما يؤذيه))[٦٨].

((نجد في قول "البلدي" السابق وقول "بن سينا" أن حليب الأم عظيم النفع للطفل في دفع ما يؤذيه ، تأكيدا للحقيقة العلمية التي لا جدال فيها ، ألا وهي أن حليب الأم هو أفضل الوسائل لتغذية الطفل .... في الأقل في الأشهر الأولى وذلك لأن حليب الأم هو الغذاء الطبيعي للمولود .... وأنه لا يحتاج إلى تعقيم أو غلي ثم تبريد .... كما أنه يوفر الكثير من الجهد والمال أيضا ، فضلا عن ذلك أن الإسراع بإعطاء الأم ثديها لوليدها في الساعات الأولى من العمر : يكسب الطفل مناعة ضد الأمراض لاحتواء الحليب على بعض عناصر المناعة من الأمراض ، وأخيرا هناك الفائدة العظيمة ، ففي رضاعة حليب الأم إعطاء للطفل فرصة الإحساس بحنان الأم وعطفها ، ومثل هذا الشعور ضروري للطفل لأنه يقيه العثرات والاختلاطات النفسية والعصبية فيشب متمالكا توازنه النفسي لا تتملكه نوازع الخوف والقلق والاضطراب .

كما نجد في قول "البلدي" سبقا لأطباء اليوم في إثبات فائدة الرضاعة من الثدي بالنسبة للأم المرضعة حيث ثبت علميا بأن الرضاعة من الثدي

---

(٦٨) ابن سينا ، أبو علي الحسين ؛ القانون في الطب ،ج١ (بغداد ، مكتبة المثنى ، مطبعة الاوفست) ص ١٥١ .

وطاقة الشغل والتفكير وطاقة النمو والحمل والرضاعة وغيرها) المتعلقة بحياة الإنسان وتشمل (الخبز والحبوب ومنتجاتها) .

٣/ مجموعة أغذية الوقاية :- مواد غذائية تمد الجسم بالعناصر والمواد اللازمة لتنظيم التفاعلات والعمليات الحيوية الجارية في الجسم ، وإنها تعمل في إنتاج مواد منظمة وحافظة لنمو الجسم وحركاته (كالأنزيمات والغدد الصماء والفيتامينات وكريات الدم الحمراء) .

والطب الوقائي هو المحافظة على الفرد والمجتمع في أحسن حالاته الصحية ، ويقوم الطب الوقائي على مجموعة من التعاليم والإرشادات والإجراءات لوقاية الإنسان من الأمراض السارية قبل وقوعها ، ومنع انتشار العدوى إذا وقعت . ويمكن القول أن الدين الإسلامي ، هو الدين الوحيد الذي جاء بما يشبه الدستور الدائم و(البروتوكول) الذي ينظم مهنة الطب والعلاج والصحة والمجتمع ، وهو ما يسمى في عصرنا الحاضر الطب الوقائي[٧١].

ويجد الطبيب المسلم في كتاب الله تعالى والسنة النبوية الشريفة ، هذه الشمولية التي تقرن الوقاية بالعلاج ، فيستطيع أن يستفيد منها في التوعية الصحية لكل من المريض والصحيح على السواء (للمريض كي يتفادى مضاعفات المرض ، والصحيح كي يحافظ على صحته ، ويتقي غوائل المرض) وفي مجتمعنا الإسلامي لا شيء يمكن أن يقنع الناس ، وينفذ إلى عقولهم وقلوبهم وضمائرهم ، ويصحح من سلوكهم ، مثل آية من

---

[٧١] احمد شوقي الفنجري ؛ الطب الوقائي في الإسلام (مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩١) . ص٥٨ .

القرآن الكريم ، أو حديث عن النبي(صلى الله عليه وسلم). والدين الإسلامي يطالب الإنسان أن يحافظ على صحته ، وان يتخذ الأسباب للوقاية من المرض[٧٢] .

وفي الوقت الذي يحرم فيه الدين الإسلامي بعض الأطعمة والأشربة المضرة صحياً ، فإنه قد شجع أتباعه على تناول الأغذية المفيدة صحياً . ولو تتبعنا الإشارات القرآنية والأحاديث النبوية التي تتناول الأغذية المستحبة ، لأدركنا ما وراء تلك الأطعمة والأشربة من قيمة غذائية ، ونكتفي في هذا البحث بذكر القليل منها في هذا الباب وكما يأتي :-

اللحوم بأنواعها (الحمراء والبيضاء)

قال تعلى في كتابه العزيز (وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ) (الواقعة: ٢١) وقال تعالى (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) (غافر: ٧٩) وقال تعالى (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) (النحل: ٥) .

وقد ورد في الكثير من آيات القران الكريم ذكر اللحوم ، ولعل اللحم من أهم الأغذية الأساسية ، إذ انه غني بالبروتينات اللازمة لبناء الخلايا ونموها ، هذا فضلاً عن فيتامين (B المركب) ، وبعض العناصر المعدنية الأخرى مثل (الكالسيوم والحديد والبوتاسيوم والفسفور والصوديوم) كما

---

[٧٢] زهير احمد السباعي ، محمد علي البر ، الطبيب آدابه وفقهه (بيروت ، الدار الشامية) ص٨٩ .

يجدد الدم ويقوي المناعة الجسدية ، والمائة غرام من اللحم تمد الجسم بنحو (٥٪) من احتياجاته من البروتينات وكثير من السعرات الحرارية[٧٣].

ويقول "البلخي" عن اللحوم : أنها أقوى أنواع الغذاء وأنها صعبة الهضم وتختلف بالطبائع ، فيختار من الأنواع لحم الضأن ومن الأعمار الفتي ، ومن الأعضاء الرقبة والأضلاع والكتف .ومن الطيور الهوائية الدجاج والحمام وإنها أخف من ذوات الأربع ، ومن الطيور المائية البط وهو غليظ الهضم ، والأسماك التي أفضلها المتوسطة الحجم والمتولدة في المياه العذبة . وكلامه في تفضيل لحم الضأن الفتي ، وأن اللحوم تتفاوت في سرعة هضمها ، ويختلف تلائم الناس معها باختلاف أنواعها صحيح ودقيق علمياً وهذا يتوافق مع معرفتنا بأن اللحوم ذات الألياف القصيرة أسهل هضماً من ذوات الألياف الطويلة[٧٤].

- **الأسماك (صيد البحر)**

قال تعالى في محكم كتابه (وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (النحل:١٤) وقال تعالى (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (فاطر:١٢)

---

(٧٣) السيد الجميلي : الإعجاز الطبي في القرآن ، (بيوت ، دار مكتبة الهلال ، ١٩٩٠) ص١٧٧ .

(٧٤) البلخي : مصدر سبق ذكره ، (٢٠٠٥) ، ص ٣٨١-٣٦١ .

وقال رسول الله(صلى الله عليه وسلم) [أحلت لكم ميتتان ودمان : فالدمان الكبد والطحال ، والميتتان السمك والجراد][75].

وتمتاز الأسماك بذات القيمة الغذائية التي تمتاز بها لحوم الأنعام ، بل وتعلوها درجة ، إذ أن الأسماك أسهل هضماً ، وتتراوح نسبة البروتين في صيد البحر بين (١٠-٢٠ ٪). وان من أهم خصائص لحوم البحر غناها بعنصر اليود ، بل هي المصدر الرئيس ، وعنصر اليود ضروري لإدامة وظائف الغدة الدرقية (لأنه يدخل في تركيب هرمون الثيروكسين) وفي نقصه الدائم إضرار بصحة البدن ، وينتهي إلى الشكوى من تضخم الغدة الدرقية[76].

ولحم السمك غني بالمواد البروتينية والفسفور بنسب عالية ، والفسفور لازم لبناء الخلايا الحية ، وفيه الكثير من المعادن الأخرى وبالذات (الكالسيوم واليود) ، ولاحتواء السمك على البروتين الحيواني الممتاز مع مادة (البلادونا) فهو ينفع المصران الغليظ ، ويقلل من القلق والتقلص المعوي ، ويهدئ من ثوران المعدة وحموضتها ، ويفيد مرضى القرحة والاثني عشر[77].

ويوصي خبراء التغذية ، من منظمة الصحة العالمية مقدار (٠,٥٧ غم) بروتين كامل النوعية للرجل البالغ ، وبذلك تصبح احتياجات الشخص البالغ تعادل (٠,٦ غم) بروتين لكل كيلو غرام واحد من وزن

---

(٧٥) سنن ابن ماجه ؛ كتاب الأطعمة ، باب الكبد والطحال (٣٣١٤) .

(٧٦) حسام الراوي ؛ الرسول الطبيب ، ط١ (لندن ، مؤسسة الانتشار العربي ، ١٩٩٩) ص٥١ .

(٧٧) السيد الجميلي ؛ مصدر سبق ذكره ، (١٩٩٠) ، ص١٨٧ .

الجسم ، وبما إن نوعية البروتين المتناول في الطعام اليومي تقل عن (١٠٠٪) لذا يجب اخذ نوعية البروتين بعين الاعتبار. وان مقدار ما يحتاج اليه الجسم من البروتين هو محصلة لعدة عوامل ، منها ما يتعلق بالإنسان ، من حيث وزنه ومراحل نموه وحالته الصحية و(الفيزيولوجية) كم في حالتي الحمل والرضاعة عند المرأة[٧٨].

اللبن (الحليب)

قال تعال في كتابه الكريم {وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ} (النحل:٦٦) وقال تعالى {وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ} (المؤمنون:٢١) . وقال تعالى {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ} (محمد:١٥) .

وفي "السنن" مرفوعاً ، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) [من أطعمه الله طعاماً فليقل : اللهم بارك لنا فيه ، وارزقنا خيراً منه ، ومن سقاه الله لبناً ، فيقل : اللهم بارك لنا فيه ، وزدنا منه ، فإني لا اعلم ما يجزي من الطعام والشراب إلا اللبن][٧٩].

---

[٧٨] احمد توفيق حجازي : الموسوعة الصحية (عمان ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، ١٩٩٩) ص١١٧ .

[٧٩] أخرجه أبو داوود: كتاب الأشربة ، وقال حسن ، باب ما يقول إذا شرب اللبن (٣٧٣٠) – الترمذي في كتاب الدعوات ، باب ما يقول إذا أكل طعاما (٣٤٥١) – والحديث حسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٨١) .

الجسم ، وبما إن نوعية البروتين المتناول في الطعام اليــومي تقــل عــن (١٠٠٪) لذا يجب اخذ نوعية البروتين بعين الاعتبار. وان مقدار ما يحتاج اليه الجسم من البروتين هو محصلة لعــدة عوامــل ، منهــا مــا يتعلــق بالإنسان ، من حيث وزنه ومراحل نموه وحالته الصحية و(الفيزيولوجية) كم في حالتي الحمل والرضاعة عند المرأة[٧٨].

اللبن (الحليب)

قال تعال في كتابه الكريم (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّــا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ) (النحل:٦٦) وقال تعالى (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَــافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) (المؤمنون:٢١) . وقال تعالى (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِــدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ) (محمد:١٥) .

وفي "السنن" مرفوعاً ، قال رسول الله (صلى الله عليــه وســلم) [من أطعمه الله طعاماً فليقل : اللهم بارك لنا فيه ، وارزقنا خيــر منــه ، ومن سقاه الله لبناً ، فيقل : اللهم بارك لنا فيه ، وزدنا منه ، فإني لا أعلــم ما يجزي من الطعام والشراب إلا اللبن][٧٩].

---

[٧٨] احمد توفيق حجازي : الموسوعة الصحية (عمان ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، ١٩٩٩) ص١١٧ .

[٧٩] أخرجه أبو داوود: كتاب الأشربة ، وقال حسن ، باب ما يقول إذا شرب اللبن (٣٧٣٠) – الترمذي في كتاب الدعوات ، باب ما يقول إذا أكل طعاما (٣٤٥١) – والحديث حسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٨١) .

قال "صاحب القانون" ((ولا يلتفت إلى ما يقال أن طبيعة اللبن مضادة لعلاج الاستسقاء ، وقال واعلم أن لبن النوق دواء نافع لما فيه من الجلاء برفق ، وما فيه من خاصيته ، وان هذا اللبن شديد المنفعة ، فلو أن إنسان أقام عليه بدل الماء والطعام شفي فيه))[٨٠].

وقال "البلخي" أن الألبان : تختلف أنواعها باختلاف الحيوان فمنها اللطيف كألبان الأتن والمعز ، ومنها الحار كألبان اللقاح ، ومنها الدسم الثقيل كألبان البقر . ونشير هنا إلى أن لبن البقر أقرب لحليب الأم من لبن المعز بخلاف ما ذكر[٨١].

وقد ذكر "ابن القيم الجوزية" عن أهمية وفوائد الألبان بأنواعها كما يأتي[٨٢] :-

- لبن الضان :- أغلظ الألبان وأرطبها ، وفيه من الدسومة والزهومة، ويحدث في الجلد بياضاً إذا ما أدمن استعماله ، لذلك ينبغي أن يشرب بالماء ليكون ما نال البدن منه اقل ، وتسكينه للعطش أسرع ، وتبريده للبدن أكثر .
- لبن الماعز :- لطيف معتدل ، مطلق للبطن ، وتبريده للبدن اليابس ، نافع مع قروح الحلق ، والسعال اليابس ، ونفث الدم .

---

[٨٠] احمد شوقي الفنجري ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٩١) ، ص٥٥ .

[٨١] البلخي ؛ مصدر سبق ذكره . (٢٠٠٥) ، ص ٣٨١-٣٩١ .

[٨٢] ابن قيم الجوزية ، الطب النبوي ، تحقيق عماد زكي الباروي (القاهرة ، المكتبة التوفيقية ، ٢٠٠١) ص٣٨٦-٣٨٧

• لبن البقر :- يغذو البدن وخصبه ، ويطلق البطن باعتدال ، وهو من اعدل الألبان وأفضلها . وفي "السنن" مرفوعاً ، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) [عليكم بألبان البقر ، فإنها ترتم (أي تجمع غذائها) من كل الشجر][٨٣].

• لبن الإبل :- وإن كان بسيطاً في الحسن ، إلا انه مركب في أصل الخلقة ، بارد رطبة ، مغذية للبدن ، والسمنية معتدلة في الحرارة والرطوبة ، ملائمة للبدن الإنساني الصحيح ، كثيرة المنافع ، والمائية حارة رطبة ، مطلقة للطبيعة ، مرطبة للبدن . وأجود ما يكون اللبن : حين يحلب .

وقد احدث العالم (البكترلوجي) "متشينكوف" تغيراً كبيراً في المعتقدات الطبية المتصلة بالشيخوخة ، عندما نشر آخر ما توصل إليه في كتاب أسماه (كيفية إطالة العمر) الذي نصح فيه باستعمال اللبن الرايب ، ونادى بنظرية جديدة تقول : أن سر الشباب والحيوية يكمن بداخل الأمعاء الغليظة ، ففي اعتقاده (من خلال الأبحاث الكثيرة التي أجراها) أن التسمم الغذائي(Ante-intoxication) الناتج عن عمليات التعفن لبقايا المواد الغذائية في الأمعاء الغليظة ، هو السبب الأول والرئيس لحدوث الشيخوخة المبكرة (premature aging) فبكتريا تخمر اللبن تتكاثر في الأمعاء ،

---

(٨٣) أخرجه البخاري ؛ كتاب أحاديث الأنبياء (٣٣٩٤) - أخرجه مسلم ؛ كتاب الأيمان ، باب الإسراء .

فتوقف عمل البكتريا الضارة التي تؤدي إلى التعفن ، وهذا التكاثر (لبكتريا تخمر اللبن) يزيد الفيتامينات التي تفيد الجسم[٨٤].

البلح (التمر)

قال تعالى في محكم كتابه الكريم (وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ) (قّ:١٠) وقال تعالى (فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ) (الرحمن:١١) وقال تعالى (وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ) (الشعراء:١٤٨) وقال تعالى (وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (النحل:٦٧) .

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) [من تصبح بسبع ثمرات عجوة ، لا يصيبه في هذا اليوم سم ولا سحر][٨٥]. وقال (صلى الله عليه وسلم) [بيت ليس فيه تمر جياع أهله][٨٦] . وقال(صلى الله عليه وسلم) أيضاً [أذا فطر أحدكم فليفطر على التمر فأنه بركة ، فإن لم يجد فالماء فإنه طهور][٨٧].

ويحمل التمر في عقول المسلمين وقلوبهم مكانة خاصة ، فهو دواء وغذاء . إذ يعد من أفضل الأطعمة التي وصفها ونصح بها الرسول (صلى الله عليه وسلم) وبين كثيراً من فوائدها في مواضيع كثيرة من الأحاديث

---

[٨٤] احمد توفيق حجازي ؛ مصدر سبق ذكره ، (١٩٩٩) ص١٩٢ .

[٨٥] صحيح البخاري (٥٤٤٣) – سنن ابو داوود ؛ كتاب الطب ، باب في الرجل يتداوى (٣٨٧٥) – صحيح مسلم ؛ كتاب الأشربة (٢٠٠١) -- الشرح (المنهاج – النووي) .

[٨٦] صحيح البخاري – صحيح مسلم – احمد ؛ كتاب الطب .

[٨٧] رواه أبو داوود – الترمذي .

الشريفة ، وكذلك ورد التمر في القران الكريم في قوله تعلى (وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبا جَنِيّا) (مريم:٢٥) . ولعل إيماء الله سبحانه وتعلى لسيدتنا " مريم العذراء " عليها السلام أن تهز إليها بجذع النخلة ، فتساقط عليها رطباً جنياً ، كان إعجازاً طبياً عملياً علمياً بإذن الله . فقد اثبت الطب الحديث احتواء البلح على هرمون أنثوي اسمه (السنتوسينون) وهذا الهرمون يزيد من انقباضات الرحم في أثناء الولادة ، وبذلك يقلل من متاعب الأم ، والبلح يخفض ضغط الدم الذي يرتفع عند الولادة ، ويعد دواءً وعقاراً شافياً من زوايا متعددة ينشدها الأطباء المعاصرون في الولادة [٨٨] .

ويمر البلح بعدة أطوار هي : الطلع ... فالخلال ... فالبلح ... فالبسر ... فالرطب ... فالتمر ، ولكل نوع من هذه الأنواع مميزاته وكما يأتي [٨٩] :-

- الطلع :- وهو أول ما يظهر من البلح ، ويقوي ألباه ويحرك الشهوة . والخلال رديء على ما وجدنا .
- البلح :- وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في [كلوا البلح بالتمر فإن الشيطان يقول : بقي ابن ادم حتى يأكل الجديد بالعتيق][٩٠] .
- البسر :- وهو اقل فائدة من البلح .

---

[٨٨] السيد الجميلي : مصدر سبق ذكره ، (١٩٩٠) ص١٩٤ .

[٨٩] السيد الجميلي : نفس المصدر السابق ، (١٩٩٠) ص ١٩٦ .

[٩٠] سنن النسائي : شرح السيوطي (٢١٥-٣٠٣) المطبعة الأزهرية .

- الرطب :- وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) يأكل الرطب مع البطيخ ويقول [يدفع حر هذا برد هذا ، ويدفع برد هذا حر هذا][91] .
- التمر :- وهو من أجود الطعام لغناه بكل ما يحتاج اليه الجسم من مواد غذائية وفيتامينات ومعادن

واظهر تحليل التمر حسب المصادر الطبيبة أن فيه (٧٠,٦٪) من الكاربوهيدرات (٢,٥) من الدهون (٣٣٪) من الماء (١,٣٢٪) من الأملاح المعدنية (١٠٪) من الألياف . وكميات من (الكورامين) وفيتامينات منوعة والمعادن والقيمة الغذائية للتمر عظيمة ، فهو مقو للعضلات والأعصاب ، ومرمم ومؤخر لظاهرة الشيخوخة ، ويفيد المصابين بفقر الدم والأمراض الصدرية[92] .

والتمر يرقى في فائدته على اللحوم ، إذا ما أكل مع الجوز ، وهو دواء لإمراض مختلفة في المسالك البولية والجهاز الهضمي ، ويداوي أمراض الصدر والرئتين ويمنع الإمساك وتقبض الأمعاء ، ويحفز فرز البول من الكليتين . والبلح قبل نضجه إلى تمر يقوي المعدة ويقطع الإسهال المزمن ، ويمنع انتفاخ البطن، وينفع (سيلان الرحم) عند النساء ويمنع نزف الدم (البواسير)[93] .

---

[91] سنن الترمذي ؛ شرح الإمام بكر بن العربي المالكي : ط١ (القاهرة ، مطبعة الصاوي ، ١٣٥٣هـ ١٩٦٤)

[92] الرضيمان ، خالد بن ناصر ؛ القيمة الغذائية والعلاجية للتمور (السعودية ، جامعة القصيم ، ٢٠٠٦) ص ٤ .

[93] السيد الجميلي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٩٠) ص ١٩٤ .

عسل النحل

قال تعالى في كتابه الحكيم (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ) (النحل:٦٨) وقال تعلى (ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (النحل:٦٩)

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) [من لعق العسل ثلاث غدوات ، في كل شهر ، لم يصبه عظيم من البلاء][٩٤]. وقال(صلى الله عليه وسلم) [عليكم بالشفائين : العسل والقرآن][٩٥].

وقد لفتت الآيات القرآنية نظر الأطباء والباحثين ، فقاموا بإجراء دراسات معملية على عسل النحل ، فاكتشفوا أن عسل النحل يضم طائفة من العقاقير ، تعالج مختلف الأمراض . مثل تسوس الأسنان عند الأطفال ، وتبولهم لا إرادياً في الفراش ، وأمراض الجهاز العصبي ، وأمراض الجهاز التنفسي ومرض السكر ، وأمراض القلب والكلى والأورام الخبيثة والروماتيزم والجروح والقروح . كم أن العسل يعالج تجعدات الجلد ، ويقوم مقام مستحضرات التجميل ، ويعالج أيضاً الأنفلونزا والتسمم الكحولي[٩٦].

---

[٩٤] سنن ابن ماجه ؛ كتاب الطب ، باب العسل ، ج٢ ،ص١١٤٢ ، الأحاديث (٣٤٥٠)

[٩٥] سنن ابن ماجه ؛ كتاب الطب ، باب العسل ، ج٢ ، ص١١٤٢ ، الأحاديث (٣٤٥٢)

[٩٦] عبد المنعم قنديل ؛ التداوي بالقرآن (بغداد ، مكتبة النهضة العربية ، ١٩٨٨) ص٨٣ .

ويحتوي عسل النحل على (دكستروز) وأملاح نباتية وأنزيمات وحبوب لقاح وماء ، وهو سهل سريع التمثيل في الجسم لان سكرياته أحادية ، وهي (فركتوز) بنسبة (٨٠٪) ويمتصها الجسم مباشرة من دون أدنى تعب فيه . وأيضاً أملاح وفيتامينات ، فضلا عن حامض (الفورميك) ، كما يحتوي على (٣٪) بروتين (٥٪) من المعادن . واكتشف الكيميائي الفرنسي (الن كاياس) كميات من (الراديوم) في عسل النحل ، وهذا العسل المشع يعالج الكثير من الأورام الخبيثة ، وأمراض العيون كالتهابات القرنية . ولكونه مضادا للتعفن فإنه يجعل الجلد قوياً متيناً أملس . وقد عولجت به القرح والدمائل والخراجات الجلدية باستعماله دهانا وقد أوصى به العالم العربي "ابن سينا" باستعمال لبخة العسل المخلوط بالدقيق في علاج الجروح السطحية . ويقول علماء السويد أن أكثر من (٦٠٪) من حالات الصداع النصفي تم شفاؤها بالعسل الأبيض ، ولا جرم أن كثيرا من حالات العقم وعدم الإنجاب يشفيها الغذاء الملكي ، وهو خلاصة وعصارة غذاء ملكات النحل[٩٧].

زيت الزيتون

قال سبحانه وتعالى (يُنبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (النحل:١١) وقال تعلى (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى

---

[٩٧] السيد الجميلي ؛ مصدر سبق ذكره ، (١٩٩٠) ص١٩٨-٢٠٠ .

نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (النور:٣٥) وقال تعالى (وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ) (المؤمنون:٢٠) .

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) [ائتدموا بالزيت وادهنوا به ، فإنه من شجرة مباركة] [٩٨] .

وقد ذكر "البغدادي" في كتابه (الطب من الكتاب والسنة) عن زيت الزيتون بان الأدهان به يقوي الشعر والأعضاء ويبطئ الشيب وينفع السموم ويطلق البطن[٩٩] .

وزيت الزيتون من أفضل الزيوت، ويخفض نسبة الكلسترول الضار (LDL) في الدم والجسم ، من دون المساس بالكلسترول المفيد (HDL) ، بل انه يزيد من نسبة هذا الكلسترول الجيد بفضل احتوائه على الأحماض الدهنية غير المشبعة ، فهو دهن أحادي غير مشبع (Mono-unsaturated Fat) ، ويستفاد أيضاً من خواصه الطبيعية في الأكسدة ومحتوياته من (الكلوروفيل) . وزيت الزيتون يقاوم الإمساك ، ويساعد على امتصاص الكالسيوم ، كما يساعد على التئام القرح ، ويساعد على إفراز الصفراء من المرارة ، وهو مصدر جيد لفيتامين (E)[١٠٠] . وثمار الزيتون تحتوي على (١٦,٧٪) كاربوهيدرات ، (١,٥٪) من البروتين ، وبنسبة عالية من الدهن تبلغ (١٣,٥٪) وتوجد بها نسبة عالية من عنصر

---

(٩٨) أخرجه ابن ماجه والحاكم – وقال الألباني حديث حسن .

(٩٩) أسماء يوسف احمد ، مصدر سبق ذكره (٢٠١١) ص٧ .

(١٠٠) احمد توفيق حجازي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٩٩) ص١٩٥ .

الصوديوم وعناصر أخرى كثيرة ، وغني بفيتامين (A) نحو(٣٠٠ وحدة دولية) . وهو يفيد الجهاز الهضمي والكبد[١٠١] .

وقد اثبت العلم الحديث أن هناك أنواعا عديدة من السرطان ، مثل سرطان العظم (سركوما) استخدم زيت الزيتون في علاجها ، وان زيت الزيتون يذيب الدهن ، فهو يعالج الدهن مع انه دهن ، وذلك لأنه يحتوي على (اوميجا ٣) ، كما ثبت علميا أن زيت الزيتون يحمي من أمراض تصلب الشرايين والزهايمر (مرض الخرف) ومعالجة الخلايا السرطانية[١٠٢] .

الفاكهة (الرمان ، العنب ، التين)

قال تعالى في كتابه الكريم (وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ) (الواقعة:٢٠) وقال تعالى (وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ) (الواقعة:٣٢) وقال تعلى (وَفَاكِهَةً وَأَبًّا) (عبس:٣١) وقال تعالى (وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ) (المرسلات:٤٢)

السكريات مصدر أساسي للطاقة لخلايا الجسم ، ولاسيما جدار الأمعاء ، والزغابات المعوية التي تنشط حال وصول السكريات الموجودة في الفاكهة ، وتتهيأ للقيام بوظيفتها على أكمل وجه . وتعد الفاكهة أفضل مصدر للألياف الطبيعية . وهذه الألياف ضرورية لإدامة الكفاءة الوظيفية للأمعاء ، علاوة على دورها الوقائي في حماية الأمعاء من خطر

---

[١٠١] السيد الجميلي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٩٠) ص١٨٢ .

[١٠٢] مصيقر عبد الرحمن ؛ القيمة الغذائية للتمور وفوائدها الصحية ، ط١ (الأمارات العربية المتحدة ، مركز الأمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية ، ٢٠٠٥) ص٤٧٥ .

السرطان . وقد تأكد في العصر الحديث دور الفاكهة في حفظ لياقة الأبدان ومحاربة آفة البدانة ، ويعود ذلك إلى القيمة الحرارية المنخفضة للفاكهة مقارنة بالقيمة الحرارية للمأكولات الدسمة الأخرى[١٠٣] .

- الرمان :- قال تعالى في كتابه الكريم (فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ) (الرحمن:٦٨) وقال تعالى (وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) (الأنعام:١٤١)

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) انه قال (إذا أكلتم الرمان فكلوها بشحمها ، فإنه دباغ المعدة ، وما من حبة منها تقوم في جوف الرجل إلا أنارت قلبه ، وأخرست الشيطان أربعين يوما)[١٠٤] .

وفي الرمان نسبة عالية من الأحماض العضوية ، مثل حامض (أليمونك) الذي يقلل حموضة البول والدم ، ويداوي مرض النقرس ، ويذيب بعض الحصى في الكلى . وتبلغ نسبة السكر فيه (١٨٪) فضلا عن فيتامين (G) المقوي لجدران الشعيرات الدموية ، وفي قشرة الرمان مادة قابضة اسمها (تانين) تعالج الإسهال الشديد ، كما تعالج القشور والبذور الدودة الشريطية التي تصيب المريض بها بأفدح

---

[١٠٣] حسام الراوي ، مصدر سبق ذكره (١٩٩٩) ص٢٨ .

[١٠٤] البرقي ، مصدر سبق ذكره ، (٣٨٠ هـ) ص٤٨٨

الأضرار[١٠٥] . وقال علماء بريطانيون أن مادة تستخرج من فاكهة الرمان تفيد في مكافحة أعراض مرض نقص المناعة المكتسبة (الايدز) والحيلولة دون انتشار الفيروس المسبب له . ويعد مادة قاتلة للفيروسات ، ويساعد في تقوية جدار المعدة [١٠٦].

* التين :- قال تعالى في كتابه العزيز (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ) (التين:١) لثمار التين فوائد جمة ومنافع عظيمة للناس ، إذ يحتوي (١٩,٦٪) من المواد الكاربوهيدراتية ، ودهن (٠,٤٪) ، وبروتين (١,٤٪) ، والتين المجفف يحتوي على (٢٥٩ سعره حرارية) في المائة غرام . ويحتوي على الكالسيوم (٠,٠٥غم) ، (٠,٠٣٥ غم) فسفور، (٠,٠٠٧ غم) حديد ، (٧٥ وحدة) فيتامين (A) ، (٩٠ مايكرو غرام) فيتامين (B) ، (٢ملغم) فيتامين (C) . وقد ثبت أن التين ذو فائدة كبيرة ، إذ انه سريع الهضم ، ويحتوي على مواد تماثل عصارة البنكرياس ، ويعمل على تفتيت الحصى في الكلى ، ويخفف من حدة السعال والربو ، ويقوي الكبد ، وله فوائد للأجسام النحيفة[١٠٧] .

* العنب :- قال تعال في كتابه الكريم (وَعِنَبًا وَقَضْبًا) (عبس:٢٨) وقال تعالى(وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ

---

[١٠٥] السيد الجميلي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٩٠) ص١٨٠ .

[١٠٦] احمد توفيق حجازي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٩٩) ص٢٦٢ .

[١٠٧] احمد توفيق حجازي ؛ المصدر السابق (١٩٩٩) ص٢٦٤ .

انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (الأنعام:٩٩) وقال تعالى(وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا) (الكهف:٣٢)

- وشجرة (الكرمة) شجرة كريمة ، ولعل ذلك هو السبب في تسميتها بهذا الاسم ، وذكر الله سبحانه وتعالى العنب في ستة مواضع من كتابه الكريم ، في جملة نعمه التي انعم بها على عباده . والعنب فاكهة شهية غنية بالمواد الغذائية للجسم ، وقد عادله بعض علماء التغذية بالحليب . ويحتوي على الفيتامينات (C,B,A) وهو من أغنى الفواكه بالمعادن والسكريات (الجلوكوز والفركتوز) وبعض المواد الدهنية والبروتينية . ومن أهم مزايا العنب كغذاء سهولة هضمه ، وبالتالي يخفض كثيرا من حالات سؤ الهضم واضطراباته[١٠٨] .

وأيضا وردت كل من : الحبة السوداء ، والتلبينة ، والاثرجة ، والخل ، والادخر ، وماء زمزم . أحاديث نبوية تبين القيمة الغذائية لهذه الأطعمة . وقد صدق العلم الحديث بشأن منفعتها الصحية العظيمة لمن يحرص على تناولها والتداوي بها .

القسم الثالث / معالجة الأمراض بالغذاء (الغذاء العلاجي)

للإسلام دور عظيم في إحياء علوم الطب ، لذلك أعتمد المسلمون الأوائل على التشريع (القرآن والسنة) وان لم يتوفر فيها نظام طبي متكامل ؛

---

[١٠٨] احمد توفيق حجازي ؛ المصدر السابق (١٩٩٩) ص ٢٢٦ .

فأنهما بتوجيهاتهما العامة ، كونا القاعدة التي من خلالها تمكن الأطباء العرب من النهوض لإحياء الحضارة العربية الإسلامية [١٠٩] .

وبرع العرب المسلمون بكل حداثة وأصالة في وصف المشروبات الساخنة والباردة من الأغذية والأعشاب المختلفة واستخدامها في الاستطباب والعلاجات التغذوية والصحية والطبية ، فعرفها الغرب واستخدمها وما زال يستخدمها في الكثير من الأدوية والعلاجات وبطرق اقرب إلى الطرق العلمية الدقيقة حديثاً ، مثل درجة نقاوتها والتقيد بالمقادير الموصوفة منها وتوقيت استخدامها في فترتي المرض والصحة والاستمرار بها ووقت استخدامها[١١٠].

وقد أبدع الأطباء العرب في التشخيص للمرض ، إذ وضع "الرازي" كتاباً مفصلاً سماه (كلام في الفروق بين الأمراض) شخص فيه ما تشابه من الأمراض مع بعضها ، إذ يصف أعراض كل جهة من الجسم على حدة ، ويفرقها عن الجهة الأخرى ، ومثال ذلك فانه يفرق بين المغص الكلوي والمعوي ، وبين الذبحة الصدرية وذات الرئة وغيرها[١١١].

ولقد شخص الرازي العلل الواقعة في جسم الإنسان إلى ثلاثة أنواع ، الأولى : علة واجبة البراء ، مثل الحمى أو الصداع من ضربة شمس .

---

[١٠٩] ابن رضوان ، أبي الحسن علي ؛ الكفاية في الطب : تحقيق سلمان قطاية (بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٨١) ص٨ .

[١١٠] حامد التكروري وخضر المصري ؛ مصدر سبق ذكره (٢٠٠٤) ص٦ .

[١١١] الرازي ، أبو بكر محمد ابن عبد الله ابن زكريا ؛ الفروق بين الأمراض ، تحقيق : سلمان قطايا (القاهرة ، د.ت)ص ١٣٣ .

ويقول "الزهراوي" في تغذية مريض السكر ((يسقى الجلاب مع الكافور والطين الأرمني ويشرب ماء ورق الكرم المدقوق المعصور مع خل خمر وعصارة البقلة الحمقاء ، ويسقى من نقيع التمر هندي وشراب الكمثرى ، ويجعل طعامه سماقية أو حصرمية ، ويسقى ماء الشعير مع دهن اللوز ... ويجتنب الأغذية الحارة وكل ما يدر البول والعرق))[١٢٣].

ويقول "البغدادي"((لما كان البدن يعرض له من ذلك هزال وجفوف وجب أن يؤخذ في طريق ما يسمن ويرطب ويخصب)) ويقول ((فلا نجد لهذه العلة غذاءً هو دواء أفضل من (الدوغ) وهو لبن البقر الذي قد نزع زبده))[١٢٤] .

وهنا لا بد من الإشارة إلى أنهم على الرغم من عدم معرفتهم ضرورة ابتعاد المرضى المصابين بالسكري من أكل السكريات والنشويات والدهون ، كانوا صائبين في وصفهم الأغذية والفواكه الحامضة والدوغ (اللبن المنزوع الدهن) .

- **العلاج الغذائي للوقاية من السرطان : -**

تشير الدراسات العلمية الحديثة إلى أن عدم توفر بعض المواد الغذائية في غذاء الإنسان يرتبط باحتمال الإصابة بأورام سرطانية . وهذه المواد يحتاج الجسم البشري بكميات قليلة مثل (الفيتامينات) التي تعد واقيات ضد التأكسد وضد تشكل الأورام ، وبالرغم من عدم تحديد علاقة مادة

---

(١٢٣) الزهراوي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٨٠) ص

(١٢٤) البغدادي ، عبد اللطيف ؛ الحواس ، تحقيق : بول غلوجي وسعيد عبده (الكويت ، مطبعة وزارة الأعلام ، ١٩٧٩) ص ١٢٨ .

غذائية معنية بالتسبب بالسرطان ، أو الوقاية منه . إلا أن الباحثين اتفقوا إلى أن وجود بعض العوامل الوراثية والبيئية ولا سيما التغذية ، هي المسؤولة عن الإصابة بالسرطان . فالتغذية العالية الدسم من شأنها أن تسبب سرطان المعي الغليظ والمستقيم . كما دلت على ذلك الأبحاث ، وتبقى الألياف الغذائية رادعا مهما في تشكيل هذا الداء . ويرى الباحثون الطبيون أن نسبة كبيرة من جميع سرطان القولون والمستقيم يمكن تفاديها عن طريق إدخال بعض التغيرات البسيطة على نمط الغذاء والحياة [١٢٥] .

جاء في دراسة للجمعية الأمريكية لدراسة السرطان (عام ١٩٧٩) ، بأنه ظهر زيادة في سرطان القولون والمستقيم والبروستاتة لدى الرجال ، وزيادة في سرطان الرحم والثدي لدى النساء إذا كانوا يعانون من السمنة[١٢٦] .وكذلك ثبت وجود زيادة في سرطان المرارة والقنوات المرارية لدى المصابين بداء السمنة وخاصة في النساء[١٢٧].

وفي بعض كتابات الأطباء العرب والمسلمين نجد إشارات لتأثير بعض الأغذية كعوامل مساعدة لتكون السرطان على سبيل المثال يقول "الرازي" ((الأغذية مما يتولد عنها الدم الغليظ العكر تساعد على تكون السرطان))[١٢٨]. فينصح بأخذ جانب الحيطة عند تناولهم هذه المواد .

---

[١٢٥] احمد توفيق حجازي ؛ مصدر سبق ذكره (١٩٩٩) ص١٤٤ .

[١٢٦] The American cancer society lewand Garfinkell(1979) .

[١٢٧] البار ، محمد علي ؛ الصوم وأمراض السمنة (جدة ، الدار السعودية للنشر ، ١٩٨٤) ص ٤٠ .

[١٢٨] الرازي ؛ الحاوي في الطب ، مصدر سبق ذكره (١٤٢٢هـ) ج ٢٢ ، ص ٨ .

وقد أثبتت الأبحاث الحديثة بأن الإفراط في تناول الدهون الحيوانية (وأهم مصادرها لحم الخنزير) يؤدي إلى الإصابة بأنواع مختلفة من السرطان كسرطان الأمعاء الغليظة والمستقيم وسرطان البروستات وسرطان الثدي وسرطان الرحم . ووسيلة الإسلام في الحفاظ على الفرد من تأثير أكل لحم الخنزير كان بتحريمه ، وبذلك جنب الإسلام المسلم من الإصابة بأنواع السرطانات والأمراض الأخرى (كالديدان وغيرها) التي تنتج عن أكل دهن الخنزير ولحمه .

- **عـــــلاج مرض السـل بالغذاء :-**

درس العرب المسلمون الكثير من الأمراض الصدرية وشخصوا مرض السل ، وقد ذكره الأطباء في قولهم : يسمى الدق ... وسببه قرحة في الرئة ، لأن الرئة عضو سخيف الجوهر ، ودائم الحركة وشديد الرطوبة والابتلال ، وأجزاء عروقه المتأكلة غلاظ صلاب ، فلذلك قد يعسر التحام قروحه ، ومسلك الهواء إليه بعيد[١٢٩] .

وأشار "ابن سينا" إلى ((عدوى السل الرئوي والى احتمالية انتقال المرض بالماء والتراب))[١٣٠].

كما ربط الأطباء المسلمين بين شكل الأظافر ومرض السل[١٣١] .

---

[١٢٩] الرازي ؛ الحاوي في الطب ، مصدر سبق ذكره (١٤٢٢هـ) ص٤/٣٧ .

[١٣٠] Medicine Annals of Internal "Ibn sina and the clinical trial "December 2011 ,Retrieved ,(7). 643-640 .

[١٣١] طوقان ، قدري حافظ ؛ علماء العرب وما أعطوه للحضارة (القاهرة ، دار الكتاب العربي) ص ٢٠١ .

لم نجد لدى الأطباء العرب والمسلمين في أسلوب علاجهم والأدوية التي استعملوها لمداواة هذا المرض ما يشير إلى تميز أو شيء نعتبره مقبولا اليوم ، سوى مسألة العناية براحة المريض وتغذيته بأغذية مفيدة . وأبرز ما جاء ذكره لديهم في هذا الباب هو العسل ولبن الأتان (أنثى الحمار) ، لبن الماعز ، لبن النساء ، وأكدوا على إطعامه السمك ، السرطانات ، ولحم الفراخ والجدي والزيتون وبياض البيض والرمان واللوز ومن الخضراوات الكرنب والكراث الشامي ... الخ .

القسم الرابع / أشهر كتب العرب والمسلمين ومؤلفاتهم في الغذاء والتغذية العلاجية

انعكست نظرة المسلم إلى الغذاء على حياة العرب في صدر الإسلام ، إذ لم يهتم العرب كثيرا في تحسين أطعمتهم وتحويرها ، ولم يعرف عنهم التفنن في ذلك ، بل سلكوا أسلوب تقليد الأمم والشعوب الأخرى التي دخلت الإسلام فيما بعد ، وكان أن انتقلت إليهم العديد من الأكلات والوجبات التي ما زالت تحتفظ بأسمائها غير العربية حتى يومنا هذا مثل (الكباب ، البرياني ، القوزي ، البرغل ، ألطرشي ، الشركسي ، الكشري والمعكرونة) وغيرها من الأطعمة والأغذية[١٣٢].

ومع مرور الوقت واتساع رقعة الأقطار الإسلامية ، أصبح لدى علماء المسلمين اهتمام متزايد في تدبير الأطعمة وعاداتها وآدابها . فكان

---

[١٣٢] موسوعة الغذاء ؛ الغذاء ومكوناته وطرق حفظه ، المجلد الأول (إصدار الاتحاد العربي للصناعات الغذائية ، ١٩٩٥) ص٢٠ .

أن ظهرت بعض الكتب التي تهتم بهذا الشأن ، مثل كتاب (الولائم لشمس الدين ، ١٥٤٦) وكتاب (آداب الأكل لابن عماد الاقفهسي ، محمد بن علي ابن طولون الدمشقي) وكتاب (تدبير الأطعمة للكندي ، ٨٠١ هـ)[١٣٣].

ولم يقتصر إسهام الحضارة الإسلامية في تدبير شؤون الغذاء وعاداته فحسب ، بل كان لها الأثر الأكبر في تطوير المفاهيم الغذائية والتغذوية والصحية ، في تكوين السلوك التغذوي السليم ، وإبراز الغذاء عاملا مهما في صحة الإنسان ، وهو ما كان يشكل سبقا حضاريا وإعجازا علميا يؤكد صدق النبوءة والرسالة المحمدية . ونتيجة لتلقي المسلمين واستيعابهم الهدي الرباني والنبوي المتعلق بالغذاء ودوره في الصحة والمرض ، فقد غدت المعالجة بالأغذية من أهم أسس العلاج الطبي من الأمراض في مستشفيات الحواضر الإسلامية في العصرين (الأموي والعباسي) ، وجاء تخصيص الأغذية في كتب الأطباء المسلمين "كالرازي" (الحاوي في الطب) وكتابه (المنصوري) وكتابه (من لا يحضره الطبيب) تناول فيها الموضوعات الطبية المتعددة ، وكيفية العلاج والوقاية من الأمراض والعلل ، وطرق علاجها بالأغذية الرخيصة المتوفرة من خلال إتباع النظم الغذائية . وقد أوضح "ابن سينا" في كتاب (القانون في الطب) ومنظومته المشهورة (الأرجوزة في الطب) ، وفي كتاب (دفع المضار الكلية عن الأبدان الإنسانية) اهتمامه الكبير في الأغذية والمعالجة .[١٣٤] ومضمونها

---

[١٣٣] حامد التكروري وخضر المصري ؛ مصدر سبق ذكره (٢٠٠٤) ص٧٠ .

[١٣٤] ابن سنا ، أبو عي الحسين ابن علي ؛ دفع المضار الكلية عن الأبدان الإنسانية (بيروت ، دار إحياء العلوم ، ١٩٨٥) .

تعداد لأنواع الخطأ في الطعام والماء والهواء وفي المشروبات والحركات والحمام والأستفراغ وتعديل نوع الخطأ وتداركه في المواد السبع فيما يتعلق بتغذية الجسم ، وهذا ما تدعو إليه النظريات العلمية الحديثة في التغذية تحت ما يسمى (التوازن في التغذية) .

ومن الأمثلة على الكتب الأخرى التي ألفها العلماء المسلمون كتاب (تدبير الأصحاء بالمطعم والمشرب) "لحنين ابن إسحاق" في التغذية ، وكتاب (الأشربة) "لابن ماسويه" (الأرجوزة في الحميات) "ابن عزرون" ، (الأرجوزة في التغذية والترياق) "لسان الدين ابن إسحاق" ، وكتاب (الاشربة) "لابن عبدا لله ابن حنبل" ، يبين مضار بعض الاشربة التي نهى عنها الإسلام ، وكتب كل من "الكندي" و"البغدادي" في حفظ الأغذية ، وتصنيع بعض منتجاتها (كالبيض والألبان) ،كما كتب كل من "ابن سينا" و"الغساني" و"الأنطاكي" في صناعة الزيوت واستخداماتها .وكتب "ابن النفيس" (المختار من الأغذية) وكتاب (شرح القانون) .

ولم يغفل العلماء العرب والمسلمون عن الكتابة في مجال إعداد الطعام وفن الطبخ وأدارت الطعام ، وتأكيد الحسبة فيه التي تشمل مراقبة الأسعار وجودة الطعام والتفتيش عليه ، كما نجحوا في مجالات الصناعة الغذائية مثل صناعة السكر والحلويات والمعجنات والزيوت والبخور . ومن أشهر من أبدع في هذه المجالات هم كل من "ابن أبي يحيى المنجم" و"ابن ما سويه" و"السرخسي" و"الرازي" و"البغدادي"و"ابن ساعد" و"إسحاق ابن سليمان" ، فقد بلغت الكتب التي تخص الغذاء وتحضيره (١٦ بابا) ، وكتاب (السياري الوراق) عن الأطعمة التي استعرضها في أكثر من مائة

باب ، وكتب عن التغذية العلاجية التي تشمل استخدام الأطعمة في الدواء في نحو (١٣٠ كتابا) ، ولا مبالغة فيما نقول عندما نذكر بأن كتب الاطعمة في العصور (الأموي ، العباسي ، الأندلسي) قد بلغت مستوى قريبا من الوقت الحاضر[١٣٥].

استنتاجات البحث

ومن خلال البحث استنتج الباحثان ما يأتي :-

- لقد وضعت تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة قواعد الطب والتغذية العلاجية ، وهي تعد الركائز السليمة والصحيحة للرعاية الصحية والطبية الشمولية .
- شخص الأطباء العرب قسما كبيرا من الأمراض التي تصيب الإنسان بسبب سوء التغذية ، والأمراض الباطنية الأخرى . ووصفوا لها العلاج المناسب مستعينين بالغذاء قبل الدواء .
- كان لمؤلفات العلماء العرب المسلمين الكثيرة والعظيمة في الغذاء والتغذية العلاجية الأثر الأكبر في إرساء القواعد التي قام عليها تقدم الطب العلاجي والوقائي في الوقت الحاضر .وقد تم إستعراض تلك المؤلفات وما حوته من الأفكار حول ذلك .

---

(١٣٥) حامد التكروري وخضر المصري ؛ مصدر سبق ذكره (٢٠٠٤) ص ٩ .

مصادر البحث

- القرآن الكريم
- الحديث النبوي الشريف / الصحاح والسنن والمسانيد

١/ ابن أبي اصيبعة ، موفق الدين ابن العباس ؛ عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق ودراسة عامر النجار ، ج١ ، ط١ (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٩٦)

٢/ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي ؛ مقدمة ابن خلدون ، ج١، ط٥ (١٤٠٤هـ /١٩٨٤ م)

٣/ ابن سنا ، أبو عي الحسين ابن علي ؛ دفع المضار الكلية عن الأبدان الإنسانية (بيروت ، دار إحياء العلوم ، ١٩٨٥) .

٤/ ابن سينا ، أبو علي الحسين ؛القانون في الطب ،ج١ (بغداد ، مكتبة المثنى ، مطبعة الاوفست)

٥/ ابن سينا ، أبو على الحسين ابن على ؛ القانون في الطب ، تحقيق : أمين الضاوي (بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ٢٠٠٥)

٦/ ابن قرة ، ثابت ابن قرة ابن زهرون أبو الحسن الحراني ؛ الذخيرة في علم الطب (القاهرة ، المطبعة الأميرية ، ١٩٢٨)

٧/ ابن قيم الجوزية ، الطب النبوي ، تحقيق عماد زكي البارودي (القاهرة ، المكتبة التوفيقية ، ٢٠٠١)

٨/ ابن قيم الجوزية ؛ الطب النبوي ، تحقيق عبد الغني عبد الخالق ، ط١ (بيروت ، دار العلوم الحديث ، ١٩٨٣)

٩/ ابن قيم الجوزية ؛ زاد الميعاد في هــدي العبــاد ، ج٣ (بيــروت ، مؤسسة الرسالة ،١٩٨٦)
١٠/ ابن هبل ، مهذب الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن علي ؛المختارات في الطب ، ط١،ج١ (الهند ، حيدر أباد الدكن ، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٢٣ هـ)
١١/ أبو علي ، محمد ابن حزم ؛ المحلى (بيروت ، دار الفكر العربــي ، ١٠ / ٢٣٥)
١٢/ احمد توفيق حجازي ؛ الموسوعة الصحية (عمان ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، ١٩٩٩)
١٣/ احمد توفيق حجازي ؛ الموســوعة الصــحية ، ط١ (الأردن ، دار أسامة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩)
١٤/ احمد شوقي الفنجري ؛ الطب الوقائي في الإسلام (مصر ، الهيئــة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩١)
١٥/ احمد عسكر ومحمد حافظ صفوت ؛ الغذاء بين المرض وتلوث البيئة (القاهرة ، الدار العربية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٨)
١٦/ أسماء يوسف احمد ذياب ؛ الرعاية الصحية والطبية في القرن الأول الهجري ، رسالة ماجستير (الشارقة ، كلية الآداب والعلوم الإنســانية والاجتماعية ، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية ، ٢٠١١م)
١٧/ البار ، محمد علي ؛ الصوم وأمراض السمنة (جدة ، الدار السعودية للنشر ، ١٩٨٤)

١٨/ البغدادي ، عبد اللطيف ؛ الحواس ، تحقيق : بول غلــوجي وســعيد عبده (الكويت ، مطبعة وزارة الأعلام ، ١٩٧٩)
١٩/ البلخي ، أبي زيد أحمد بن سهل ؛ مصالح الأبدان والأنفس ، تحقيــق محمود مصري (القاهرة ، ٢٠٠٥)
٢٠/ البلدي ، أحمد بن محمد ؛ تدبير الدبالى والأطفال والصبيان ، تحقيق الدكتور محمود الحاج قاسم ، ط (بغداد ، الثقافية ، ١٩٨٧).
٢١/ الحلبي ، محي الدين طاهر ؛ الطب الإسلامي ، ط١ (بيروت ، دار ابن كثير ، ١٩٩٢)
٢٢/ الرازي ، أبو بكر محمد ابن زكريا ؛ الحــاوي في الطــب ، ط١ ، ج٣ (الهند ، مطبعة دار المعارف العثمانية ، ١٩٦٢) .
٢٣/ الرازي ، أبو بكر محمد ابن عبد الله ابــن زكريـــا ؛ الفــروق بــين الأمراض ، تحــقيق : ســلمان قطــايا (القاهرة ، د.ت) .
٢٤/ الرازي ، أبو بكر محمد ابن عبدا لله ابن زكريا ؛ أخلاق الطبيــب ، تحقيق : عبد الطيف محمــد العبــد (القــاهرة ، مكتبــة التــراث ، ١٩٧٩) .
٢٥/ الرازي ، أبو بكر محمد بن زكريا ؛ المرشد أو الفصــول ، تحقيــق الدكتور ألبير زكي إســكندر ، ج١ ، المجلــد ٧ ، (مجلــة معهــد المخطوطات العربية ، ١٩٩١) .
٢٦/ الرازي ، أبو بكر محمد بن زكريا ؛ المنصوري في الطب ، تحقيــق حازم البكري ، ط١ (الكويت ، منشورات معهد المخطوطات العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٨٧) .

٢٧/ الرازي ، أبو بكر محمد بن زكريا ؛ من لا يحضره الطبيب ، تحقيق الدكتور محمود الحاج قاسم (بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ،١٩٩١).

٢٨/ الرازي ، أبو بكر محمد بن زكريا ؛ منافع الأغذية ودفع مضارها (بيروت ، دار إحياء العلوم ،١٩٨٢).

٢٩/ الرازي ، أبو بكر محمد بن عبدا لله ابن زكريا ؛ الفروق بين الإمراض ، تحقيق سلمان قطاية (القاهرة) .

٣٠/ الرضيمان ، خالد بن ناصر ؛ القيمة الغذائية والعلاجية للتمور (السعودية ، جامعة القصيم ، ٢٠٠٦) .

٣١/ الزهراوي ، أبو القاسم خلف بن العباس ؛ التصريف لمن عجز عن التأليف ، المقالة السادسة (الهند ، مطبعة لكنو ، ١٩٠٨).

٣٢/ السيد الجميلي ؛ الإعجاز الطبي في القران ، (بيروت ، دار مكتبة الهلال ، ١٩٩٠).

٣٣/ الطبراني ، أبو القاسم سليمان بن احمد ؛ المعجم الوسيط ، ج٢ ، تحقيق : طارق عوض وعبد المحسن إبراهيم (القاهرة ، دار الحرمين ، ١٩٧٣) .

٣٤/ العقاد ، عباس محمود ؛ اثر العرب في الحضارة الأوربية .

٣٥/ المجوسي ، على بن العباس ؛ كامل الصناعة في الطب ، ج١ (القاهرة ، المطبعة الكبرى بالديار المصرية ، ١٢٩٤هـ) .

٣٦/ جميل ، ألبير ؛ الموسوعة الطبية الشاملة (بيروت ، دار إحياء التراث العربي) .

٣٧/ حامد التكروري و خضر المصري ؛ دور التراث العربي والإسلامي في مجال الغذاء والتغذية في المنجزات العلمية الغربية ، (عمان ، دار حنين للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٤) .

٣٨/ حسام الراوي ؛ الرسول الطبيب ، ط١ (لندن ، مؤسسة الانتشار العربي ، ١٩٩٩) .

٣٩/ دايان داهم و جاي سمث ؛ اللياقة البدنية للجميع ، ط١ (بيروت ، الدار العربية للعلوم ، ٢٠٠٦) .

٤٠/ زغرد هونكه ؛ شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة فاروق بيضون (بيروت ، المكتب التجاري ، ١٩٦٤) .

٤١/ زهير احمد السباعي ، محمد علي البر ، الطبيب آدابه وفقهه (بيروت ، الدار الشامية) .

٤٢/ طوقان ، قدري حافظ ؛علماء العرب وما أعطوه للحضارة (القاهرة ، دار الكتاب العربي) .

٤٣/ عبد الحكيم عبد الله ؛ إعجاز الطب النبوي ، ط١ (القاهرة ، دار الأفاق العربية ، ١٩٩٨) .

٤٤/ عبد المنان عكاشة ؛ عالج نفسك بنفسك بالقرآن والسنة والإعشاب (عمان ، دار الإسراء ، ١٩٩٦) ص٧٥ .

٤٥/ عبد المنعم قنديل ؛ التداوي بالقرآن (بغداد ، مكتبة النهضة العربية ، ١٩٨٨) .

٤٦/ علي بن حسام الدين ؛ كنز العمال (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٩) .

٤٧/ علي حسين السلطان ؛ الطريق إلى تغذية صحية أفضل (بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ٢٠٠٤) .
٤٨/ فارس ، معز الإسلام عزت ؛ التغذية في الإسلام ، من موقع (www. Tagthia / islam.htm) .
٤٩/ فريال عبد العزيز إسماعيل ؛ الغذاء والتغذية (الكويت ، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ، ١٩٨٨) .
٥٠/ كمال عبد الحميد إسماعيل (وآخرون) ؛ التغذية للرياضيين ، ط٢ (القاهرة ، مركز الكتاب للنشر ، ٢٠٠٩) .
٥١/ كمال عبد الحميد عثمان ؛ الوسطية في الغذاء والتغذية ، (موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة) www.55a.net
٥٢/ محمد أبو زهرة ؛ الأحوال الشخصية (حقوق الأولاد والأقارب) .
٥٣/ محمد رفعت ؛ الغذاء قبل الدواء (بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، ١٩٧٧) .
٥٤/ مصطفى كمال مصطفى ؛ الأطعمة ودورها في التغذية والجداول الغذائية (القاهرة ، الدار العربية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٨) .
٥٥/ مصيقر عبد الرحمن ؛ القيمة الغذائية للتمور وفوائدها الصحية ، ط١ (الأمارات العربية المتحدة ، مركز الأمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية ، ٢٠٠٥) .
٥٦/موسوعة الغذاء ؛ الغذاء ومكوناته وطرق حفظه ، المجلد الأول (إصدار الاتحاد العربي للصناعات الغذائية ، ١٩٩٥) .

٥٧/ محمود الحاج قاسم محمد ، الطب الوقائي النبـــوي ، دار النفـــائس ، بيروت ٢٠٠١ .

٥٨ / محمود الحاج قاسم محمد ، تاريخ طب الأطفال عند العرب ، الطبعة الثالثة ، مركز إحياء التراث العلمـــي العربـــي – جامعـــة بغـــداد ، ١٩٨٩ .

1/ Medicine Annals of Internal "Ibn sina and the clinical trial "December 2011 ,Retrieved ,(7).

2/ The American cancer society lewand Garfinkell(1979)

محاولة نقديّة
في تأصيل مصطلح عمود الشعر

الدكتور فائز طه عمر
كلية التربية – جامعة تكريت

الملخــص :

يرمي هذا البحث الى إظهار استعمال مصطلح عمود الشعر وجدناه سابقا لاستعمال البحتري له في النص الشهير الذي نقله عنه الآمدي في كتاب الموازنة ، و يبدو أن هذا الاستعمال المقصود الذي ذكرناه في هذا البحث لا يعطي الدلالة المعروفة عنه التي تدلّ على طريقة العرب الموروثة في الشعر المستقاة من الشعر الجاهلي ، بل يفيد مرتكز الشعر وجوهره وعناصر صناعته الجيدة عامّة . مما يحقق استدراكا على سائر الدراسات النقدية التاريخية الدائرة حول عمود الشعر .

المقدمــة :

أفرزت حقيقة الصراع الدائر بين قديم الشعر العربي وجديده ومناصريهما معركة نقدية كبيرة ، قوامُها التعصّب للشعر القديم ، وردّ الفعل المُتوقّع عليه ، الذي نتج عنه وضع المصطلحات الجديدة ، كمصطلح عمود الشعر ، والبديع ، وازدهار البحث في السرقات ، على نحو واسع وعميق ، ومحاولات على سبيل كشف عيوب الشعراء وأغاليطهم ، وغير ذلك مما أثرى النقد العربي ووسّع ميادينه وعمّقها ، غير أنّ الاستقرار

على تحديد أصول المصطلحات ومبتكريها بدا أمرا صعب المنال ، فلم يستطع الدرس النقدي أن يحدّد من هو واضع البديع ، مثلا ، فالجاحظ الذي نسب هذا المصطلح إلى رواة الشعر[1] لم يُسمّ هـذا الراوية الـذي يبدو أنه أحد اللغويين الرّوّاد ، غير أنّ أبا الفرج الأصفهاني نسب إلى أُناس، لم يسمّهم ، زعمهم أنّ مسلما بن الوليد (٢٠٨هـ) هو (أوّل من قال الشعر المعروف بالبديع ، وهو لقّب هذا الجنس البديع و تبعه فيه جماعة . .)[2]، ولعلّ الأصفهاني الذي ضعّف هذا القول وعبّر عنه بـ (زعموا) كان يعلم أنّ مثل هذه الدعاوى قد أبطلها ابن المعتز[3] ، من قبلُ ، فالبديع فنون مُستعملة في أقدم النصوص العربيّة القديمة ، فضلا عن القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، وسائر كلام العرب نثره وشعره ، وكانت تأتي في الكلام على نحو تلقائي وغير مقصود ، تلبية لحاجة تعبيريّة ونفسيّة إنسانيّة .

---

(١) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (٢٥٥هـ) ، البيان و التبيين ، تحقيق ، عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ، ٥ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ٣ / ٢٤٢ .

(٢) الأصفهاني ، أبو الفرج ، ٣٥٦ هـ ، الأغاني ، تحقيق ، الدكتور يوسف البقاعي ، و غريد الشيخ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م ، ١٩ / ٢٧ .

(٣) ابن المعتز . أبو العبّاس ، عبدالله ، ٢٩٦هـ ، البديع ، تحقيق ، محمد عبد المنعم خفاجي ، مصطفى البابي الحلبي و أولاده ، القاهرة ، ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م ، ١٥ – ١٦ .

وقد بات من الشائع والمُتداول ، في الأوساط المعنيّة بالنقد العربي القديم وما أُنتج فيه من دراسات ، أنّ عمود الشعر مصطلح أُطلق على طريقة العرب الموروثة عن الجاهليين في صناعة الشعر وشروطه وخصائصه المُتمثّلة بعدم القصد إلى استعمال البديع خاصة ، فهو يعبّر عن (طريقة العرب في نظم الشعر لا ما أحدثه المُولّدون والمتأخّرون)[٤] ، وأظنّ أنّ هذا يشمل بناء القصيدة بمطلعها الطللي والنسيبي ، ووصف الرحلة التي قادته إلى الممدوح ، ووصف الراحلة وما لاقته من تعب مضن من أجل الوصول إليه ، ثم الشروع بالمديح لهزّ الممدوح إلى مزيد من العطاء[٥] ، فهذه الأقسام تعبّر عن شيء من أسس عمود الشعر في مفهومه العام ، وتقاليده وخصائصه البنائيّة ، على الرغم من أنّ هذه الأقسام لم يذكرها مُنظّرو هذا العمود .

إن رسوخ تقاليد الشعر العربي وتعلّق الذوق العام به ، حتّى حين ، كان بفعل عوامل كثيرة أشار إليها عدد من الدراسات [٦] ، وقد آل هذا

---

(٤) مطلوب ، الدكتور أحمد ، معجم النقد العربي القديم ، دار الشؤون الثقافيّة العامّة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٩م ، ٢/ ١٣٣ .

(٥) ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري ، ٢٧٦هـ ، الشعر و الشعراء ، تحقيق ، الدكتور مفيد قميحة ، و الأستاذ محمد أمين الضناوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، ٢٠ .

(٦) مندور ، الدكتور محمد ، النقد المنهجي عند العرب ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، د.ت ، ٧١ ، ٧٤ ، كنّابة ، الدكتور وحيد صبحي ، الخصومة بين الطائيين ، اتحاد الكُتّاب العرب ، دمشق ، ١٩٩٧م ، ٨ ، عمر ، الدكتور فائز طه ، نقد الشعر لدى ابن المعتز ، دار الشؤون الثقافيّة العامة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٩م ، ١١٣ ، ١٢٦-١٢٧ .

الأمر إلى إعتماد الكثير من النقّاد القُدامى الشعر القديم معيارا يُعرض عليه الشعر المُحدث ، مما يُقال عن ابن المعتز[٧]، وابن طباطبا[٨]، والآمدي[٩]، والقاضي الجرجاني[١٠] ، وغيرهم ، ولاننسى هنا اللغويين رواة الشعر الروّاد الذين كان لهم الأثر الكبير في ترسيخ المعيار الزمني للشعر ، وهو يستند إلى قبول شعر القدماء ورفض غيره من شعر أنتجه المحدثون ، حتى بات القرب من شعر القدماء ومحاكاته ، أو البعد عنه هو المُعوّل عليه ، كما مرّ بنا ، في قبول الشعر أو رفضه[١١]، و لا نغفل عن أثرهم في تنمية أذواق أبناء الخلفاء الذين تعهّدهم بعض هؤلاء اللغويين بالتأديب

---

(٧) السامرائي ، الدكتور يونس ، من فصول ابن المعتز و رسائله ، جمع و تحقيق ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠٠٢م ، ٥٩ ، ٧٨ .

(٨) ابن طباطبا ، محمد بن أحمد العلوي ٣٢٢هـ ، عيار الشعر ، تحقيق ، الدكتور طه الحاجري ، الدكتور محمد زغلول سلّام ، المكتبة التجاريّة الكبرى ، القاهرة ، ١٩٥٦ م ، ٤ ، ٧ .

(٩) الآمدي ، أبو القاسم الحسن بن بشر ٣٧٠هـ ، الموازنة بين شعر أبي تمّام والبُحتري ، تحقيق ، السيد صقر ، دار المعارف بمصر ، ط٢ ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م ، ١/ ٤٢٣.

(١٠) القاضي ، أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني ٣٩٢هـ ، الوساطة بين المُتنبي و خصومه ، تحقيق ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، و علي محمد البجاوي ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، ط٤ ، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م ، ٣٣- ٣٤ .

(١١) محمد ، سنيّة أحمد ، النقد عند اللغويين في القرن الثاني ، دار الرسالة ، بغداد ، ١٩٧٧م ، ٦٨ – ٧٩ ، سلّوم ، الدكتور داود ، النقد العربي القديم بين الاستقراء والتأليف ، مكتبة الأندلس ، بغداد ، ط٢ ، ١٩٧٠م ، ٨٧- ٩١ .

والتعليم على نحو عمّق مكانة هذا القديم الشعري[١٢]، ونشير ، إلى أنّ للغويين ، المؤدبين خاصة ، أثرا في حصول شاعر ما على جائزة من ممدوحه ، أو عدمه [١٣]، كلّ هذا وغيره جرى في أجواء الصراع بين أنصار الشعر القديم ، وأنصار الشعر الحديث ، وفي ظلّ هذه الأجواء (كان النقّاد يحدّدون خصائص الشعر القديم ، ويوضحون سمات الشعر الجديد .) [١٤]، بل إنّ الكثير من الشعراء المُجدّدين كانوا يحاولون إرجاع الجديد برمّته ، أو الحسن (المقبول منه إلى أصول قديمة .) [١٥]، على أنّ مصطلحا معبّرا عن خصائص هذا القديم وتقاليده المُتوارثة لم يظهر ، في حينه ، حتى ظهور كتاب الموازنة للآمدي ، ممّا كان مُتداولا بين الدارسين ، ذلك أنّ هذا الشعر كان هو المُهيمن ، بخصائصه المعروفة ، وهو معبّر عن هذه الخصائص ومعروف بها ، ولعلّ هذا هو ما كان يُشعر المعنيين بالشعر ونقده بعدم الحاجة إلى الإصطلاح عليه ولتحديد خصائصه وحدوده ، فطبائع الأشياء وقوانينها فرضت عليهم ، على نحو تلقائي ، أن يصطلحوا ، أوّلا ، على الجديد اللافت للإنتباه الذي لم تتضح

---

(١٢) ضيف ، الدكتور شوقي ، العصر العباسي الأول ، دار المعارف بمصر ، ط٦ ، ١٩٧٦ م ، ١٣٩ ، قصّاب ، الدكتور وليد ، قضية عمود الشعر في النقد العربي القديم ، ظهورها و تطوّرها ، المكتبة الحديثة ، العين ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ٣٨.

(١٣) ضيف ، السابق ، ٣٩ – ٤٠ ، كبّابة ، سابق ، ٨-٩ .

(١٤) مطلوب ، الدكتور أحمد ، دراسات بلاغية و نقدية ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ٣٩٨ ، قصّاب ، سابق ، ٨٣ .

(١٥) الأعرجي ، الدكتور محمد حسين ، الصراع بين القديم و الجديد في الشعر العربي، المركز العربي للثقافة و العلوم ، بيروت ، د.ت ، ١٢٨ ، كبّابة ، سابق ، ٢٢ .

حدوده أو خصائصه ، على نحو قويّ ، بعدُ ، فالجديد الشعري هذا نبع من حياة جديدة ، ومن شعراء عاشوا ظروفا أخرى مؤثّرة في صيرورتهم الشعرية وتطوّرها ، ليعبّروا به عن هذه الحياة وتغيّر معالمها ، وهي اشياء مختلفة كل الإختلاف عمّا ألفه الشاعر الجاهلي ، ومن تلاه من شعراء العصور القريبة اللاحقة ، فالحياة أخذت تضرب لها قيما جديدة ، ووجه المجتمع راح يأخذ ألوانا غير معهودة ، ولغتنا العربيّة بدأت تتكيّف مع تغيّر الأحوال ، وتعدّد الثقافات واختلاف مستويات التعبير اللغوي حتّى ظهور جيل جديد ، من الشعراء وغيرهم عُرفوا بالمُولّدين وهم الذين لم تكن ثقافتهم ولا بيئتهم عربيّة محضة[١٦]، فنشأتهم كانت في ظروف تلاقح أو تفاعل الثقافة العربيّة الإسلاميّة بثقافات أُخرى وافدة عن طريق الترجمة ، أو عن طريق من حملها ، لسانا ومعرفة ، فانتج هؤلاء المُولّدون قصائد وأشعارا تعبّر عن نمط شعريّ جديد ، يختلف ، بطابعه ، عن الشعر العربي المُتوارث الذي كان يُستعمل فيه الفنّ البديعي على نحو تلقائي استجابة للمعاني ولمقتضيات الأحوال ، وليس لغايات فنّية محضة ، على أنّ المُولّدين من الشعراء ، كبشار بن برد ، وأبي نواس ، والعتّابي ، ومسلم ، ثمّ أبي تمّام ، أخذوا يقصدون البديع قصدا بعد أن لحظوا أثره في النصّ الشعري بجعله أكثر جمالا وفنّا وأثرا ، ممّا بيّنه ابن المعتز بقوله : (ولكنّه كثُر في أشعارهم ، فعرُف في زمانهم ، حتى سمّي بهذا الاسم فأعرب عنه ودلّ عليه .) [١٧]، فكان مُصطلح البديع هنا قد اكتسب دلالة المذهب الشعري التجديد ، بعد أن كان دالّا على الاستعمال الفنّي

---

(١٦) مطلوب ، معجم ، سابق ، ٢ / ٣٨٣ – ٢٨٥

(١٧) ابن المعتز ، البديع ، سابق ، ١٦ .

المؤثّر الجميل المُتمثّل بالإستعارة ، ومن ثم فنون أخرى ، لكون أبرز ما كان يميّز هذا المذهب الشعري المُسمّى بالبديع هو كثرة فنون البلاغة أي البديع فيه ، كما صـــرّح بـــهـــذا ابنُ المعتز في قوله السابق ، وقد ظهر هذا وعُرف قبل الإصطلاح على الشعر المُحافظ على طريقة العرب المعروفة المُتوارثة الذي كان الأكثر سعة وتداولا حتى زمن ظهور مصطلح البديع المُعبّر عن الشعر الجديد الذي كان مايــزال ضيّقا ، ولا نـــعثر قبل قـــول ابن المعتز السابق عـــن قـــول يُصرّحُ فيه أن كلمة بديع أُطلقت على مجموعة شعراء مثّلوا اتّجاها أو مذهبا شعريا جـــديدا قـــوامُه القصد إلى استعمال البديع والإكثار منه في أشعارهم ، فابن المعتز تمكّن من تحديد معالم هذا المذهب الجديد وأبرز سماته .

ومع تقادم الزمن ، وتطوّر الحياة أخذ مذهب البديع هذا يتّسع ، ولاسيّما أنّ شعراء كبارا اتخذوه طريقة لهم في صناعة الشعر ، وربّما أخذت مساحته تربو على مساحة الشعر المنتمي إلى طريقة العرب المُتوارثة ، ولعلّ المعنيين بالشعر أدركوا ، حينذاك ، أهميّة الإصطلاح على الطريقة العربيّة التقليدية في الشعر ، بل ضرورة ذلك ليتسنّى لهم ، من خلال الإصطلاح ، أن يحافظوا على معالم هذه الطريقة و حـــدودها الفنّية وسماتها ، فبرز تعبير عمود الشعر إستعمالا إصطلاحيّا دالّا على هذه الطريقة المُنبثقة من خصائص الشعر الجاهلي خاصّة التي { تقوم على الإعتدال ، وعدم المُغالاة في الصنعة }[18]، وتداول المعنيّون بالشعر

---

[18] سلّام ، الدكتور محمد زغلول ، تاريخ النقد العربي من القرن الخامس الى العاشر الهجري ، دار المعارف ، بمصر ، د . ت، ٢/ ١٠٠ .

ونقده أنّ أوّل من دار على لسانه هذا المصطلح هو الشاعر الكبير أبو عُبادة البُحتري (٢٨٤هـ) ، في قول له نقله الآمدي وحده في كتابه الموازنة ، وهو : (أبو تمّام أغوص على المعاني منّي ، وأنا أقوم بعمود الشعر منه)[١٩] ، وكان انفراد الآمدي برواية هذا القول ونسبته للبحتري مدعاة إلى ظنّ بعض مؤرّخي النقد العربي القديم بأنّ الآمدي هو واضع هذا القول وما يتضمّنه من مصطلح عمود الشعر[٢٠].

وقد تولّيتُ سنوات ، تدريس النقد العربي القديم في مرحلة الدراسات الأوّليّة ، والدراسات العليا ، في كلّية الآداب – جامعة بغداد ، وفي غيرها ، وكنتُ كلّما وقفتُ على ما نسبه الآمدي للبحتري من قول ، ذكرناه ، فيه ذكر عمود الشعر مصطلحا دالّا ، أُعلنُ ظنّي أنّ هذا المصطلح بدا ، في استعمال البحتري له في هذا النصّ ، مصطلحا مُتداولا قبل استعمال البُحتري له ، إن صحّ أنّه هو صاحبه ، ذلك أنّ الآمدي قد انفرد بروايته ، وقد كنتُ أقصد أنّ البحتري لم يكن هو واضع هذا المصطلح (عمود الشعر) ، بل تحدّث عنه ، أو جاء به في سياق التعبير عن الإجادة في صناعة الشعر ، أو إحكامها ، ولعلّه تعبير عن اقتراب الشعر المُحدث من الشعر الجاهلي ، خاصّة ، في خصائصه ، ولاسيّما أنّ الآمديّ نفسه وصفه بالمعروف في قوله عن البُحتري : (ما

---

(١٩) الآمدي ، سابق ، ١/ ١٢ .

(٢٠) عباس ، الدكتور إحسان ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، نقد الشعر ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، عمّان ، ١٩٨٦ م : ١٥٩ ، و قصّاب ، سابق ، ١٤٠.

فارق عمود الشعر المعروف .) [٢١] ، و قد أوحى إنفراد الآمدي بنسبة استعمال عمود الشعر إلى البحتري لبعض الباحثين بآراء تنسب القول بعمود الشعر الى الآمدي ، فهذا الدكتور إحسان عباس يقول : (فإنّ هذا التعبير يواجهنا هنا لأول مرّة) [٢٢]، يقصد تعبير عمود الشعر ، و يرى ، أيضا أنّ أنّ إيثار الآمدي طريقة البحتري وميله إليها هو ما دفعه إلى عدّها عمود الشعر ونسبتها للأوائل ، في قوله:(وليس من شكّ في أنّ الآمدي كان يؤثر طريقة البحتري ويميل إليها ، ومن أجل هذا جعلها عمود الشعر ونسبها إلى الأوائل ، وصرّح بأنه من هذا الفريق دون مواربة) [٢٣] ، ويشير كلام الدكتور إحسان عباس ، على نحو غير مباشر ، إلى أنّ الآمدي هو الذي وضع ، لطريقة البحتري التي تمثل طريقة القدماء حسب رأيه ، مصطلح عمود الشعر ، وتابع أحد الباحثين قول الدكتور عباس ، وأكّد رأيه بقوله : (الآمدي هو أول من أتى بهذا المصطلح ليكون عنوانا لطريقة العرب الشعرية ، ومعيار الخصومة بين القدماء والمحدثين) [٢٤]، وصرّح الدكتور وليد قصّاب ، أيضا ، بأنّه لم يجد أحدا قبل الآمدي قد تحدّث عن مصطلح عمود الشعر ، بقوله : (لا نجد أحدا تحدّث عنه قبل الآمدي تحت هذا الاسم) [٢٥]، بل هو صرّح ، بعد هذا ، بأنّ الآمدي هو

---

[٢١] الآمدي ، سابق ، ٤ .
[٢٢] عباس ، السابق ، ١٥٩ .
[٢٣] نفسه ، ١٦٢.
[٢٤] كنابة ، سابق ، ٦٢ .
[٢٥] قصّاب ، سابق ، ١٤٠ .

الذي وضع هذا المصطلح ، بقوله : (إنّنا نظنّ ظنّاً أنّ الآمدي قد وضع هذا المصطلح النقدي وأقام عليه نظريّة واسعة ممتدّة الجنبات ، وجعلها شيئًا معروفا بين الناس)[٢٦]، وهو يدّعي أنّ وصف الآمدي عمود الشعر بالمعروف ، ممّا مرّ بنا ، غايتُه إيهام النّاس أنّ هذا المصطلح معروف ليحقق غرضه في رواجه ، و قبول ما رتّب عليه من نظريّة ، وكأنّ الآمدي ، على وفق هذا القول ، منقطع عن مجمل حركة الشعر العربي وخصائصه المُتوارثة وما طرأ عليها من تغيّر أو تطوّر ، ليصنع لنفسه كيانا نقديّا خاصّا به يسوّغ به ما يراه ، ولا يخفى أنّ قصّاب اطمأنّ إلى ما قاله بإرتكازه على مقولة الدكتور إحسان عباس التي أوردناها سابقا ليبني عليها ما قاله ، على نحو نتحفّظ منه ، فهو يُلغي جهود السابقين من النقّاد الذين أسهموا في إنضاج القول في عمود الشعر و شروطه و أبوابه بآرائهم و اجتهاداتهم .

ومن المناسب ذكر أنّ الدكتور أحمد مطلوب ، والدكتور محمد زغلول سلّام لم يُصرّحا بأكثر من مفهوم ظاهر لكلام الآمدي وما نقله عن البحتري من كلام اقتبسناه آنفا ، فيه ذكر عمود الشعر.[٢٧]

ولعلّ وصف الآمدي عمود الشعر بالمعروف ممّا أوردناه يدلّ على أحد احتمالين ، فقد يُقصد به أنّ هذا العمود معبّر عن تقاليد مُتّبعة ، وخصائص متواترة ، يعرفها الناس نتيجة معرفتهم بخصائص الشعر الجاهلي وما جرى مجراه التي هي أساس أبواب عمود الشعر ، أو قد

---

[٢٦] نفسه ، ١٤١ .

[٢٧] مطلوب ، سابق : ٤٠٠ ، معجم النقد العربي القديم ، سابق ، ٢/ ١٣٣- ١٣٦؛ سلّام ، سابق : ١/ ١٠٢ ، ١٧٨ .

يكون القصد من كلمة معروف أنّ عمود الشعر استعمال دائر يعرفه الناس ويؤدّون به معاني مقصودة ، على هذا لا يكون الآمدي ولا البحتري هو من وضع هذا المصطلح ، ولعلّ هذا الأمر يؤكّده ما وجدناه من استعمال مبكّر لعمود الشعر ، قبل البُحتري و الآمدي ، جاء على لسان شخص من عامّة الناس هو ابن عمّ الشاعر مسلم بن الوليد الذي كان قد تهاجى مع شاعر معاصر له فغلبه هذا الشاعر ، في الهجاء ، وهذا الشاعر هو الحكم بن محمد بن قنبر المازني ، نحو (٢٠٠هـ) ، ويبدو أنّ ابن عمّ الشاعر مسلم هذا أراد أن يُطيّب نفس مسلم و خاطره ، مقرّا له بمكانته الشعريّة التي يعترف بها الجميع ، على الرغم من غلبة الشاعر ابن قنبر له في الهجاء ، فذكر له أنّ الناس جميعا يُقرّون له بتفوّقه في عمود الشعر ، أي في جوهره ومرتكزاته الفنيّة ، ممّا رواه أبو الفرج الأصفهاني بقوله : (لمّا تهاجى مسلم بنُ الوليد و ابن قنبر ، أمسك عنه مسلم بعد أن بسط عليه لسانه . فجاء مسلما ابنُ عمّ له فقال : أيّها الرجل ، إنّك عند الناس فوق هذا الرجل في عمود الشعر ، وقد بعثتَ عليه لسانك ثمّ أمسكتَ عنه ، فإمّا أن قاذعته ، وإمّا أن سالمته . .)[٢٨]، ويبدو ، من هذا الخبر الذي يتضمّن استعمال عمود الشعر ، أنّ عمود الشعر ، في أوّل أمره ، لم يكن دالا على طريقة القدماء في صناعة الشعر ، ولعلّه دلّ على استيفاء الشعر شروطه الفنيّة التي تجعله قويّا مؤثّرا ، ممّا هو حال شعر مسلم المعروف بجودته ، ويمنحاه البديعي ، فهو أوّل من وسّع البديع[٢٩] ، وهذا يدلّ على عدم حمل هذا الاستعمال ، أي عمود الشعر ، أية دلالة إصطلاحيّة على خصائص الموروث الشعري ، ممّا عبّر عنه

---

[٢٨] الأصفهاني ، سابق ، ١٤ / ١١٣ ، و نفسه ، ١٩ / ٤٩ – ٥٠ .

[٢٩] ابن المعتز ، طبقات الشعراء ، تحقيق ، عبد الستار أحمد فرّاج ، دار المعارف بمصر ، ط٤ ، ١٩٨١م ، ٢٣٥ .

الآمدي ، ومن تلاه من النقّاد الذين عُنوا به ، فعمود الشعر في قول ابن عم مسلم له مُستمدّ من استعمال العرب لكلمة عمود التي تعني الخشبة التي يقوم عليها البيت[٣٠] ، وقد استُعملت هذه الكلمة (عمود) مُضافة إلى الخطابة في قول للشاعر الجاهلي أبي دؤاد بن حريز الإيادي ، هو : (رأس الخطابة الطبعُ ، وعمودُها الدّربة ، وجناحاها رواية الكلام ، وحليُها الإعراب ، و بهاؤها تخيّرُ الألفاظ . .)[٣١] ، فمُرتكز الخطابة ، في هذا القول ، هو الدّربة ، أي الاستمرار على قول الخطب و تدريب اللسان عليها ، في مواجهة الناس شفاها .

وتحدّث اللغوي أبو زيد الأنصاري (٢١٥هـ) ، بعد ذلك ، عن مقدرة الشاعرة الخنساء في غرض الرثاء وتفـوّقها فـيه ، في موازنة له عقدها بينها وبين الشاعرة ليلى الأخيليّة التي قال عنها إنّها (أغزرُ بحرا ، وأكثر تصرّفا . .)[٣٢] أي أنّها متمكّنة من القـول في الأغراض الشعرية المختلفـة ، أما الخنساء فهي (أذهبُ في عمود الرّثاء) ، ممّا قاله أبو زيد فـي الموضع نفسه ، فالخنساء هي الأقدر على القول في غرض الرثاء ، فقد امتلكت أساس القـول فيه وهو ، كما يبدو لنا ، وجود محفّز لها على القول فيه ، فقد فقدت أخويها صخرا ومعاوية وفاضت دموعُها

---

[٣٠] ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ٧١١هـ ، دار صادر ، بيروت ، د.ت ، ١٠/ ٢٧٥ .

[٣١] الجاحظ ، سابق ، ١ / ٤٤ .

[٣٢] الحصري القيرواني ، أبو اسحاق ابراهيم بن علي ، تحقيق ، علي محمد البجاوي ، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣ م ، ٢/ ٩٢٨ ، و يُنظر ، محمد ، سنيّة أحمد ، النقد عند اللغويين في القرن الثاني ، دار الرسالة للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٧م ، ١٤٨.

عليهما ولاسيما على صخر[٣٣] ، أي أنّها عاشت تجربة الفقد والحزن ، على نحو واقعي ، تحوّل إلى إبداع شعري معروف لها ، حتى عُدّت من أشهر شعراء الرثاء[٣٤] .

وبقيت كلمة العمود تعني المُرتكز والأساس لأي صناعة ، فاللغوي ثعلب (٢٩١هـ) ، بعد ذلك ، تحدّث عمّا سمّاه (عمود البلاغة) أي مرتكزها وأساسها ، في تناوله ما اصطلح عليه بالأبيات (المُرجّلة التي يكمل معنى كلّ بيت منها بتمامه ولا ينفصل الكلام منه ببعض يحسن الوقوف عليه ، غير قافيته ، فهو أبعدها من عمود البلاغة ، وأذمّها عند أهل الرواية . .)[٣٥]، وكان عمود الكتابة الصحيحة غير المتكلّفة هو الطبع ، ممّا قاله أبو حيان التوحيدي (٤١٤هـ) ، في حديثه عن الصاحب بن عبّاد (٣٨٥هـ) الذي قال عنه إنه (فقد الطبع الذي هو العمود .)[٣٦].

إنّ هذه المُداخلة النقديّة ، أو المحاولة النقديّة التاريخيّة ، التي تحرّينا بها تاريخ استعمال تعبير عمود الشعر في التراث العربي ، تُنبّهنا على أنّ أكثر الدراسات التي أصّلت لظهور عمود الشعر ، وربّما كلّها ، قد أكتفت بما هو متواتر من أقوال ، وكنّا كذلك نستقي منهم ، فقد سبقونا ، ونردد ما

---

[٣٣] الأصفهاني ، سابق ، ١٠/ ٦١ – ٧٨ .

[٣٤] الجُمحي ، محمد بن سلّام ، ٢٣١هـ ، طبقات فحول الشعراء ، تحقيق ، محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، د.ت ، ١/ ٢٠٣ ، ٢١٠ .

[٣٥] ثعلب ، أحمد بن يحيى ، قواعد الشعر ، تحقيق و شرح ، الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م ، ٧٣ – ٧٤ .

[٣٦] التوحيدي ، أبو حيان ، الإمتاع و المؤانسة ، تحقيق ، أحمد أمين و أحمد الزين ، المكتبة العصرية ، بيروت – صيدا ، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣ م ، ١/ ٦٤ .

قالوه ، مع ظنٍّ كان يراودنا كلما قلّبنا النظر في عبارة البُحتري التي نقلها عنه الآمدي وحده : أبو تمّام أغوص على المعاني منّي ، و أنا أقوم بعمود الشعر منه ، أنّه أورد عمود الشعر ممّا أدركه من أعراف زمانه وما كان يدور فيه من استعمالات فنية ، لعلّ عمود الشعر منها ، ولم ننتبه ، جميعا ، على مقـولة ابن عـمّ الشاعر مسلم بن الوليد لمسلم من أنه : فوق هذا الرجل في عمود الشعر ، كما مرّ بنا ، ولعلنا اليوم ، بعد هذا ، لا بد من أن نعيد النظر في تاريخ ظهور مصطلح عمود الشعر ، فلا يصحّ نسبته إلى الآمدي الذي أدّعى بعض الدارسين ، كما رأينا سابقا ، أنّه هو واضع هذا المصطلح وهو من جعل البُحتُري معبّرا عنه بطريقته في صناعة الشعر ، ورسم خصائص هذه الطريقة متطابقة لخصائص عمود الشعر[٣٧] ، ولا يعني هذا التقليل من أهمّية الآمدي في تطوّر نقد الشعر عند العرب وجهوده المهمّة في هذا على أننا أردنا القول أنّ كلّ هذا ما كان له أن يمرّ لو أنّا قرأنا أو انتبهنا على ما ذُكر هنا أو هناك ، لنضع تاريخ هذا المصطلح المُهمّ ، وغيره ، في سياقه التاريخي الصحيح ، فيسهل ، علينا رصدُ تطوّره ، و تتبع دلالته ، على نحو صائب .

---

[٣٧] الآمدي ، سابق ، ١/ ٤٢٣ .

التقرير السنوي للمجمع العلمي لسنة ٢٠١٢م

أسس المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٤٧ ثم أعيد تشكيله بموجب القانون ذي الرقم ٤٩ لسنة ١٩٦٣ وبعدها صدر قانون المجمع العلمي الكردي رقم ١٨٣ لسنة ١٩٧٠ وقانون مجمع اللغة السريانية رقم ٨٢ لسنة ١٩٧٢ وبالنظر لأهمية التنسيق والتكامل بين المؤسسات العلمية المتخصصة وذات المهمات المتشابهة ، ولما دلت عليه تجربة المرحلة السابقة من بعثرة الجهود والطاقات والخبرات لتعدد المجامع العلمية في الوطن الواحد فقد أرتئي وضع إطار تنظيمي موحد لهذه المجامع بما يؤمن التنسيق والتكامل فيما بينها مع الحفاظ على الغايات الوطنية العليا الأساسية التي قامت من أجلها المجامع السابقة ، وأعيد تشكيله بموجب (قانون المجمع العلمي العراقي ذي الرقم ١٦٣ لسنة ١٩٧٨) ، ثم أعيد تشكيله عند صدور قانونه ذي الرقم ٣ لسنة ١٩٩٥ باسم (المجمع العلمي) للنهوض بالمجمع وتحديد مسيرته العلمية .

وقد نصت المادة الأولى منه على أن (المجمع العلمي) مؤسسة ذات شخصية معنوية وإستقلال مالي وإداري ، وكان يرتبط بديوان الرئاسة المنحل وارتبط بعد ذلك بمجلس الوزراء إستنادا إلى كتاب مجلس الوزراء ذي العدد م . خ / ٥ / ١٨١٦ في ٢٠٠٤/٨/٢٢.

أولا ــ أهداف المجمع :

١- المحافظة على سلامة اللغة العربية والعمل على تنميتها ووفائها بمطالب العلوم والآداب والفنون.

٢- الاسهام الفاعل في حركة التعريب، ووضع مصطلحات العلوم والاداب والفنون والحضارة.

٣- أ : المحافظة على سلامة اللغة الكردية والعمل على إنمائها ووفائها بمطالب الحياة وتنقيتها من الالفاظ والمصطلحات الاجنبية ويستعاض عنها بمفردات من اللغة العربية كلما يتطلب الامر ذلك .

ب: المحافظة على سلامة اللغة السريانية والعمل على إنمائها وحفظ التراث السرياني.

٤- إحياء التراث العربي والاسلامي في العلوم والآداب والفنون .

٥- العناية بدراسة تاريخ العراق وحضارته وتراثه.

٦- النهوض بالدراسات والبحوث العلمية في العراق لمواكبة التقدم العلمي في العالم .

٧- تشجيع وتعضيد التأليف والبحث في العلوم والاداب والفنون .

٨- ترجمة أهم ما يصدر عن كتب وبحوث باللغات الأجنبية .

٩- رصد الكتابات غير النزيهة التي تتعرض لتراث الامة ومقاومتها ومناقشتها باسلوب علمي رصين وتأمين نشر ذلك على الرأي العام .

١٠- التعاون مع المؤسسات المعنية بشؤون الثقافة والفكر على تسمية أهم المؤلفات العربية الرصينة لترجمتها الى اللغات الاجنبية .

١١- إقامة صلات ثقافية مع جهات الاستشراق مؤسسات وأفرادا.

١٢- إقامة الصلات بالمجامع العلمية واللغوية والمؤسسات العلمية الثقافية في البلاد العربية والاجنبية .

ويتخذ المجمع العلمي الوسائل الملائمة لتحقيق أهدافه ولاسيما ما يأتي :

١- وضع معجمات وموسوعات علمية ولغوية .

٢- تحقيق الكتب والوثائق القديمة ونشرها .

٣- نشر الكتب والدراسات والرسائل الجامعية والتعاون مع الجهات المعنية بهذا المجال .

٤- إصدار المجلات والنشرات .

٥- إقامة مؤتمرات قطرية وعربية ودولية وعقد ندوات ومواسم ثقافية.

٦- إمداد وسائل الاعلام بالمادة العلمية والثقافية المفيدة في توجيه الرأي العام .

٧- تحديد أهم محاور التقدم في العالم للافادة منها في التطوير والتنمية.

٨- إنماء مكتبة المجمع العلمي وتحديث أساليبها ، وتطوير شؤون الطباعة والنشر فيه .

ثانيا - يتألف المجمع العلمي من :

أ- أعضاء عاملين لايقل عددهم عن خمسة وعشرين ولايزيد على سبعة وثلاثين بضمنهم رئيس المجمع .

ب- أعضاء مؤازرين .

ج- أعضاء شرف .

وللمجمع العلمي أمين عام متفرغ بدرجة خاصة للإشراف على سير الأعمال الإدارية والمالية في المجمع ويمارس الصلاحيات الممنوحة له بموجب القانون .

ثالثا ــ للمجمع العلمي دوائر علمية لتنمية أموره العلمية والثقافية وهي:

١- دائرة علوم اللغة العربية

٢- دائرة اللغة الكردية

٣- دائرة اللغة السريانية

٤- دائرة التراث العربي والاسلامي

٥- دائرة العلوم الانسانية

٦- دائرة العلوم الصرفة

٧- دائرة العلوم التطبيقية

٨- دائرة المصطلحات والترجمة والنشر

رابعا ــ يكون للمجمع العلمي أقسام لإدارة شؤونه هي :

أ - مكتب رئيس المجمع

ب- قسم الادارية والأفراد

ج- قسم الحسابات

د - قسم الاعلام والعلاقات العامة

هـ- قسم المكتبة

و- قسم المطبعة

ز- قسم الخدمات العلمية والفنية

ح- قسم الشؤون الهندسية

ط- قسم الرقابـــة والتدقيق الداخلي (أضيف إستنـــادا إلى المـــادة ٢٣ من قـــانـــون المجمـــع ذي الـــرقم ٣ لسنة ١٩٩٥م) .

أولا ــ مكتب رئيس المجمع

١- تنظيم مواعيد عقد الاجتماعات الدورية والاستثنائية لرؤساء الأقسام .

٢- تهيئة مستلزمات رئاسة المجمـــع .

٣- نقل توجيهات معالي رئيس المجمع في توزيع المسؤوليات والمهام .

٤- الإعداد والتهيئة والإشراف على الندوات والمؤتمرات والمحاضرات التي يقيمها المجمـــع .

٥- متابعة الأوامر والتوجيهات والتعليمات إلى كافة أقسام المجمع .

٦- تسلم طلبات العلامات التجارية من الموظفين ومنح التراخيص بالعلامات .

٧- الشروع في تصوير وحفظ أضابير أعضاء المجمع السابقين .

٨- الإشراف على البريد السري والعاجل من الدوائر الأخرى .

ثانيا ــ قسم الشؤون الإدارية والقانونية :

شعبـــة المـــلاك

١- مخاطبة وزارة المالية لإجراء معاملات حذف وإحداث الدرجات الوظيفية واخذ الموافقات الخاصة بها .

٢- إعداد استمارة ترفيعات الموظفين واخذ موافقة الرئيس الأعلى والمباشرة بها .

٣- إعداد سجل الملاك بحسب الدرجات الوظيفية والعناوين .

٤- العمـــــل علــــــى إدخـــــال نظـــــام المـــــلاك للســـــنوات ٢٠٠٨/٢٠٠٩/٢٠١٠/٢٠١١/٢٠١٢ على الحاسوب .

٥- إدخال نظام المواقف للموظفين من المستقيلين والنقل على الحاسبة .

٦- إعداد الملاك ورفعه للمصادقة عليه من وزارة المالية .

٧- إعداد موازنة الملاك لكل عام مع الشؤون المالية .

شعبــة الأفــراد

١- إدخال نظام الأفراد على الحاسوب والعمل عليه.

٢- تنظيم أضابير الموظفين وترقيمها وفهرستها بحسب الأنظمة الحديثة.

٣- متابعة شؤون الموظفين في كل المتعلقات الإدارية.

٤- إنجاز سجل الإجازات وحفظها وتنزيلها على الحاسبة وإعداد سجل الأرصدة .

٥- توزيع البريد الداخلي والخارجي وتنظيم سجلات خاصة بها.

٦- متابعة صحة صدور الوثائق الدراسية للموظفين.

٧- إنجاز المعاملات الرسمية وطبع الكتب وإرسالها إلى الدوائر المختصة .

٨- متابعة إصدار هويات جديدة للموظفين وفتح سجل بها .

٩- إعداد سجلات جديدة سنويا (صادر ــ وارد ــ علاوات سنوية ــ وسجلات أخرى) .

شعبــة التقاعــد

١- إعداد نظام المواقف للمتقاعدين على الحاسوب.

٢- إعداد سجل خاص بالمتقاعدين.

ط- قسم الرقابـــة والتدقيق الداخلي (أضيف إستنـــادا إلى المـــادة ٢٣ من قـــانـــون المجمـــع ذي الـــرقم ٣ لسنة ١٩٩٥م) .

أولا ــ مكتب رئيس المجمع

١- تنظيم مواعيد عقد الاجتماعات الدورية والاستثنائية لرؤساء الأقسام .

٢- تهيئة مستلزمات رئاسة المجمـــع .

٣- نقل توجيهات معالي رئيس المجمع في توزيع المسؤوليات والمهام .

٤- الإعداد والتهيئة والإشراف على الندوات والمؤتمرات والمحاضرات التي يقيمها المجمـــع .

٥- متابعة الأوامر والتوجيهات والتعليمات إلى كافة أقسام المجمع .

٦- تسلم طلبات العلامات التجارية من الموظفين ومنح التراخيص بالعلامات .

٧- الشروع في تصوير وحفظ أضابير أعضاء المجمع السابقين .

٨- الإشراف على البريد السري والعاجل من الدوائر الأخرى .

ثانيا ــ قسم الشؤون الإدارية والقانونية :

شعبـــة المـــلاك

١- مخاطبة وزارة المالية لإجراء معاملات حذف وإحداث الدرجات الوظيفية واخذ الموافقات الخاصة بها .

٢- إعداد استمارة ترفيعات الموظفين واخذ موافقة الرئيس الأعلى والمباشرة بها .

٣- إعداد سجل الملاك بحسب الدرجات الوظيفية والعناوين .

٣- فتح دفتر خدمة للموظفين.

٤- إنجاز المعاملات الخاصة بالمتقاعدين مع مفاتحة هيئة التقاعد الوطنية حول جميع التعليمات الخاصة بالتقاعد.

شعبة الآليـــات

١ــ صيانة السيارات من خلال تشكيل اللجان للفحص والصيانة .

٢ــ توزيع الواجبات اليومية بين السواق وتثبيتها في سجل الواجبات .

٣ــ عمل خطة لانتظام خطوط الموظفين بحسب الرقعة الجغرافية .

٤ــ صيانة كهرباء السيارات داخل الدائرة من قبل الشعبة .

٥ــ تنفيذ الواجبات الخاصة بمراجعة مخولي الدائرة الى الوزارات وتهيئة السيارات لهـم .

٦ــ متابعة تسلم السيارات التي تم استبدالها مع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي .

٧ــ تنظيم استلام وتسلم السيارات باستمارة وعمل تخاويل رسمية .

شعبة الخدمات الاداريــة

١ــ متابعة مستلزمات الجرد السنوي .

٢ــ متابعة أعمال تعهد تنظيف الدائرة .

٣- الإشراف على توزيع الاثاث بين الاقسام.

٤ــ الايعاز لإدامة وصيانة الاجهزة الكهربائية .

٥ــ إدامة وصيانة منظومة الانذار المبكر عن الحريق .

٦ــ إدامة جميع مطافيء الحريق وتعزيز الدائرة بمطافيء جديدة CO_2

٧ــ تهيئة مستلزمات الدفاع المدني .

٨ــ تحديث معلومات مديرية المرور العامة .

٩ــ تثبيت ملاك المجمع لدى مديرية التسجيل العقاري .

شعبـــة الصيانـــة

تقوم شعبة الصيانة بتنفيذ جميع الواجبات التي تكلف بها من رئاسة المجمع وما يحال إليها من قسم الشؤون الادارية والقانونية وبحسب ما مبين في أدناه:

أولا- الأعمال الكهربائية :

١- إعادة التأسيس الخاص في المكتبة وشملت جميع نقاط الإنارة في السقوف الثانوية ونقاط الكهرباء والبوردات الثانوية.

٢- تأهيل قاعة الاجتماعات الدائرية وشملت جميع نقاط الإنارة وكذلك إعادة تسليك جديد بها وتبديل المتضرر منها.

٣- صيانة جميع نقاط الإنارة والنقاط الكهربائية في البناية الوسطى (بناية ابن الهيثم).

٤- إعادة تأهيل المولدة 250Kv وإعادتها للعمل مع نصبها وربطها بالمنظومة الكهربائية للمجمع مع عمل تأسيسات كهربائية ومد كيبلات الربط في البورد الخاص بها وعمل منظومة الوقود وكذلك منظومة ماء التبريد الخاصة بها.

٥- تبديل السيركتات الرئيسة 800A , 250A في البناية الوسطى (ابن الهيثم) والإدارية (بناية الجاحظ) على التوالي.

٦- الصيانة الدورية لجميع المنظومات الكهربائية وتبديل العاطل منها وصيانة جميع النقاط العاطلة .

٧- عمل تأسيسات كهربائية جديدة في البناية الوسطى (ابن الهيثم) لقسم المعلومات في المكتبة .

٨- الصيانة الدورية الشاملة لمنظومة الاتصالات السلكية الخاصة بالمجمع .

ثانيا- أعمال التدفئة والتبريد

١- الصيانة الدورية والموسمية لجهاز التدفئة والتبريد المركزي الخاص بمكتبة المجمع ويضمنها تبديل مرشحات الهواء مع الصيانة الكاملة لها.

٢- نصب أجهزة التدفئة والتبريد في المواقع الآتية مع التسليك والربط الكهربائي والأنابيب مع جميع الملحقات التابعة لها:

أ. جهاز تدفئة وتبريد ٥ طن في الاستعلامات الداخلية.

ب. جهاز تدفئة وتبريد ٥ طن في استعلامات رئاسة المجمع.

ج. جهاز تدفئة وتبريد ٤ طن في غرفة رئيس المجمع.

د. جهاز تدفئة وتبريد ٢ طن في غرفة المجلة.

هـ. جهاز تدفئة وتبريد ٢ طن في الاستعلامات الداخلية.

٣- الصيانة الدورية الموسمية الشاملة لجميع أجهزة التدفئة والتبريد في كل البنايات الخاصة بالمجمع وإكمال النواقص والاحتياجات الطارئة على مدار السنة.

ثالثا- الأعمال الإنشائية

١- عمل ونصب أبواب حديدية عدد ٢ للبناية الوسطى (ابن الهيثم).

٢- صيانة الأبواب الخشبية وتصليح مفاتيحها وتبديلها.

٣- صيانة شاملة للأبواب والشبابيك في جميع البنايات وتصليح المتضرر منها.

٤- صيانة جميع القواطع والشبابيك وأبواب الألمنيوم التي تضررت بفعل الانفجار قرب المجمع وتثبيتها وتبديل المتضرر منها بفعل الانفجار وصيانة الممكن منها في جميع بنايات المجمع.

٥- تبديل وتصليح السقوف الثانوية المتضررة بفعل الانفجار وصيانة الممكن منها وبمساحات كبيرة ومتفرقة في جميع بنايات المجمع.

٦- استبدال الزجاج المتضرر بفعل الانفجار وتبديله بزجاج مسلح في جميع بنايات المجمع.

٧- فرش مساحات كبيرة من الكاربت في أماكن متفرقة من المجمع.

٨- نصب أبواب كهربائية عدد ٢ في مدخل بناية المجمع وكذلك تغليف الجدران بخشب الـ MDF للاستعلامات الداخلية .

٩- عمل كتائب حديدية ونصبها في أماكن متفرقة من المجمع .

١٠- العمل الدوري لصيانة جميع المرافق الانشائية وتصليح المتضرر منها وتبديله على مدار السنة .

رابعا- التأسيسات المائية

١- نصب خزانات ماء جديدة وربطها ضمن شبكة التأسيسات المائية التابعة للبناية الإدارية مع ربط ماطور ماء.

٢- تأسيس شبكة أنابيب جديدة تابعة للمولدات.

٣- إعادة صيانة شبكة أنابيب الحدائق وتأهيلها.

٤- نصب وربط ٤ مضخات ماء مع البوستر في أماكن متفرقة من المجمع .

٥- عمل شبكة ماء في البناية الوسطى (ابن الهيثم) وتتضمن تأسيس مطبخ مع غرفة تحميض وربطها بالشبكة الرئيسة وربطها بالخزانات الرئيسة وبضمنها الفلاتر والماطور.

٦- الصيانة الدورية الموسمية لشبكة الماء في جميع بنايات المجمع.

الشعبة القانونية

تقوم الشعبة القانونية في المجمع العلمي بصياغة وتدقيق جميع العقود المبرمة بين المجمع والجهات الأخرى ومتابعة الدعاوى المقامة من قبل المجمع أو المقامة عليه وحضور كافة جلسات المحاكم، وإبداء الرأي القانوني في جميع الامور التي تحال عليها من قبل السيد رئيس المجمع أو أقسامه ، والمشاركة في جميع اللجان التحقيقية ولجان فتح وتحليل العطاءات الخاصة بمشاريع المجمع واللجان المدد والأسعار والاعتراضات ولجان المفصولين السياسيين .

الدعاوى المقامة على المجمع

ت	الدعوى	المدعي	المدعى عليه	المحكمة المختصة
١	[illegible]/ب/٢٠١٢ حسمت بتاريخ ١٩/٧/٢٠١٢ لصالح مطبعة الأجيال	مطبعة الأجيال	المجمع العلمي العراقي وكان موضوعها حول نسبة إنجاز العقد	محكمة بداءة الأعظمية
٢	٨١٢/ب/٢٠١٢ أبطلت الدعوى	مطبعة الأجيال	المجمع العلمي العراقي	محكمة بداءة الأعظمية
٣	١٧٩٠/ب/٢٠١٢ أبطلت الدعوى	شركة طريق الدر للتجارة والمقاولات العامة	المجمع العلمي العراقي	محكمة بداءة الأعظمية
٤	٢٣٣٦/ب/٢٠١٢ أبطلت الدعوى	شركة طريق الدر للتجارة والمقاولات العامة	المجمع العلمي العراقي	محكمة بداءة الأعظمية

(الدعاوى المقامة من قبل المجمع لسنة ٢٠١٢)

ت	الدعوى	المدعي	المدعى عليه	المحكمة المختصة
١	١٨٢٤/ب/٢٠١٢ حسمت لصالح المجمع	المجمع العلمي العراقي	شركة طريق الدر للتجارة والمقاولات العامة	محكمة بداءة الأعظمية

(الدعاوى التي ماتزال قيد المرافعات)

ت	الدعوى	المدعي	المدعى عليه	المحكمة المختصة
١	٢٣٣٥/ب/٢٠١٢والتي تطالب فيه بتعويض عن مافاته من كسب	مطبعة الأجيال	المجمع العلمي العراقي	محكمة بداءة الأعظمية ، وان آخر جلسة كانت يوم ٢٠١٢/١٢/٢٧

* إنجاز جميع المجالس التحقيقية الخاصة بالوثائق والشهادات المزورة. وأُحيلت كافة الأوراق التحقيقية إلى الأمانة العامة لمجلس الوزراء / الدائرة القانونية وهيئة النزاهة لإتخاذ الإجراءات القانونية بحقهم ، وتم عزل جميع الموظفين الذين تم تعيينهم بموجب هذه الشهادات.
* متابعة العمل الخاص بالذمم المالية من قبل الأكاديمية العراقية لمكافحة الفساد (هيئة النزاهة).

* متابعة العمل الخاص بلجنة المفصولين السياسيين من تقديم محاضر للجنة المركزية للموظفين المشمولين بإضافة الخدمة ، والتنسيق مع لجنة المساءلة والعدالة في تهيئة الاضبارة واستكمال نواقصها لغرض رفعها إلى لجنة التحقق في الأمانة العامة لمجلس الوزراء.

* توجيه إنذارات لجميع الأشخاص الذين بذمتهم مبالغ مالية لصالح المجمع ومن ضمنهم المحكومين بقضايا تزوير الشهادات.

ثالثا ـ قسم الشؤون المالية

الموازنة الجارية

رقم الكشف	اسم الحساب	الاعتماد المرصود لسنة ٢٠١٢	المصروف	نسبة التنفيذ
٥	تعويضات الموظفين	٢.٧٥٦.٤٥٣.٠٠٠	٢.٥٥٨.٠٣١.٩١٢	٩٣٪
٦	المستلزمات السلعية	١٧٤.٢٤٠.٠٠٠	١٦٧.٠٣١.٦٥٠	٩٦٪
٧	المستلزمات الخدمية	١١٨.٢١٠.٠٠٠	٩٨.٩١١.٧٣٣	٨٤٪
٨	صيانة الموجودات	١٤٨.٦١٥.٠٠٠	١٢١.٣٠٣.٠٠٠	٨٢٪
٩	الموجودات الثابتة	١٧٢.٠٠٠.٠٠٠	١٥٩.١٩٢.٨٠٠	٩٣٪
١٠	المصروفات الأخرى	١٣٢.١٤٥.٠٠٠	١٢٩.٥٢٠.٠٠٠	٩٨٪
١١	المنح للحكومات الأجنبية	٧.١٢٢.٠٠٠	٥.٦٠٧.٢٢٥	٧٨٪
المجموع		٣.٥٠٨.٧٨٥.٠٠٠	٣.٢٣٩.٥٩٨ ٣٢٠	٩٢٪

بلغت موازنة المجمع العلمي لسنة ٢٠١٢ (٣.٥٠٨.٧٨٥.٠٠٠) ثلاثة مليارات وخمسمائة وثمانية مليون وسبعمائة وخمسة وثمانون ألف دينار.

وبلغت إيرادات المجمع العلمي لسنة ٢٠١٢ كالآتي :

اسم الحساب	المبلغ
الضريبة على رواتب منتسبي دوائر الدولة	٥.٧٩٠.٠٠٠
رسوم العلامات التجارية	١.٣٦٠.٠٠٠
خدمات الطبع والاستنساخ	٢.٦٣١.٣٠٠
بيع المطبوعات والكراريس	٤.١٨٣.١٨٩
الإيرادات المتنوعة	٢٦.٩١٤.٧٠٠
المجموع	٤٠.٨٧٩.١٨٩

تم بيع مجموعة من السيارات المستهلكة بمبلغ يقدر بـ (٣٠.٠٠٠.٠٠٠) ثلاثون مليون دينار، وتم أخذها ايرادا نهائيا إلى وزارة المالية علما انه لم يدخل ضمن ايرادات المجمع.

الموازنة الاستثمارية

رقم الكشف	اسم الحساب	الاعتماد المرصود لسنة ٢٠١٢	المصروف	نسبة التنفيذ
١١	تأهيل المجمع العلمي العراقي وتطويره	١.٢٦٢.١٠٠.٠٠٠	٩.٤٠٦.٢٥٢.٥٢٠	٪٧٥
	المجموع	١.٢٦٢.١٠٠.٠٠٠	٩.٤٠٦.٢٥٢.٥٢٠	٪٧٥

بلغت الموازنة الاستثمارية للمجمع لسنة ٢٠١٢ (١.٢٦٢.١٠٠.٠٠٠) مليار ومائتان واثنان وستون مليون ومائة الف دينار.

رابعا ـ قسم الاعلام والعلاقات العامة

أهم نشاطات قسم الاعلام والعلاقات العامة خلال سنة ٢٠١٢م هي :

١- أقام المجمع العلمي عددا من الأنشطة الثقافية خلال سنة ٢٠١٢ وهي:

- محاضرة الدكتور ريسان عزيز عن (**العشيرة ودولة المؤسسات**) بتاريخ ٢٠١٢/٩/٢٦م.
- محاضرة الدكتور يحيى خير الله عودة عن (**الاكتظاظ المنزلي والمشكلات الأسرية**) بتاريخ ٢٠١٢/١٠/١٠م .

واستضاف المجمع العلمي المؤتمر العلمي السنوي الثالث لقسم الدراسات الاجتماعية في بيت الحكمة بعنوان (النخبة والتحولات الاجتماعية في العراق الراهن) على قاعات المجمع العلمي.

٢- متابعة تجديد الاشتراك في الصحف والمجلات المحلية .

٣- مراجعة التقرير السنوي للأقسام الإدارية في المجمع العلمي لسنة ٢٠١١م بحسب توجيه السيد رئيس المجمع العلمي .

٤- تواصل إرسال المطبوعات إلى المجامع العربية والمؤسسات الثقافية داخل العراق وخارجه، إذ بلغ عدد مطبوعات المجمع في سنة ٢٠١٢ أحد عشر كتابا فضلا عن صدور أربعة أجزاء من المجلة (المجلد ٥٩).

٥- التعاون مع العاملين والاعلاميين في وسائل الاعلام المختلفة لغرض عقد اللقاءات الصحفية مع السيد رئيس المجمع أو بعض مديري أقسام المجمع .

٦- متابعة مايرد إلى المجمع العلمي عن طريق البريد الإلكتروني من استفسارات ودعوات ومشاركات والإجابة عنها بحسب توجيه السيد رئيس المجمع العلمي .

٧- التعاون مع قسم المجلة والمطبعة في ترجمة ملخصات البحوث التي تنشر في مجلة المجمع العلمي .

٨- المتابعة مع قسم الخدمات العلمية والفنية في المجمع العلمي لتحويل استضافة الموقع الالكتروني للمجمع العلمي من شركة المسبار الى وزارة الاتصالات / الشركة العامة لخدمات الشبكة الدولية للمعلومات بحسب كتاب الأمانة العامة لمجلس الوزراء .

٩- المتابعة مع قسم الخدمات العلمية والفنية لنشر ملخص وصور النشاطات الثقافية التي أقيمت في المجمع العلمي .

١٠- متابعة موضوع تخصيص أرض سكنية لموظفي المجمع العلمي (لبناء مجمع سكني) مع دائرة عقارات الدولة وأمانة بغداد .

خامسا ـ قسم المكتبة

- بلغ عدد المطالعين والزائرين والباحثين (١٥١٥) ، المكتبة العربية والأجنبية والأطاريح (١٣٣٨) ، المكتبة الشرقية (١٠٠) ، الجرائد (٤٧) والمخطوطات (٣٠).
- تم استحداث شعبة باسم شعبة المعارض والفعاليات الثقافية.
- تم إقامة دورة تدريبية في شعبة المعلوماتية والصيانة عن كيفية استخدام أجهزة المايكروفيلم والتحميض والأجهزة الرقمية لمدة ثلاثة أيام من ٢٠١٢/٩/٢٥ لغاية ٢٠١٢/٩/٢٧ ، وشارك فيها كل من دائرة البحث والتطوير / مجلس النواب ، مكتبة الأوقاف/ محافظة الموصل وديواني الوقف الشيعي والوقف السني.

- تم زيارة وفد من العتبة العباسية إلى مكتبة المجمع اطلعوا من خلال الزيارة على أجهزة المايكروفيلم والأجهزة الرقمية وعلى خزانة الكتب الحديثة.
- مشاركة المكتبة في معرض الكتاب الثاني في مجلس النواب.
- تم شراء الباركود بعدد (٥٠،٠٠٠) للكتب الكردية والكتب السريانية والمجلات السريانية والأطاريح والدوريات.

أولا- الاجراءات الفنية والتزويد

أ- الفهرسة والتصنيف

١- فهرسة وتصنيف الكتب الانكليزية والألمانية بعدد (٨٠٠٠) كتاب وتم ترتيبها في الدواليب المخصصة بحسب تصنيف ديوي العشري من رقم (٤٠٠) إلى (٩٠٠) والعمل مستمر لحد الآن.

٢- تم تصنيف وفهرسة (١١٤) كتاب كردي.

٣- فهرسة وتصنيف الكتب المهداة الى المكتبة.

ب- الترجمة

تمت ترجمة عناوين الكتب الانكليزية والألمانية وعددها (٨٠٠٠) كتاب لغرض الفهرسة والتصنيف.

ج- التزويد

١- التبادل والإهداء:

- تم التبادل والإهداء مع مؤسسات حكومية وغير حكومية عربية ودولية.
- عدد كتب الشكر (الاهداء) ١١٣ كتاب والتبادل (٦) كتب.

- تم استنساخ (٢٠) قرص ليزري عن طريق المكتبة الالكترونية.
- تم استلام هارد عدد (٢) يحتوي على مجموعة كبيرة من الرسائل الجامعية وكتب بمختلف المجالات من جامعة واسط (على سبيل الاهداء والتبادل).
- تم استلام (٢٠٠) قرص ليزري يحتوي كل قرص على رسالة ماجستير بمختلف المجالات من مكتبة مجلس النواب (على سبيل الاهداء والتبادل).

٢- المراسلات :

- متابعة البريد الداخلي والخارجي ومفاتحة المكتبات العربية والأجنبية بخصوص تبادل الكتب والخبرات.
- الاشتراك مع مكتبة المصطفى مجانا حيث نستطيع الاستفادة من هذا الموقع لتنزيل كتب ومخطوطات ومجلات نادرة .

٣- التثمين : تم تثمين (٦٠٨) مطبوعا منها : (٥٠٩) كتاب ، (٩٢) مجلة ، (٣) رسائل جامعية، (٦) جرائد و(١) قرص ليزري.

ثانيا- الجرائد

١- تسجيل (٣٥٠) عدد من العدد (٣٣٦٨) ولغاية العدد (٣٦١٥) صحيفة الصباح اليومية والنهار ومداد الطالب في سجل الدوريات اليومي.

٢- فتح سجل الحاسبة (الرقمية) بتاريخ ٢٠١٢/٥/١ وعدد المجلات هو (٢٥٠) مجلد بموجب الطلب المقدم بتاريخ ٢٠١٢/٤/٢٢ بدون ترميم أو صيانة.

٣- نقل المجلدات من مكتبة الصحف والجرائد إلى المكتبة العربية للطلبة.

٤- قوائم الاعداد المختلفة والمكررة في سجل الصحف والجرائد بتـاريخ ٢٠١٢/٨/٢٢.

ثالثاً- شعبة المايكروفلم

- تم تحميض قوائم بالمايكروفلم للمخطوطات المفقودة لغـرض طبعهـا وتصويرها.
- تم تحضير قوائم أخرى بالمايكروفلم لغرض اختيار مايحتاج إلى إعـادة التصوير وهي قيد المداولة.

رابعاً- شعبة المعلوماتية والصيانة:

١- الاستنساخ

أ) تم تصوير (٢٩١٧٤) ورقة A4 بثمن ٥٠ دينار للورقة ، وكان مجموع الايرادات المثبتة بالوصولات (٢.٦٣٣.٣٠٠) مليونان وستمائة وثلاثة وثلاثون ألف وثلاثمائة دينار للطلبة والباحثين من كتب ومخطوطات.

ب) تم تصوير (٥٦٠٠) ورقة بدون ثمن.

٢- تم تصوير جرائد على جهاز (I2S) وتحويلها على (CD) وحفظها على هاردات للأرشيف، وكان عدد اللقطات المصورة (٥٦٠٠) لقطة.

٣- تم تحويل الأفلام ٣٥ ملم و ١٦ ملم على جهاز (مايكروسكنر) إلى الحاسبة (١٩١٧٢) لقطة.

٤- تم تصوير الكتب النادرة على جهاز المايكروفلم وكان عدد اللقطات (١١٨٨٨) لقطة.

٥- تم تحميض الأفلام المصورة وعددها (٥) أفلام.

- تم استنساخ (٢٠) قرص ليزري عن طريق المكتبة الالكترونية.
- تم استلام هارد عدد (٢) يحتوي على مجموعة كبيرة من الرسائل الجامعية وكتب بمختلف المجالات من جامعة واسط (على سبيل الاهداء والتبادل).
- تم استلام (٢٠٠) قرص ليزري يحتوي كل قرص على رسالة ماجستير بمختلف المجالات من مكتبة مجلس النواب (على سبيل الاهداء والتبادل).

٢- المراسلات :

- متابعة البريد الداخلي والخارجي ومفاتحة المكتبات العربية والأجنبية بخصوص تبادل الكتب والخبرات.
- الاشتراك مع مكتبة المصطفى مجانا حيث نستطيع الاستفادة من هذا الموقع لتنزيل كتب ومخطوطات ومجلات نادرة .

٣- التثمين : تم تثمين (٦٠٨) مطبوعا منها : (٥٠٩) كتاب ، (٩٢) مجلة ، (٣) رسائل جامعية، (٦) جرائد و(١) قرص ليزري.

ثانيا- الجرائد

١- تسجيل (٣٥٠) عدد من العدد (٣٣٦٨) ولغاية العدد (٣٦١٥) صحيفة الصباح اليومية والنهار ومداد الطالب في سجل الدوريات اليومي.

٢- فتح سجل الحاسبة (الرقمية) بتاريخ ٢٠١٢/٥/١ وعدد المجلات هو (٢٥٠) مجلد بموجب الطلب المقدم بتاريخ ٢٠١٢/٤/٢٢ بدون ترميم أو صيانة.

٣- نقل المجلدات من مكتبة الصحف والجرائد إلى المكتبة العربية للطلبة.

٦- تم العمل بترميم وتجليد وصيانة الكتب منذ شهر تموز، وكان عدد الكتب التي تمت صيانتها وتجليدها (١٥٤) كتابا منها بثمن والباقي تعود إلى المجمع العلمي.

٧- تم إعادة ترتيب الكتب النادرة والمجلات في الرفوف ، وكان عددها (٣١٨٣) كتاب.

وقد قامت الشعبة بتنظيم دورة تدريبية في مجال التصوير على أجهزة القسم (المايكروفلم) إلى كل من :

- الوقف السني - بغداد
- الوقف السني - الموصل
- العتبة العلوية المقدسة
- العتبة الحسينية
- دائرة الدراسات والبحوث

وقد تم أيضا خزن ما مصور خلال هذه الفترة في هاردات الأرشيف للمكتبة ، وتم العمل بمشروع إعادة تصوير الجرائد في القسم.

سادسا ـ قسم المطبعـة :

أ) الكتب المطبوعة

١- المجلد التاسع والخمسون من مجلة المجمع العلمي / أربعة أجزاء مع مستلاتها.

٢- أحد عشر كتابا هي :

١- **المعرفة للتنمية المستدامة**

تاليف : الدكتور داخل حسن جريو

يقع الكتاب في ٢٢٠ صفحة

٢- **نُصُوْصٌ مِنْ كِتَابِ تَكْمِلَةِ الْعَيْنِ لِلْخَارْزَنْجِيِّ جَمْعٌ وَتَوْثِيْقٌ وَدِرَاسَةٌ**

تأليف: الدكتور عامر باهر الحيالي

يقع الكتاب في ١٩٨ صفحة

٣- **كرك اوثمر ــ (الموسوعة التكنولوجية الكيميائية) ، القسم الأول (٤) : الأكتينيدات والترانسأكتينيدات ومواضيع أخرى**

تأليف : الدكتور سامي عبد المهدي المظفر

يقع الكتاب في ٥١٨ صفحة

٤- **بحوث نقدية وبلاغية (الجزء الأول والثاني)**

تأليف: الدكتور أحمد مطلوب

يقع الجزء الأول في ٣٥٦ صفحة ، والجزء الثاني في ٢٠٠ صفحة

٥- **في المصطلح ولغة العلم**

تأليف: الدكتور مهدي صالح سلطان

يقع الكتاب في ٣٣٦ صفحة

٦- **كرك اوثمر ــ (الموسوعة التكنولوجية الكيميائية) ، القسم الأول (٥) : الكحولات ومواضيع أخرى**

تأليف: الدكتور سامي عبد المهدي المظفر

يقع الكتاب في ٥٠٢ صفحة

٧- **هندسة الزراعة الديمية**

تأليف: الدكتور عبد المعطي الخفاف

يقع الكتاب في ٢٣٠ صفحة

٨- **جذور نظرية الأجناس الأدبية في النقد العربي القديم**

تأليف: الدكتور فاضل عبود التميمي

يقع الكتاب في ١٥٠ صفحة

٩- **التعليم العالي ..... قضايا وآراء**

تأليف: الدكتور داخل حسن جريو

يقع الكتاب في ١٤٠ صفحة

١٠- **ألف ليلة وليلة ــ عروبته ــ لغته ــ شعره**

تأليف: الدكتور أحمد مطلوب

يقع الكتاب في ٢٠٨ صفحة

١١- **معجم الأدب السرياني – المجلد الثاني**

تأليف: هيئة اللغة السريانية في المجمع العلمي

يقع الكتاب في ٢٣٠ صفحة

ب)

١- أنجزت المطبعة طبع المطبوعات الإدارية للمجمع وفق إمكانياتها.

٢- تم شراء ماكنة كبس الورق الكهربائية وتم استخدامها بدلا من الكابسة اليدوية في كبس الكتب.

٣- تم شراء طابعة رقمية حديثة وإجراءات التسلم جارية على وفق الامور الرسمية.

سابعا ــ قسم الشؤون العلمية والفنية

١- متابعة نظام الأفراد ونظام الصادر والوارد على جهاز الحاسوب في قسم الشؤون الإدارية واستمرار تحديث المعلومات وتدريب الموظفين المختصين على استخدامها.

٢- صيانة أجهزة الحاسوب في كافة الأقسام ومتابعة تجهيز وصيانة خطوط الانترنت بشكل دوري.

٣- تنظيم وإصدار هويات جديدة لمنتسبي المجمع كافة والاستمرار في إصدار التخاويل الخاصة بسيارات المجمع.

٤- الإجابة عن المذكرات والكتب الواردة إلى القسم ومتابعة ما جاء فيها من تعليمات.

٥- المشاركة في اللجان التي تقام في المجمع العلمي.

٦- تقديم دورات تدريبية في كيفية استخدام الحاسوب لبعض منتسبي المجمع لتطوير مهاراتهم في استخدام هذا الجهاز.

٧- إدخال أعداد المجلة السابقة على جهاز الماسح الضوئي (السكنر) لتحويلها لصيغة الكترونية لغرض نشرها بالموقع الرسمي للمجمع.

٨- استمرار العمل على تحديث الموقع الرسمي للمجمع بإدخال كل ماهو جديد وبشكل دوري خلال السنة ، كذلك تم نقل استضافة الموقع من مكتب المسبار إلى وزارة الاتصالات / الشركة العامة لخدمات الشبكة الدولية للمعلومات.

ثامنا ــ قسم الشؤون الهندسية

ساهم قسم الشؤون الهندسية مع وحدة التعاقدات لإنجاز الامور الآتية :

١- تهيئة كتب الإحالة والعقود بالتنسيق مع شعبة العقود ، مع العلم ان المجمع العلمي أبرم عقدا واحدا خلال سنة ٢٠١٢ وهو (تجهيز جهاز طباعة رقمي) بتاريخ ٢٠١٢/١٠/١٠ بمبلغ (٥٢٤.٠٠٠.٠٠٠) دينار مع شركة اليرموك.

٢- مراجعة وزارة التخطيط والتعاون الانمائي (دائرة الاستثمار الحكومي ، دائرة التشييد والاسكان ، دائرة العقود الحكومية العامة ، الدائرة القانونية) لغرض تزويدهم بالمعلومات المطلوبة عن تنفيذ المشاريع ، واستحصال إجاباتهم عن استفسارات تخص تنفيذ المشاريع.

٣- الإجابة عن استفسارات هيئة الرقابة العاملة في المجمع.

٤- المساهمة بإعداد الخطة الاستثمارية لسنة ٢٠١٣.

٥- الاشراف على إنجاز وتسلم مشروع تأهيل وإضافة طابق إلى بناية ابن الهيثم.

٦- متابعة استملاك المجمع قطعة أرض سكنية.

٧- الاشتراك في تسلم مشروع تجهيز جهاز طباعة من شركة اليرموك العامة.

٨- الاسهام الفاعل لمنتسبي القسم في لجان منها: لجان الجرد السنوي ، ولجنة المدد والكشوفات الإضافية ، ولجنة الاعتراضات ولجان صيانة الأبنية.

٩- القيام بصيانة معالجة أسطح أبنية المجمع كافة.

١٠- الاشراف على إنجاز أعمال شبكة مجاري ربط الساحة الأمامية بالمجاري الرئيسة.

١١- الاشراف على تنظيم الحدائق وترتيبها.

١٢- خط لوحة الدلالة الخاصة بالمجمع وعدد من قاعاته وأبنيته.

١٣- الاشراف على التدريب الصيفي لعدد من طلبة معهد الفنون التطبيقية.

تاسعا ــ قسم الرقابة والتدقيق الداخلي

قام القسم بما يأتي :

١- تدقيق مستندات الصرف قبل الصرف وإبداء الملاحظات الفنية والقانونية كلما تطلب الأمر ذلك.

٢- تدقيق مستندات التسوية القيدية والمصادقة عليها وبيان الرأي والملاحظات عليها.

٣- تدقيق رواتب منتسبي المجمع شهريا.

٤- المشاركة في اللجان التي تشكل في المجمع.

٥- إعداد كشف المصرف الشهري وتدقيقه.

٦- تدقيق الحسابات الختامية الخاصة بالمجمع بعد إعدادها من الشؤون المالية قبل إرسالها إلى ديوان الرقابة المالية.

٧- المشاركة في لجان أعمال المشاريع الاستثمارية التي تقام في المجمع حاليا.

٨- الإجابة عن تقارير ديوان الرقابة المالية بالتعاون مع الأقسام والشعب في المجمع.

٩- تنفيذ أي تكاليف أو توجيه يتم من رئيس المجمع العلمي.

عاشرا- شؤون المجلـــة

قامت شعبة المجلة بمتابعة البحوث المقدمة إلى هيئة تحرير مجلة المجمع العلمي لنشرها ضمن المجلد التاسع والخمسين، ثم إرسالها إلى المقومين العلميين واللغويين لإبداء الملاحظات إن وجدت، ومتابعة وتدقيق طبع البحوث في مطبعة المجمع.

والبحوث التي نشرت في المجلد (٥٩) التاسع والخمسين لسنة ٢٠١٢ هي:

* الجزء الأول :

١- اللغة هوية الأمة

الدكتور أحمد مطلوب

٢- ملامح الفكر التأملي في العراق القديم

الدكتور جواد مطر الموسوي

٣- الموروث الحكائي الشعبي بين المفهوم وهاجس التغييب

الدكتورة عشتار داود محمد

٤- اسلوبية التشكيل الايقاعي في قصيدة القناع في شعر أمل دنقل

الدكتور لطيف يونس حمادي

٥- التقدير والتأويل بين الصناعة النحوية والمعنى

الدكتور محمد فاضل صالح السامرائي

٦- معالجة الحوادث الطارئة في التراث الطبي العربي الاسلامي

الدكتور محمود الحاج قاسم محمد

٧- تشبيه التمثيل بين السكاكي وأستدراكات القزويني

الدكتورة سندس عبد الكريم هادي

٨- النص بين المعيار النحوي والمعيار الدلالي
الدكتورة هدى محمد صالح الحديثي
٩- عبد بني الحسحاس بين تمرد الانسان وفحولة الشاعر
الدكتور أياد ابراهيم فليح
١٠- الفتح العربي الاسلامي في بلاد الشام وشمال افريقيا
الدكتورة خلود مصطفى خماس
١١- إصدارات المجمع العلمي
إخلاص محيي رشيد

* الجزء الثاني:

١- الخلفاء في ساعات احتضارهم ـ دراسة تاريخية في رؤيتهم لسياسة السلطة والرعية للفترة من ٤١-٣٢٠هـ / ٦٦١-٩٣٢م
الدكتورة ناهضة مطير حسن
٢- مرايا الحيف الانساني وانفلاتات البوح الذاتي في (إغماض العينين) للؤي حمزة عباس
الدكتورة وسن عبد المنعم ياسين
٣- الأعراب وأثرهم في النحو واللغة ـ دراسة وصفية
الدكتور حسين محيسن البكري
٤- المستويات اللغوية في النص ـ إعادة توصيف في ضوء الدرس اللساني الحديث
الدكتورة هدى محمد صالح الحديثي
٥- لامية العرب بين النفي والإثبات
الدكتور عبد اللطيف الطائي

٦- **تعرف العلاقة بين التعلم السلوكي وعلم الدلالة**

الدكتور نجاح هادي كبة

٧- **ذاكرة ترسيم دالات الأداء لعشاء ديوان الدليمي**

الدكتورة نوافل يونس الحمداني

٨- **صيانة الوثائق في دار الكتب والوثائق من الآفات**

الدكتورة لمياء حسين

ايمان عبد اللطيف عبد الرحمن

٩- **إصدارات المجمع العلمي**

إخلاص محيي رشيد

* **الجزء الرابـــع :**

١- **بديعيات نادرة**

الدكتور أحمد مطلوب

٢- **دور عناصر المزيج الترويجي في تطوير المراكـــز الســـياحية (حصن الاخيضر) ـ دراسة ميدانية في هيئة السياحة**

الدكتورة دينا حامد جمال

الدكتورة مها عارف بريسم

٣- **اختلاف النظريات حول بناء مدينة المنصور المدورة وتصحيح آراء الباحثين والمستشرقين عنها**

الدكتور عادل البكري

٤- **آفاق الفكر والفن في رسالة الطير للغزالي ٥٠٥هـ**

الدكتور فائز طه عمر

مديرو الأقسام:

١-	هادي محمد نجم	مكتب رئيس المجمع
٢-	فارس يحيى عبد المجيد	الشؤون الإدارية والقانونية
٣-	عائد أحمد جواد	المالية
٤-	جوان محمود هباس	المكتبة
٥-	غادة سامي عبد الوهاب	الاعلام والعلاقات العامة
٦-	علي خليل	المطبعة
٧-	نزيه عبد السلام	الشؤون العلمية والفنية
٨-	طه كامل حمد	الشؤون الهندسية
٩-	عبد الإله نجم سهيل	الرقابة والتدقيق الداخلي
١٠-	إخلاص محيي رشيد	شؤون المجلة

الدكتور أحمد مطلوب

رئيس المجمع العلمي

A Critical Try to Originate the Term of "Amood Al-Shi'r"

Dr. Faiz Taha Omar
University of Tikrit / College of Education

Abstract:

This paper tries to show the oldest use of "Amood Al-Shi'r" term which, as we found, preceded its being mentioned by Al-Buhturi in his well known text that was delivered by Al- Amedi's book "Al-Moowazna". In fact, this intended use which is mentioned in this paper, does not give the connotation known about "Amood Al-Shi'r" which refers to the Arab's traditional way in poetry which was derived from the pre-Islamic poetry, but it is concerned about the poetry basis, its essence and its good formulation elements which makes a modification on the whole historical critical studies which revolved around "Amood Al-Shi'r".

Curative Nutrition in the Islamic and Arabic Medical Heritage

Dr. Mahmoud Al-Haj Kasim Mohammed
Dr. Amer Aziz Jawad

Abstract:

Curative nutrition in modern medicine means that the patient gets what his body needs of food stuff with certain portions, according to his medical situation, through food. For Arab and Muslim doctors food science is an independent science. They have a lot of writings and classifications about this science.
The present research deals with curative nutrition in the Islamic and Arabic Medical Heritage in two parts:

The First Part: Things Related to the Person who Eats the Food:

The First Section: The need to Food and organizing it.
The Second Section: Time and number of eating Food.
The Third Section: Type and quantity of Food according to the patient's age and job.
The Fourth Section: Drinking water.
The Fifth Section: Psychological state of the patient.

The Second Part: Things Related to Food:

The First Section: Preference of breast feeding in feeding babies.
The Second Section: Types of Food eaten by human being (Preventive Nutrition).
The Third Section: Treating diseases with Food (Curative Nutrition):
- Treating Overweight with Food.
- Treating Leanness with Food.
- Treating Diabetes with Food.
- Nutritional Treatment for Cancer Prevention.
- Treating Tuberculosis with Food.
The Fourth Section: The most famous books and writings of Arab and Muslims about Food and Curative Nutrition.

Conclusions:

* The Glorious Quran and the Prophetic Sayings were the main sources of their scientific method. They are the right and good bases of comprehensive health and medical care.
* Arab and Muslim doctors adopted the principle of moderation in the process of nutrition.
* The Arab and Muslim doctors diagnosed a lot of diseases caused by malnutrition and other internal diseases. They prescribed the suitable treatment for these diseases using nutrition before medicine.
* The writings of Arab and Muslim doctors and scientists about food and curative nutrition played a great role in establishing the bases of developing curative and preventive medicine in the present time. The present research reviews these writings and their opinions about this subject.

Determinants of the Linguistic and Conceptual Significance to Culture and Civilization Expressions

Waleed Khalid Ahmed

Abstract:

The research determines the meaning and significance of culture and civilization words, and dismantling of confusion between them, particularly in its intellectual use and what is related to them: science and civilization.

way to achieve the goal. And stands at many issues related to infrastructure of the article. It is based on a number of sources and references that interferes with problematic naturalization. And this literature had a significant impact in the history of modern Arabic literature.

The paper briefly proved the definition of the article and its origin which analyzed the reflection of the growth that described the nature postscript. And stopped on the theory of genres to use in determining the technical template of the article. The goal is to reveal that the article is described as a genre of text literature which does not contain a specific concept.

Health and Hospitals in Baghdad During the Ottoman Era

Dr. Mahmoud Al-Haj Kasim Mohemmed

Abstract:

The First Section: Plagues and Diseases which Inflicted Baghdad during the Ottoman Era
The present study talks about the years of the spreading of plague, cholera, smallpox, measles, typhus, malaria, other diseases like typhous fever, leprosy, anthrax, meningitis, flu, and syphillis.

The Second Section: Government's Methods of Fighting and Prevention Against Diseases
1- Quarantine. 2- The Role of Municipality's Medical Centres in Protecting the Environment from Pollution. 3- Vaccination.

The Third Section: Methods of Treatment in the Ottoman Era
Firstly: Popular Medicine: 1- Old People Wisdom. 2- Druggists. 3- Spiritual Medicine. 4- Popular Surgeons.
Secondly: Doctors who did not Graduate from the College of Medicine: 1- Doctors without Medical Qualification. 2- Doctors Practicing Ancient Arabic Medicine. 3- Surgeons.
Thirdly: (Legal) Doctors with Medical Qualifications from the College of Medicine: "A school of medicine was established in Istanbul in 957 Hijri / 1542 under the

order of sultan Sulaiman Al-Qanony". Also in 1242 Hijri / 1827 the sultan Mahmoud Al-Ottomany made a big try in this area; he gave the order of establishing the first school of modern medicine under the name (Tibghana) as well as an independent school of surgery under the name (Jirahatghana). The sultan's order in 1278 Hijri / 1861 conditioned that the doctors of municipalities must be graduated from Ottoman and foreign medical schools only.

The Fourth Section: Health Management

Medical issues in the Iraqi cities (Baghdad, Mosul, and Basrah) were related to municipalities. Some of the municipalities council's members were doctors. Besides, the municipalities supervised health services and the management of hospitals.

The Fifth Section: Hospitals and Health Establishments

Firstly: Modern Civil Hospitals and Health Establishments: Al-Ghurabaa Hospital in Al-Karkh side, Namiq Basha Hospital, Dar Al-Mualimin Hospital, Private Hospitals, Municipality Medical Centres, and Private Pharmacies.

Secondly: Military Health Establishments: The Old Military Hospital, The Central Military Hospital, Al-Sabi Abkar Hospital and The First and Second Position Hospital.

The Sixth Section: People Working at the Medical Field

Firstly: Doctors in the First Centuries from the Ottoman Era.

Secondly: Doctors in the Last Three Centuries from the Ottoman Era:

A- Civil Doctors: The present study talks about 45 doctors.

B- Military Doctors who worked in Baghdad Central Military Hospital and the years of their work. They were 33 doctors from different specialties.

Thirdly: Doctors in Baghdad at the beginning of the 20th century. They were 57 doctors.

Baghdad in the Abbasi Poetry

Prof. Dr. Ahmed Matloub
President of the Iraqi Academy of Sciences

Abstract:

Baghdad is the mother of the World, and not only the capital of Arab culture, it has beamed its light to the world. It was the center of a sophisticated civilization, and the scientists visited it to take note of its figures, and people flock to it for the enjoyment of construction and sceneries pleasant to the viewers.

This research sheds light on some landmarks of Baghdad through the sayings of some poets who portray its landmarks, councils of science, and its luxurious life, and the most important of the descriptions of Baghdad, the sides of Karkh and Rusafa, shops, markets, palaces, rivers, bridges, climate, parks, monasteries and the role of science in it, the feelings of its people and visitors, and many events that were portrayed by Abbasid poets.

Journal
Of the
ACADEMY OF SCIENCES

Quarterly Journal – Established on 1369H- 1950

Chairman

Prof. Dr. Ahmed Matloub

Managing Editor

Prof. Dr. Ibrahim Khalaf. Al-Obaidi

EDITORIAL BOARD

Prof. Dakhil H. Jerew

Prof. Adil G. Naoum

Prof. Najih M. Khalil

Prof. Hilal A. Al-Bayati

Editing : Ikhlas mohey Rasheed

E-mail: iraqacademy@yahoo.com

journalacademy@yahoo.com

Annual Subscription : In Iraq (20000) I.D.

Outside Iraq (100 Dollars)

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٩٧٦ لسنة ٢٠١٣م

No2



Journal
Of the
ACADEMY OF SCIENCES

Quarterly Journal – Established on 1369H- 1950

No2

Vo2. 60

1434H - 2013